الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

استكتاب جماعي بعنوان

الإمامة والإمارة في بلاد ما وراء النهر

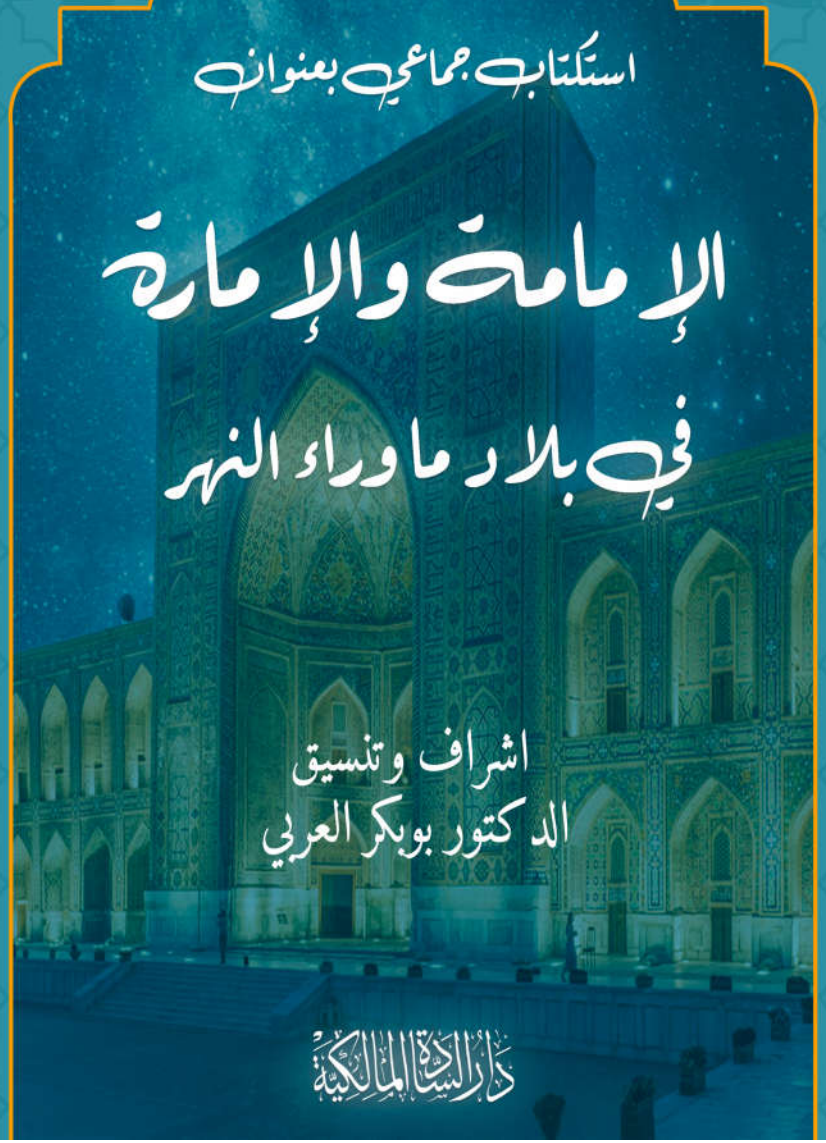

اشراف وتنسيق
الدكتور بوبكر العربي

دار السادة المالكية

الإمامة والإمارة في بلاد ما وراء النهر

اعداد الدكتور بوبكر العربي

دار السادة المالكية

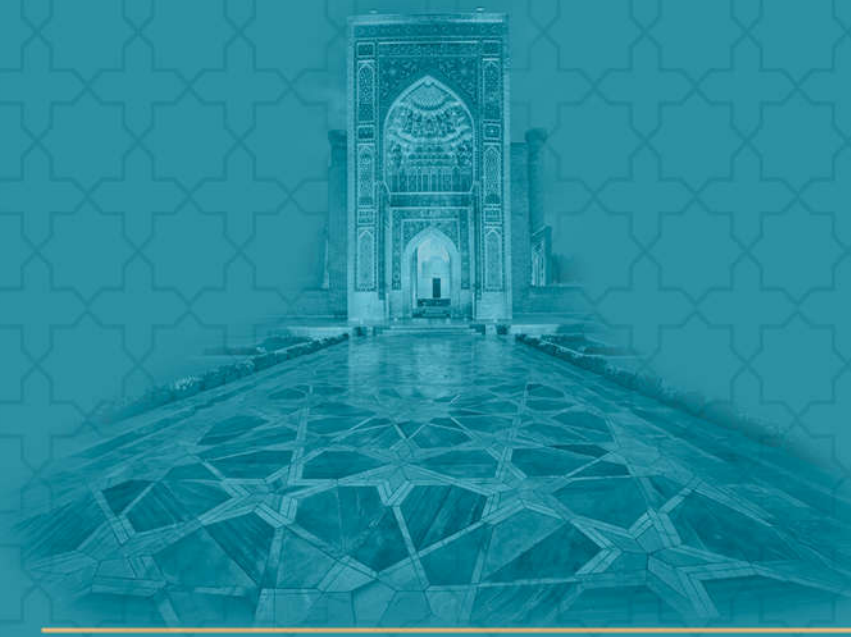

حي 05 جويلية، شلالة العذاورة، ولاية المدية، الجزائر
+213774576743 / +213561101900
darassadaalmalikia@Gmail.com
fb.com/groups/421159115074996/

9 789931 827337

الإمامة والإمارة
في بلاد ما وراء النهر

إشراف وتنسيق

الدكتور بوبكر العربي

أستاذ وباحث جزائري من مواليد 1970، حاصل على دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، العالم الإسلامي وقارة أسيا في العصور الوسطى من جامعة الجزائر (2) أبو القاسم سعد الله، أستاذ بجامعة يحى فارس بالمدية، له عدة نشاطات علمية من مقالات ومدخلات وملتقيات علمية وطنية ودولية.

دار السادة المالكية

العنوان: الإمامة والإمارة في بلاد ما وراء النهر

المؤلف: مجموعة مؤلفين

الناشر: دار السادة المالكية

الطبعة: الأولى

السنة: 1445هـ / 2024 م

رمدك: 978-9931-827-33-7

حي 05 جويلية، شلالة العذاورة، ولاية المدية، الجزائر

+213774576743 / +213561101900

fb.com/groups/421159115074996/

darassadaalmalikia@Gmail.com

الإمامة والإمارة

في بلاد ما وراء النهر

الهيئة العلمية

رئيس اللجنة العلمية

أ.د/ شريفي احمد جامعة الجزائر2

أعضاء اللجنة العلمية

أ/ د. هيصام موسى، جامعة المدية

أ/ د. مزاري توفيق عبد الصمد، جامعة المدية

أ/ د. سعاد هادي حسن الطائي، جامعة بغداد العراق

أ/ د. وليد عبود محمد الدليمي، جامعة بغداد العراق

ا/ د. احمد جلايلى، جامعة أحمد دراية، ادرار(الجزائر)

د/ حمزة عبد الصمد، جامعة المدية

د/ بوبكر العربي، جامعة المدية

د/ حاج كولة عبد العزيز، جامعة المدية

د/ سحيري بغداد، جامعة المدية

د/ شيخى فريدة، جامعة المدية

د/ كرطالي أمين، جامعة المدية

د/ عبد القادر سليماني، جامعة الجزائر2

د/ خلف الله وجدي جامعة المدية

الافتتاحية

يسعدنا أن نضع بين أيدي السادة القراء عامة والأساتذة والباحثين والطلبة والمهتمّين بالتاريخ على وجه الخصوص، مجموعة من المقالات التي تضمنها هذا الاستكتاب الموسوم بالإمامة والإمارة في بلاد ما وراء النهر، والاستكتاب هو مجموعة من المقالات لباحثين وأساتذة وطلبة من داخل الجزائر وخارجها، أسهمت هذه المقالات في إثراء محاور الاستكتاب الجماعي، وركّزت على أهدافه.

تعد آسيا الوسطى من أهم المناطق الاسلامية التي أسهمت في بناء الحضارة الإسلامية علميا وفكريا وحضاريا، أَشَعَّتْ الأرض فيها ضياءً بالعلم والمعرفة، بعد أن أنعم الله عليها بالإسلام، و تخلصت من وثنيتها ومسيحيتها، لقد زادها الفتح الإسلامي أهمية، وجعلها رائدة في تاريخ الحضارة الإسلامية، فكان منها الفقهاء والفلاسفة والفلكيون ورواة الحديث النبوي الشريف، ومن هنا كانت الإشكالية إبراز دور بلاد ما وراء النهر وآسيا الوسطى في الحضارة الإسلامية، من خلال المحاور الخاصة بهذا الاستكتاب، و إبراز مساهمتها في إثراء الحضارة الإسلامية في جوانبها الفكرية والعلمية والعمرانية، وذلك من خلال المحاور التي كتب فيها السادة الباحثون، والتي كان منها التعريف ببلاد ماوراء النهر تاريخيا وجغرافيا، والتطرق الى الفتح الاسلامي واهم الدويلات التي قامت في المنطقة اضافة الى ابراز دورها العلمي والفكري والحضاري، ومساهمتها في اثراء الحضارة الاسلامية من خلال التعريف بابراز علماءها وفقهائها وامرائها.

وفي الاخير لا يسعنا الا ان نتقدم بالشكر الجزيل الى كل الذين ساهموا في هذا العمل، آملين ان يكون قيمة مضافة إلى البحث العلمي عامة، وإلى جامعة المدية ومخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور.

منسق الكتاب: د/ العربي بوبكر

مقدمة

يسعدنا أن نقدم بين أيدى القارئ الكريم بصفة عامة والباحثين المهتمين بالتاريخ على وجه الخصوص مجموعة من المقالات التي تناولت مشروع الكتاب الجماعي الإمامة والإمارة في بلاد ما وراء النهر، حيث قدم الباحثين مجموعة من المقالات الشيقة التي تناولت محاور الكتاب.

من بين المقالات التي جاءت في هذا الكتاب مقال مشترك للأستاذة الدكتورة سعاد هادي حسن الطائي، والأستاذ الدكتور وليد عبود محمد الدليمي، بكلية بغداد بجمهورية العراق، مقال بعنوان، بلاد ما وراء النهر في كتب الجغرافيين والرحالة (القرن 4-10هـ/ 10-16م).

تعد دراسة بلاد ما وراء النهر مهمة جدا لكل الباحثين والمتخصصين في دراسة المشرق الإسلامي، ولا سيما ان هذه البلاد شهدت أحداثا سياسية وعسكرية عدة وتصارعت من اجلها قوى عدة نظرا لاهمية موقعها الجغرافي ولما تمتلكه من ثروات اقتصادية متنوعة ، ناقشت الدراسة صورة بلاد ما وراء النهر في عدد من الكتب الجغرافية والرحالة وما دونوه عن هذه البلاد من مشاهدات ومعلومات مهمة، تضمنت الدراسة تعريف واضح لمفهوم بلاد ما وراء النهر واهم الأسماء التي أطلقت عليه، وحدوده الجغرافية والأنهار التي اشتهرت فيه وهما نهري سيحون وجيحون، وسلطت الدراسة الضوء على أهم المدن والأقاليم المنضوية في بلاد ما وراء النهر، وحدودها الجغرافية وما يوفر فيها من خيرات اقتصادية طبيعية،وأهمية موقعها الجغرافية .

أما الدكتور سحيرى بغداد من جامعة فقد ركز في مقاله الموسوم بالمدارس النظامية ببلاد ما وراء النهر (مشروع الوزير نظام الملك الطوسي لحماية المجتمع من فكر الباطنية خلال القرنين (05-06هـ/ 11-12م)).

فقد حاول الباحث ان يلفت الانتباه بشكل علمي الى دور العلم في حياة الشعوب، باعتباره قوام كل الدول وأساسها، وإن كل الحضارات التي مرت عبر التاريخ إنما ارتقت بالعلم، وإن التطور العلمي مرهون دائما بعوامل يرتقي به، فإن حضرت مجتمعة بلغ التطور العلمي منتهاه، ومن هذه العوامل نجد تشجيع ولاة الأمور من جهة، وتوافر الوسائل من جهة أخرى كالمدارس.

وقد ذكرت لنا كتب التاريخ أن بلاد ما وراء النهر قد اجتمعت فيها هذه العوامل خلال القرنين 05-06 هـ/ 11-12م، حيث انتشرت في ذلك الوقت أفكار تقول بحصرية إمامة المسلمين لدى آل البيت، وإن لم تكن هذه الأفكار جديدة، إلا أنها استفحلت في ذلك الوقت بالنظر إلى الجهل الذي كان يخيم إلى أجزاء واسعة من هذا الإقليم، ولما رأى الوزير السلجوقي نظام الملك هذا الأمر استعظمه، وحمل على عاتقه لواء التصدي لهذا الفكر عن طريق تعليم الناس، فأطلق مشروع بناء المدارس في كل المناطق الواقعة تحت سلطان الدولة وجلب لها العلماء وشجعهم للمكوث بها وتدريس الناس تعاليم الإسلام الصحيح، وهدفه دحض الفكر الباطني القائل بإمامة آل البيت دون غيرهم، وقد كان لهذا المشروع الأثر البالغ في تعليم الناس، بحيث تخرج من هذه المدارس علماء كبار بلغت إنتاجاتهم الآفاق، وهي إلى اليوم مناهل العلماء في التعريف بالدين الصحيح مقابل كشف حقيقة الفكر الباطني المزيف.

أما الأستاذ سامي هوشات، جامعة أم البواقي (الجزائر)، فقد ابرز في مقاله المعنون بالعلوم الدينية وارواجها في بلاد ما وراء النهر وخراسان خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين، فقد خلص إلى النتائج التالية.

-أنّ منطقة المشرق الإسلامي عموما وبالأخص خراسان وبلاد ما وراء النهر، قد شهدت خلال فترة الدراسة حيوية فكرية كبيرة مست مختلف المجالات العلمية.

- بدورها عرفت العلوم الدينية على تنوعها رواجا كبيرا، حيث أقبل عليها الكثير من طلبة العلم من أبناء المنطقة وبرعوا فيها.

-حظي هذا النوع من العلوم باهتمام من العامة والخاصة على حد سواء، الأمر الذي زاد من حدّة رواجه وسط ساكنة المنطقة.

- إنّ ما شهدته المنطقة المدروسة من تنوع عرقي ومذهبي، ومن تواجد كثيف لأتباع مختلف المذاهب والفرق، ومساعيهم الحثيثة لنشر توجهاتهم وآرائهم واستقطاب أكبر قدر ممكن من الأتباع والمريدين، وما حدث بين أتباع هذه التوجهات المختلفة من سجالات ونقاشات فكرية قد كان سببا رئيسيا في تلك الحيوية الفكرية بالمنطقة.

- برع الكثير من أبناء هذه المناطق في مختلف مجالات العلوم الدينية، وأصبحوا حجّة فيها بكل العالم الإسلامي، وكانوا مقصدا لطلبة العلم من مشارق الأرض ومغاربها في حياتهم، وإلى اليوم لا تزال كتب الكثيرين منهم حجّة ومنهاجا.

- على الرغم من ما خلّفته هذه الحركية العلمية من إيجابيات، إلاّ أنها لا تخلوا من بعض السلبيات التي أثّرت ولا تزال في العالم الإسلامي، في ظل سعي البعض من مفكري وعلماء تلك الحقبة للانتصار لأفكارهم ومذاهبهم، ولو على حساب الحقيقة العلمية.

أما الباحثان، معاد بومنقار، جامعة قسنطينة2 و حدوش عبد الحكيم، جامعة قالمة (الجزائر)، في مقالهما الموسوم بالدولة الطاهرية بخراسان (205-259هـ/ 820-872م).

تهدف هذه الدراسة لمعرفة أول الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق والتي تتمثل في الدولة الطاهرية وسبب استقلالها عن الخلافة حيث

اتخذت من خراسان عاصمة لها، ويعزى كل ذلك للإمام طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق المؤسس الروحي للدولة، والذي كان يمثل سيف الدولة العباسية في إخماد الثورات المناوئة لها، خاصة في زمن فتنة الأمين والمأمون، وقد كان الخلفاء الذين أعقبوه على قدر مستواه من الخلافة، فقد تطورت الدولة تطورا كبيرا سيما في عهد ولده عبد الله، الذي يعد المؤسس الفعلي للدولة وواضع ركائزها، ولا يقارن إلا مع نظرائه من مؤسسي الدول العالميين، فشمل هذا التطور الحياة الاقتصادية، وتجلى ذلك في تنوع المحاصيل الزراعية، وكثرة الحرف والصناعات وازدهار التجارة وتنشيط الحركة التجارية، وامتد هذا التطور للجوانب العلمية والحضارية، فقد كثر الإشعاع العلمي بكثرة العلماء والفقهاء، وشيدت الطرق والقناطر، وظل هذا التطور ما يربو عن خمسين سنة هجرية إلى أن سقطت على يد إمام عظيم محمد بن طاهر، وبالرغم من سقوطها فقد ظلوا محل ثقة العباسيين ويكنون لهم المحبة والتعاون.

إن العلاقات السياسية بين الدولة الطاهرية والخلافة العباسية كانت أحد أهم الأسباب التي دفعت بالطاهريين الإستقلال بمدينة خراسان، كما أن لشخصية طاهر بن الحسين الفذة ورباطة جأشه وقوته ساهمت هي الأخرى بتأجيج فكرة الإستقلال فهو يعد من القادة الكبار الذين لا يقارنون إلا بنظرائهم من مؤسسي الدول العالميين ونستشف كل ذلك في الدور الكبير الذي لعبه في صراع الأمين ضد المأمون.

وكانت للخدمات الجليلة التي قدمها بني طاهر للخلافة في صدّ الحركات المناوئة لها بمثابة صمام أمان لظهر الخلافة في بلاد ما وراء النهر خاصة منطقة سجستان وخرسان ونيسابور إذ يعود لهم الفضل الكبير في إخماد تلك الثورات فكانت بمثابة مدّ على غير انتظار، ظل العباسيون يثقوا بهم، ومنحوهم شرطة بغداد الأمر الذي يدفعنا للقول بالرغم من انفصال الطاهرين إلا أنهم ظلوا يكنون المحبة

والتعاون للخلافة ويمكن أن نشببها بعلاقة اتحاد فيدرالي بالمفهوم الحالي.

أما الباحثة زهرة بوعلاق من جامعة 8ماي 1945 بقالمة (الجزائر) في مقالها الموسوم بالمنشآت المعمارية في مدينة بخارى خلال الفترة السامانية (4هـ - 10م).

فقد تناولت الجانب المعماري في بلاد ما وراء النهر، متطرقة الى العمارة الإسلامية في مدينة بخاري من حيث بناء المساجد وزخرفتها والتحصينات التي كانت تقوم بها، مبرزة الاهتمام التي أولته الدولة الإسلامية للجانب العمراني من خلال تحصين مدينة بخارى وذلك ببناء الأسوار والأبراج حفاظا على تلك البلاد من الاعتداءات الخارجية، وكان هذا الاهتمام واضحا في الرؤية التخطيطية للمدينة من خلال كثرة الأسوار والخنادق، مراعية الخصائص الإسلامية بمدينة بخارا حيث عمل الفاتح القائد قتبة بن مسلم الباهلي على تحويل بيت الأصنام الذي كان في القلعة ليكون مسجدا جامعا تقام فيه الصلوات الخمس، ونظرا لصغر حجم المسجد تم بناء عدة جوامع أخرى محيطة بالمدينة.

-كما أصبحت مدينة بخارى المركز المتميز من حيث الأبنية والقصور التي كان يضرب بها المثل في هندستها وطرق زخرفتها، ولم تخلوا المدينة من وجود الأربطة التي شكلت بدورها أهم المعالم الحضارية لهذه المدينة، وكانت الرباطات تبنى بطرق هندسية مختلفة عن بقية المنشآت العمرانية الأخرى، لأنها كانت تمثل نقاط الإنذار المبكر للجيش الإسلامي، وكخلاصة للبحث توصلت الباحثة الى القول أن العمارة الإسلامية في بلاد ماوراء النهر وبالخصوص في مدينة بخارى يمكننا اعتبارها حصيلة تلاقح الحضارات تبعا لتعدد الأجناس والأديان التي تتكون منها التركيبة الاجتماعية لبلاد ما وراء النهر.

أما الدكتور عبد القادر سليماني من جامعة الجزائر في مقاله الموسوم، فقد تناول جانبا من جوانب الحياة العلمية في إقليمي خراسان و ماوراء النهر، وذلك

خلال فترة القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، (6هـ/ 12م)، وهي الفترة التي شهدت نشاطا علميا كبيرا لكل الطوائف العلمية و المذهبية، وعلى وجه الخصوص طائفة أهل الحديث، والذين تميّزوا بمؤسساتهم العلمية والتعليمية، و التي أثروا من خلالها الحياة العلمية في الإقليمين، سواء بمجالس الإملاء والتحديث التي حفلت بها مجالسهم، أو من خلال الكتب و المصنفات التي أنجزوها أو حتى من خلال إنشاء المؤسسات العلمية و الإنفاق عليها، هذا إضافة الى التنافس بينهم و بين بقية الطوائف العلمية و المذهبية الأخرى، و الذي أثمر نتائج مهمة ومفيدة جدا سواء من خلال المناظرات أو الردود العلمية، دون إغفال بعض الجوانب السلبية في صورة التعصب المذهبي الذي كان كثيرا ما يوصل الى نتائج كارثية.

وقد أجملنا في هذا المقال مجموعة من المظاهر المتعددة التي حفلت بها المصادر المختلفة، في توضيح بعض جوانب هذا النشاط العلمي وآثاره، وقد كان منهجنا في هذا المقال قائما على تتبع كتب الخطط و البلدان لتجميع أسماء المؤسسات العلمية و التعليمية من مساجد ومدارس و زوايا، و تحديد نشاطها بالضبط خصوصا ما تعلق منه بعلوم الحديث، كما اعتمدنا كتب التاريخ والتراجم والطبقات المتنوعة، لمعرفة الرجال الذي كان لهم الأثر والمساهمة في علوم الحديث الشريف في إقليمي خراسان و ما وراء النهر في الفترة المذكورة، وبالموازاة مع ذلك أمكننا تحديد أشكال نشاطهم المختلفة و تقديمها بشكل يبين أهميتها و تأثيرها في الحياة العلمية بشكل عام.

اما الباحث سمراني مصطفى من جامعة الجزائر فقد تطرق الى جانب من الحياة العلمية في بلاد ما وراء النهر، مستعرضا واحد من رواد علم الفلك وهو العالم الإسلامي البيروني، وقد تناول الباحث حياته وأثاره العلمية في هذا المجال، وقد خلص الباحث الى المجهوادات التي بذلها البيروني في مختلف

العلوم خاصة في علم الفلك الذي برع فيه دون ان ينسي نشاطه في المجالات الاخرى كالصيدلة والطب وغيرها، وظل البروني على مر العصور محل اعجاب من الباحثين والدارسين وهو ما اشار اليه الباحث وتوصل اليه في بحثه.

اما البرفيسور احد جلايلي من جامعة ادار في مقاله الموسوم دور السلطان التيموري «شاهرخ» في تطوير الحياة العلمية والفنية بعاصمة ملكه مدينة هراة (807-850هـ/ 1405-1447م)، وقد بين الباحث الدور الذي قام به السلطان التيموري «شاهرخ» (807-850هـ/ 1405-1447م)، في النهوض بمدينة «هراة» التاريخية، التي عرفت التخريب من قبل مغول جنكيزخان، فحولها إلى عاصمة لدولته، ورمم أصوارها، وأولاها رعاية خاصة، فأنجز بها العديد من المراكز الحضارية، أهمها: المدراس العلمية، والمساجد، والمنتزهات، ومن أروع ما أنجز فيها تلك المدرسة المتخصصة في الفنون الجميلة، قدمت أروع الأعمال الفنية في بلاد ما وراء النهر، وأنجبت أشهر الرسامين والفنانين المبدعين، وقد واصلت العطاء من بعده في عصر السلطان «بايسنقر»، حتى أصبحت تهيمن على الساحة الفنية في وسط آسيا في العصر الوسيط.

والباحث خلص على أن السلطان «شاهرخ» يعتبر من أفضل سلاطين الدولة التيمورية، فقد اتصف بصفات حميدة، كالتدين والكرم، وحب العلم، خصص جل وقته لرعاية العلوم والفنون، وعمل على جلب المشتغلين بها إلى عاصمته «هراة» من جميع البلدان والمناطق، لذلك شهدت المدينة ازدهارًا ملحوظا في عصره، فبرزت في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، مدرسة فنية متميزة مستقلة عن سائر المدارس الأخرى، أنجبت العديد من العلماء والفنانين، وعلى رأسهم: «مير علي شيرنوائي» و«كمال الدين بهزاد»، اللذين أنتجا أعمالا فنية رائعة، كمعراجنامه، التي جسدت بالصور عروج الرسول ﷺ إلى السماء السابعة. وقد تأثر الفنان الجزائري «عمر راسم» كثيراً

بهذه المدرسة.

اما الباحثة نادية محمد هاشم إبراهيم من جامعة القاهرة(مصر)،في مقالها الموسوم، الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر خلال العصر العباسي الثاني(إقليم الشاش أنموذجا)، فقد عرفت الباحثة بهذا الإقليم من الناحية التاريخية والجغرافية مبرزة مختلف التطورات التي مر بها خاصة وانه يعتبر من أهم الأقاليم في بلاد ما وراء النهر، وقد خلصت الباحثة من خلال البحث على مدى الأهمية المكانية لإقليم الشاش بالنسبه لبلاد ما وراء النهر حيث كان بمثابة الثغر الأخير للعالم الإسلامي، كما أنها وقع على الطرق التجارية بين الشرق والغرب مثل طريق الحرير .

كما يتضح من خلال البحث أن المجتمع الشاشى اتصف بصفات حميدة عده وتمتعت فيه المرأة بمكانة خاصة حيث شاركت فى الحياة الاقتصادية والسياسية،كما ان المجتمع تكون من عدة عناصر، وهم الأتراك وهم الأكثر عددا والفرس والعرب الذين جاءوا مع الفتح الإسلامي.

أما من الناحية الدينية فقد عرف إقليم الشاش الديانات السماوية ولكنها لم تنتشر كما انتشرت الديانات. الوثنية الأخرى كالزرادشتيةوالمجوسية وغيرها ثم جاء الإسلام ليكون الدين الأكثر وجودا في ذلك الإقليم،أما الملبس عند سكان إقليم الشاش فى العصر العباسي فقد اختلفت من طبقة لأخرى، ومن مهنة لأخرى فملابس الجند غير ملابس الكتاب غير ملابس الزهاد غير ملابس النصارى، فكان الشخص يعرف من زيه صناعته وطبقته.

يُختم هذا الكتاب بمقال للدكتور العربي بوبكر من جامعة المدية الموسوم ب، فن التصوير في بلاد ما وراء النهر، حيث شكلت الفنون احد مجالات الإبداع في الحضارة الإسلامية تناول الباحث جانب من تلك الفنون التي ميزت أسيا الوسطى عامة وبلاد ما وراء النهر خاصة، حيث ازدهرت مختلف الفنون

الإبداعية خاصة انتشار فن التصوير الذي يعد من بين الفنون الإسلامية التي تركت بصمتها في الحياة الفنية خاصة في عهد السلالة التيمورية التي حكمت آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر بين 771هـ- 911هـ/ 1370م- 1506م، حيث ازدهر فن التصوير الذي نهل من التراث الصيني القديم وأيضا من الدول التي سبقت الدولة التيمورية مثل الدولة المظفرية و الدولة الجلائرية، كما تساءل الباحث عن الأساليب الفنية في فن التصوير الإسلامي وماهي إبداعات المسلمين فيه؟ ومن هم أشهر الفنانين المصورين في تلك الفترة؟.

في الأخير يمكن القول أن هذا العمل يمثل عصارة جهد لمجموعة من الباحثين من أساتذة وطلبة باحثين من داخل الجزائر وخارجها ساهموا في أخراج هذا العمل العلمي الذي سيزود المكتبة والطلبة بعمل جماعي يفيدهم في التعرف على بلاد ما وراء النهر، ومساهمتها في الحضارة الاسلامية من خلال التعريف بفقهائها وعلماءها وأمرائها.

❊ ❊ ❊

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

بلاد ما وراء النهر في كتب الجغرافيين والرحالة (القرن 4-10هـ/ 10-16م)

The country Transoxiana in the books of geographers and Travellers (4- 10 AH / 10- 16 AD)

أ.د. سعاد هادي حسن الطائي/ جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلومِ الإنسانية – قسم التأريخ

suaad.hadi@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.د. وليد عبود محمد الدليمي / جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلومِ الإنسانية – قسم التأريخ

waleed.abood@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

* اسم المؤلف المرسل: suaad.hadi@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

تعد دراسة بلاد ما وراء النهر مهمة جدا لكل الباحثين والمتخصصين في دراسة المشرق الاسلامي ،ولاسيما ان هذه البلاد شهدت احداثا سياسية وعسكرية عدة وتصارعت من اجلها قوى عدة نظرا لاهمية موقعها الجغرافي و لما تمتلكه من ثروات اقتصادية متنوعة ،ناقشت الدراسة صورة بلاد ما وراء النهر في عدد من الكتب الجغرافية والرحالة وما دونوه عن هذه البلاد من مشاهدات ومعلومات مهمة .

تضمنت الدراسة تعريف واضح لمفهوم بلاد ما وراء النهر واهم المسميات التي اطلقت عليه، وحدوده الجغرافية والانهار التي اشتهرت فيه وهما نهري سيحون وجيحون، وسلطت الدراسة الضوء على اهم المدن والاقاليم المنضوية في بلاد ما وراء النهر،وحدودها الجغرافية وما تتوافر فيها من خيرات اقتصادية طبيعية، واهمية موقعها الجغرافية .

الكلمات المفتاحية : سيحون، جيحون، قلعة، جامع، ملوك، الحصن، الذهب.

The study of Transoxiana is very important for all researchers and specialists in the study of the Islamic Orient, especially that this country has witnessed several political and military events and for which several powers have emerged due to the importance of its geographical location and its various economic wealth. The study discussed the image of Transoxiana in A number of geographical books and travelers and what they wrote about this country of observations and important information. The study included a clear definition of the concept of the country beyond the river and the most important names that were given to it, and its geographical borders and the rivers that were famous in it, namely the Sihon and Gihon rivers, and the study shed light on the most important cities and regions

المقدمة

اهتم الباحثون والمختصون بدراسات المشرق الإسلامي بدراسة جغرافية بلاد ما وراء النهر وتاريخه السياسي والاقتصادي لاهميته في تغيير الخارطة السياسية والعسكرية نظرا لتصارع عدد من القوى للسيطرة عليه

تضمنت هذه الدراسة التي سلطت الضوء على مناقشة اراء ومشاهدات الجغرافيين والرحالة نظرا لوصفهم الدقيق لحدوده الجغرافية وموقعه المتميز واهميته الاقتصادية لما يتمتع به من ثروات طبيعية متنوعة،كما كان لموقعه أهمية واضحة في الربط بين طرق التجارة بين مدن المشرق الاسلامي وهذا أضفى أهمية كبيرة لها خلال المراحل التاريخية المتعاقبة وجعل قوى عد تحاول فرض السيطرة على عدد من مدنه ولاسيما المهمة منها .

تعد مشاهدات الجغرافيين والرحالة مهمة لما تتميز به من دقة في الوصف

نظرا لما شاهدوه بأنفسهم لهذه البلاد مع اختلاطهم بسكانها والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم والاختلاط بهم مما زاد من اهمية رواياتهم عن هذه البلاد. سلطت الدراسة الضوء على توضيح مفهوم بلاد ما وراء النهر وحدوده الجغرافية واهم مدنه واقاليمه وما تتميز به من ثروات طبيعية متنوعة .

تعريف مصطلح بلاد ما وراء النهر وحدوده الجغرافية

يقصد بـ «ما وراء النهر» أي البلاد الواقعة وراء نهر جيحون إذ عُدَّ هذا النهر هو الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية والمستقرة في خراسان، وتُورَان، مما كان في شماله إلى ورائه من أقاليم قد سماها العرب ما وراء نهر جيحون، وأطلقوا عليها أيضاً اسم جانب هيْطل. وقد أطلق العرب قديماً مسميات عدة على بلاد ما وراء النهر، فهناك مسمى أطلقه العرب في القرون الوسطى، على نهر «أوكسس» «Oxus» ونهر «جكزرتس» «Jaxartes» اسمي جيحون وسيحون، وأن العرب أطلقوا مصطلح بلاد ما وراء النهر على المنطقة الواقعة في حوض نهر «أمودريا» «Amu-Darya»، « فخشو»، «كشو»، جيحون، و «سردريا» «Sir-Darya» سيحون .

ولم تكن هذه المنطقة وفقاً لمفهوم الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان، لأنَّ هذه التسمية إنما يقصد بها بلاد الترك عامة، وقد شغلت بلاد ما وراء النهر المكانة الأولى من بين الأقطار التي خضعت لسلطان الترك وذلك بسبب خُصوبتِها وكثافة سكانها، كما ذُكرت بلاد ما وراء النهر في عددٍ من الكتب اليونانية والفارسية باسم بقطريان «باكتريانا» قاعدتها بقطر «باكترا»، أطلقوا عليها اسم بلخ، واشتملت بلاد ما وراء النهر، بلاد الصغد، وتمتد إلى نهر سيرداريا «سيحون».[1]

(1) **الطائي**: سعاد هادي حسن،العنبكي،شيماء فاضل عبد الحميد، الجذور التاريخية لمصطلح بلاد ما وراء النهر وموقعها الجغرافي، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد 46، 2015، ص196-197.

يُعدّ هذا الاقليم من أخصب أقاليم الأرض منزلة وانزهها واكثرها خيراً،لا يخلو هذا الاقليم من مدن وقرى تسقى او مباخس او مراع لدوابهم، اما مياههم فانها اعذب المياه وابردها، وهواؤها صحي، يكثر في هذا الاقليم معادن عدة منها الذهب والفضة وغيرها، وفي بلاد ما وراء النهر كورعظام، وفيما يصاقب نهر جيحون كورة بخارى على معبر خراسان ويتصل بها سائر الصغد المنسوب الى سمرقند واشروسنة والشاش وفرغانة وكش ونسف والصغانيان واعمالها والختل وما يمتد على نهر جيحون من ترمذ والقواذيان واخسيسك وخوارزم، يكثر فيها القمح والشعير والارز، ومن الفواكه المشهورة فيها التفاح والرمان والخوخ وغيرها.[1]

اهم اقاليم بلاد ما وراء النهر ومدنه :

مدينة خجندة: وهي بلدة مشهورة من بلاد ما وراء النهر على شاطئ نهر سيحون، وهي متاخمة لفرغانة، بينها وبين مدينة سمرقند عشرة ايام مشرقاً، وهي مدينة نزهة كثيرة الفواكه وفي وسطها نهر جار والجبل متصل بها، وهي منفردة في الاعمال وتقع على نهر الشاش في غربيه.[2]

مدينة فرغانة: وهي مدينة وكورة واسعة تقع على ضفاف نهر سيحون في

---

(1) **ابن حوقل**: أبو القاسم النصيبي (ت 367هـ/ 977م) ،صورة الأرض، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، 1938م، ط2، ج2، ص463 – ص525؛ البكري، ابوعبيد الله بن عبد العزيز محمد (ت487هـ/ 910م)، المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه : د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ج2، ص20 وص21؛ الحموي، ابو عبدالله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، بلا.ت، ج4،ج2،ص351؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت 682 هـ/ 1283 م) ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت ، ص557 – ص558؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية واضاف اليه تعليقات بلدانية وتاريخية واثرية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1373هـ/ 1954م، ص476 – ص488.

(2)ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص511؛ المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (ت 375هـ/ 985م)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، بريل، ليدن، 1904م، ج2، ص272؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص347؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي(ت 739ه/ 1338م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،1992، ج1، ص453.

بلاد ما وراء النهر وهي متاخمة لبلاد الترك، وهي كثيرة الخيرات واسعة الرساتيق، وهي ناحية معمورة وكبيرة وذات نعم كثيرة، فيها جبال كثيرة وصحارى، يجلب منه القماش الكتاني، ويوجد في جبالها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق وغيرها، كان ملوكها قديماً من ملوك الاطراف ويلقبون بلقب دهقان.[1]

خوارزم: هي كورة تقع على حافتي نهر جيحون، قصبتها العظمى بهيطل ولها قصبة أخرى في خراسان، وهي كورة واسعة جليلة كثيرة المدن ممتدة العمارة، كثيرة البساتين والمنازل والمزارع والشجر والفواكه والخيرات، وتحيط بخوارزم المفاوز من كل جانب، ولايوجد في بلادهم معدن الذهب والفضة أو أي معدن آخر، من أهم وأكبر المدن فيها هي مدينة الجرجانية، ومنها تخرج القوافل التجارية إلى جرجان والخزر وخراسان، ومن أهم مدنها الأخرى، هزراسب، خيوة توزوار، كردران، وخواش وغيرها .[2]

(1) المنجم، الشيخ اسحاق بن حسين (من علماء القرن 5هـ/ 11م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، د. م، د.ت، ص21؛ ابو حامد الغرناطي، محمد بن عبدالرحيم الاندلسي (ت565هـ/ 1169م):، تحفة الالباب ونخبة الاعجاب، باريس، 1925م،ص202؛ ابن يونة التطيلي، بنيامين البناري الاندلسي(ت 596هـ/ 1173م)، رحلة بنيامين، ترجمه عن العبرية: عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ط1، 1945م، ص159وص160 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج4، ص253 ؛ ابن الوردي،سراج الدين ابو حفص عمر بن المظفر (ت 861هـ/ 1457م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت ، ص51؛ الحميري، الروض المعطار ، ص440 ؛ واصف بك، امين، الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية، تحقيق: الاستاذ احمد زكي باشا، دار المصري للطباعة، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص33

(2) الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت340هـ / 951م)، مسالك الممالك، بريل، ليدن، 1346هـ/ 1927م، ص399 – ص304 ؛ البلخي، ابو زيد احمد بن سهل (340هـ/ 951م)، صور الاقاليم، مخطوطة مصورة على مايكروفيلم محفوظة في مكتبة اية الله الحكيم العامة، النجف، تحت رقم 632، ورقة 131 – ورقة 133،أبن حوقل، صورة الارض، ج2، ص481 – ص482، المقدسي، احسن التقاسيم ، ج2، ص284 – ص286 ؛ البكري ، المسالك والممالك،ج2، ص20؛ القزويني، آثار البلاد ،ص525 – ص527، ص525 – ص527 ؛ شيخ الربوة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري(ت 727هـ/ 1326م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،طبع بمطبعة المرحوم فرين احد اعضاء الاكادمية الإمبراطورية، مدينة بطربورغ، 1281 هـ/ 1865 م ، ص223 – ص224 ؛ ابن الوردي، خريدة العجائب ، ص49 .لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص489 – ص490 .

مدينة الجرجانية: وهي ذاتها مدينة اوركانج- أو – اركنج- أو- أوركانج- أو- گرگرنج- أو كركنج- أو- كركانج، سميت الجرجانية بعد ان عربت، وهما مدينتان الاولى تسمى كركنج الصغرى، وهي متجر الغزية، منها تخرج القوافل الى جرجان والخزر وخراسان، وهي مدينة عامرة وآهلة بالسكان، وذات اسواق وخيرات، كانت مقر سلاطين العالم ومستقر مشاهير بُني أدم، ضمت في زمانها وتحت اكنافها اشراف الدهر ورفدت عليها طرائف العالم، كان يعقد فيها مجالس الشيوخ العظماء مع السلاطين ذوي الشأن، تقع مدينة كركنج الكبرى على مقربة منها بمسافة ثلاثة فراسخ، وكركنج العظمى اسم لقصبة بلاد خوارزم ومدينتها العظمى، فاما اهل خوارزم فيسمونها كركرنج، وليس خوارزم اسماً لمدينة بعينها انما هو اسم للناحية بأسرها.[1]

مدينة اترار: وهي ذاتها مدينة اطرار بند أو- طرار-، كانت تسمى سابقاً فاراب أو- باراب - ثم اصبح اسمها عبر المراحل التاريخية اطرار بند أو- طرار- او- اترار-، وهي مدينة من وراء نهر سيحون من أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان وهي اخر بلاد الاسلام مما يلي بلاد ما وراء النهر، اترار اسم لرستاق، وتعد اترار اكبر مدنه، فيها حصن يوجد فيه حوانيت يسيرة، وتقع اسواقها في الربض، ولها قهندز، وتُعد مدينة اترار ناحية سبخة لها غياض ومزارع في عرض الوادي الآخذ مياهه من نهر الشاش، اما قصبتها فهي مدينة كدر، ومن اهم مدنها وسيج، ومن اهم

(1) الاصطخري، مسالك الممالك، ص 299 – ص 301؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص477 – 479؛ المقدسي، احسن التقاسيم،ج2، ص88؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص141 وص486، وج4، ص452 ؛ ابو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن يحيى (ت 732هـ/ 1331م)، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه : رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م، ص477 – 479؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص489 – ص493؛الحديثي، د. قحطان عبد الستار، ارباع خراسان الشهيرة، دراسة في احوالها الجغرافية والادارية والاقتصادية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مطبعة دار الحكمة، البصرة ،د. ت، ص298 – ص300 .

علمائها أبو نصر الفارابي.[1]

مدينة ترمذ : وهي أجلُّ مدينة تقع على نهر جيحون، وهي مدينة نظيفة وطيبة، أسواقها مبنية من الاجر، ولها حصن وقهندز، والجامع يقع في الحصن، والقهندز خارج منه له باب، وللمدينة ثلاثة أبواب، ولها قلعة قديمة .[2]

مدينة آمويه أو – آمو – آمل – أو اميل-: وهي مدينة مشهورة تقع غربي نهر جيحون، ويقال لها آمل زم، آمل جيحون، وآمل الشط، وآمل المفازة، لأن بينها وبين مرو رمالاً صعبة المسالك ومفازة أشبه بالمهالك، فيها مياه جارية وزروع.[3]

مدينة فناكت أو- بناكت-: ويسميها الفرس فناكنت، وهي من مدن بلاد ما وراء النهر، وهي مدينة كبيرة، تقع على ضفة نهر سيحون اليمنى اذ كان طريق خراسان الآتي من سمرقند يعبر النهر الى الشاش، لم يكن لهذه المدينة في القرن 4 هـ/ 10م حصن، اما جامعها فكان يقع في السوق، خرج منها علماء عدة منها ابو علي عبد الله بن عبد الرحمن البناكتي السمرقندي.[4]

---

(1) ابن الفقيه الهمذاني، ابو بكر احمد بن محمد (ت286هـ/ 899م)، مختصر كتاب البلدان، بريل، ليدن، 1302م، ص322؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج2، ص510 – ص511؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص295 وص346؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ج2، ص63 وص 273؛ الادريسي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت560هـ/ 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت،ط1، 1989م، ج2، ص695؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص27؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص492 – ص494؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص528.

(2)المقدسي، أحسن التقاسيم، ج2، ص291 ؛البكري، المسالك والممالك، ج2،ص20؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص26؛ الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ/ 1494م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط2، 1984 م، ص132.

(3)ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص431 – 451؛ الادريسي نزهة المشتاق ، ج1، ص481؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص57 – 58؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص61 وص434 وص435؛ الحديثي ، قحطان عبد الستار، ارباع خراسان، ص294 – ص295.

(4)الاصطخري، مسالك الممالك، ص329؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص507 وص512؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ج2، ص264؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص496؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص525؛ الحديثي، قحطان عبد الستار، ارباع خراسان، ص536.

مدينة أترار: وهي ذاتها مدينة اطرار بند أو ـ طرار ـ، كانت تسمى سابقاً فاراب أو ـ باراب ـ ثم اصبح اسمها عبر المراحل التاريخية اطرار بند أو ـ طرار ـ او ـ اترار ـ، وهي مدينة من وراء نهر سيحون من أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان وهي اخر بلاد الاسلام مما يلي بلاد ما وراء النهر، اترار اسم لرستاق، وتعد اترار اكبر مدنه، فيها حصن يوجد فيه حوانيت يسيرة، وتقع اسواقها في الربض، ولها قهندز، وتُعد مدينة اترار ناحية سبخة لها غياض ومزارع في عرض الوادي الآخذ مياهه من نهر الشاش، اما قصبتها فهي مدينة كدر، ومن اهم مدنها وسيج، ومن اهم علمائها ابو نصر الفارابي.[1]

مدينةالشاش، وهي مدينة واقليم واسع تقع على ضفاف نهر سيحون في بلاد ما وراء النهر متاخمة لبلاد الترك، وهي من اعمال سمرقند، وتقع في ارض سهلة، وهي من انزه مدن بلاد ما وراء النهر، ومن اهم مدنها : بنكث، جينا نجكت، نجاكث، فناكث، خرشكت وغيرها .[2]

مدينة اسفيجاب : اسم بلدة من اعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان ولها ولاية واسعة وقرى كالمدن، كانت من اعمر بلادالله سبحانه وتعالى وانزهها واوسعها خصباً ومياهاً جارية ورياضاً مزهرة، ولم يكن في خراسان وبلاد ما

(1) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص322؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص510 – ص511؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص295 وص346؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ج2، ص63 وص 273؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص695؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص27؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص492 – ص494؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص528.

(2) اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر (ت284هـ/ 897م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002 ، ص126 ؛ ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص322 ؛ ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت في حدود 300هـ/ 910م) ، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د .ت، ص27 – ص39 ؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص328 – ص331 ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص474 و ص507 – ص509 ؛ البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/ 910م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا، دار عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ، ج3، ص775 – ص776 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج3، ص308 – ص309 .

وراء النهر بلد لاخراج عليه الا اسفيجاب لانها كانت ثغراً عظيماً، فكانت تعفى من الخراج وذلك لينفق اهلها خراجها في شراء السلاح والمعونة على المقام في تلك الارض، وكذلك كان هذا حال ما كان يجاورها من المدن .[1]

سمرقند:من الكور العظام في بلاد ما وراء النهر، وهي من «اعظم البلدان قدرا» وأجلها، وأشدها امتناعا «وأكثرها رجالا»،وتعد قصبة الصغد، وهي تشتمل على حصن ولها اربعة ابواب، منها باب مما يلي المشرق ويسمى باب الصين وهو مرتفع عن سطح الارض، ومما يلي المغرب باب النوبهار، ومما يلي الشمال باب بخارى، ومما يلي الجنوب باب كش، لها نهر عظيم يأتي من بلاد الترك يجري في سمرقند ثم الى بلاد الصغد ثم الى أشروسنة ويسمى «باسف»،تعد تربتها من اجود انواع الترب، معظم ابنيتها من الطين والخشب، واهلها يتميزون بمرؤتهم، وتعد سمرقند مجمع رقيق بلاد ما وراء النهر، من اهم رساتيقها الجنوبية: بنجيكث،ورغسر، مايمرغ، سنجرفغن، الدرغم،أبغر، أما أهم رساتيقها الشمالية فهي ياركث، فورنمذ، بوزماجن، كبوذنجكث، ويذار، المرزبان.[2]

مدينة نخشب : من مدن بلاد ما وراء النهر تقع بين نهر جيحون وسمرقند، بينها وبين سمرقند ثلاث مراحل، وهي كثيرة النعم ومعمورة وذات زراعة كثيرة، ولها نهر واحد يمر في وسط المدينة .[3]

*بلاد ما وراء النهر في كتاب (حدود العالم من المشرق الى المغرب) لمؤلف مجهول (ت بعد 372هـ/ 982 م) :

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج1، ص179و ج2، ص81 و ج3، ص309 .
(2) اليعقوبي، البلدان،ص124 –ص125؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص316 –ص323؛ ابن حوقل، صورة الارض،ج2،ص492 – ص500 ؛المقدسي، احسن التقاسيم،ج2، ص278 – ص 280؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3،ص246 –ص250،لسترنج،كي، بلدان الخلافة الشرقية،ص506 –ص 510.
(3) لمزيد من التفاصيل ينظر : مؤلف مجهول، حدود العالم، ص91 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص276.

تضم حدود ما وراء النهر نواحي مختلفة، بعضها يقع إلى الشرق من ما وراء النهر، والآخر إلى المغرب منها. أما الذي إلى الشرق منها، فتحيط به من الشرق حدود التبت والهند؛ ومن الجنوب حدود خراسان؛ ومن الغرب حدود الصغانيان؛ ومن الشمال حدود أسروشنة من ما وراء النهر.[1]

ومن اهم مدنها كما ذكرها مؤلف مجهول هي الاتي: [2]

1 – الختل:كورة وسط جبال شاهقة، وهي عامرة ذات فواكه وزروع وناس كثيرين ونعم واسعة، وملكها من ملوك الأطراف، وأهلها مقاتلون، وفي حدودها القريبة من التبت يوجد ناس متوحشون في المفازات. وفي جبالها معادن الفضة والذهب، ترتفع منها الخيول الجياد الكثيرة.

2 – هلبك: قصبة الختل ومقر الملك. مدينة على سفح جبل آهلة بالسكان ورساتيقها قليلة.

3 – نجارى: مدينة حصينة وفيها نهران أحدهما خرناب والآخر جيحون. ولها ناحية تمتد حتى حدود بدخشان، وتدعى روستابيك، يحيط بها جيحون من جانب، ومن الجانب الآخر جبل، وهي ذات نعمة وفيرة وفرضة الختل .

4 – فارغر: مدينة عامرة ذات فواكه وزروع كثيرة، آهلة بالسكان.

5 – بارسارغ، منك، تمليات:مدن صغيرة ذات نعمة وفيرة، عامرة وأهلها مقاتلون.

6 – وخش: كورة عامرة على شاطئ وخشاب.

7 – هلاورد: قصبة وخش، مدينة ذات فواكه وزروع ورساتيق كثيرة. أهلها رماة ومقاتلون.

(1) مؤلف مجهول، حدود العالم، ص135 – 136.
(2) حدود العالم، ص137 – 138.

8 – ليوكند: من مدن وخش ترتفع منها الأغنام الوخشية.

9 – جاشت: بلاد وسط الجبال والصخور، تقع بين البتم والختل ذات رساتيق كثيرة وزروع وفواكه. وحكام هذه البلاد يدعون دهاقين جاشت.

10 – رختجب: قرية من وخان وبها المجوس الوخية

11 – سكاشم: مدينة. وقصبة ناحيتها وخان، وبها مجوس ومسلمون . وفيها يقيم ملك وخان. يرتفع من نواحيها الصفر واللبود والسروج والسهام الوخية.

12 – خمداذ: قرية فيها بيوت أصنام الوخيين، وبها قليل من التبتيين وإلى يسارها قلعة يقيم فيها تبتيون.

13 – سنكلنج: على سفح جبل فيه معدن البيجاذي البدخشي واللعل، وقرب المعدن ماء حار راكد لا يمكن وضع اليد فيه لشدة حرارته. وبين المعدن والتبت مسيرة يوم ونصف.

14 – ملحم: قرية تأتي بعد اجتياز البلدة السابقة.

15 – سمرقنداق: قرية كبيرة يسكنها الهندوس والتبتيون والوخيانيون والمسلمون، منطقة حدودية وهي آخر حدود ما وراء النهر.

16 – بلور: كورة عظيمة ولها ملك يقول: أنا ابن الشمس، وما لم تطلع الشمس لا ينهض من نومه ويعلل ذلك بقوله: لا ينبغي للولد أن ينهض قبل أبيه. ويدعونه بلورين شاه.وليس في هذه الكورة ملح إلا ما يؤتى به من كشمير.

17 – أندراسمدينة يسكنها التبت والهندوس. ومنها إلى كشمير مسير يومين.

18 – وأما خوارزمفإن ما يقع إلى الغرب من بلاد ما وراء النهر، فهو حدود خوارزم.

19 -كاث:قصبة خوارزم وباب تركستان الغوز، وهي فرضة الترك وبلاد تركستان وما وراء النهر والخزر، ويجتمع فيها التجار، وملكها من ملوك الأطراف ويدعى خوارزم شاه، وأهلها غزاة مقاتلون، وهي مدينة ذات تجارة واسعةذن يرتفع منها الصفر والوسائد والخفتان والكرباس واللبود والمصل والرخبين .

20 - خشميثن: مدينة يجتمع بها التجار ذات بضائع وفيرة.

21 - نوجابان: مدينة ذات سور وأبواب حديد ومياه جارية، مزدحمة بالسكان.

22 - الجرجانية: مدينة كانت تابعة قديما للملك خوارزمشاه وهي الآن مستقلة.وملكها يدعى أمير الجرجانية. وهي مدينة ذات تجارة واسعة ويجتمع بها التجار، وباب تركستان، وهي مدينتان: مدينة داخلة ومدينة خارجة، وأهلها معروفون بالقتال والرماية.

23 - بذمينية، قرية قراتكين: ثلاث مدن سكانها قليلون، وهي ذات زروع وفواكه.

24 - كردر: مدينة مزدحمة بالسكان ذات زروع وفواكه ترتفع منها بكثرة جلود الحملان.

25 - خيو : مدينة صغيرة ذات سور، من مدن الجرجانية.

26 - جند، خواره، قرية نو: ثلاث مدن على شاطئ نهر الشاش. على بعد عشر مراحل من خوارزم، وعشرين مرحلة من فاراب، وملك الغوز يأتي في الشتاء إلى قرية نو هذه.

ومن اهم القبائل التي اشار اليها هي الاتي: [1]

1 - يوجد جمع من الناس يسمّون كميجيين يقيمون في حدود الختل والصغانيان، وهم شجعان مقاتلون يمتهنون اللصوصية. تجارتهم في الأغنام

(1) مؤلف مجهول،حدود العالم،ص136.

والرقيق، ولهم قرى ورساتيق كثيرة لكن ليس لهم أي مدينة .

2 – في حدود الصغانيان بين شومان وبشكرد، توجد منطقة تدعى سيلاكان. وفي حدود الختل بين تمليات ومنك قوم يقيمون بين الجبل والصحراء بموضع فيه مياه جارية وخصب، وكل جمع من هؤلاء مطيع لأمر حاكم المنطقة التي هو فيها، وإن عليهم أن يعينوا أمراء الختل وأمراء الصغانيين حين يطلبون إليهم العون.

3 – ترك كنجينة: جمع قليل من الناس مقيمون بواد قرب جبل بين الختل والصغانيان وهو موضع خصب جدا، وهؤلاء القوم يمتهنون اللصوصية ويغيرون على القوافل وهم متغطرسون، ولهم على لصوصيتهم فتوة، وهم يمارسون اللصوصية في منطقة تمتد بين ثلاثين وأربعين فرسخا من المنطقة المحيطة بهم. ولهم صلة بأمير الختل وأولئك الصغانيين .

*رحلة ابن بطوطة (ت 779 هـ/ 1369 م) لاقاليم ومدن بلاد ما وراء النهر:

اشار ابن بطوطة الى معلومات واسعة عن رحلته الى خوارزم وسمرقند وبخارى ونخشب وسوف نذكرها هنا بالتفصيل لاهميتها في ذكر معلومات دقيقة ومشاهدات قيمة .

اشار قائلا:«ثم لما سلكنا هذه البرية وقطعناها ..... ووصلنا إلى خوارزم، وهي أكبر مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها. لها الأسواق المليحة والشوراع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الاثيرة، وهي ترتج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر. ولقد ركبت بها يوماً ودخلت السوق، فلما توسطته وبلغت منتهى الزحام في موضع يقال له الشهور، لم أستطع أن أجوز ذلك الموضع لكثرة الإزدحام، وأردت الرجوع فما أمكنني لكثرة الناس، فبقيت متحيراً وبعد جهد شديد رجعت، وذكر لي بعض الناس أن تلك السوق يخف زحامها يوم الجمعة، وتوجهت إلى المسجد الجامع والمدرسة، وهذه المدينة

تحت إمرة السلطان أوزبك، وله فيها أمير كبير يدعى قطلودمور، وهو الذي عمر هذه المدرسة وما معها من المواضع المضافة.

وأما الجامع فعمرته زوجته الخاتون الصالحة تُرَابَك، وبخوارزم مارستان له طبيب شامي .....،.ولم أر في بلاد الدنيا أحسن أخلاقًا من أهل خوارزم، ولا أكرم نفوسًا ولا أحب في الغرباء، ولهم عادة جميلة في الصلاة لم أرها لغيرهم، وهي أن المؤذنين بمساجدها يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلمًا لهم بحضور الصلاة، فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الامام بمحضر الجماعة، وفي كل جامع درة معلقة برسم ذلك، ويغرم خمسة دنانير تنفق في مصالح الجامع أو تطعم للفقراء والمساكين، ويذكرون أن هذه العادة عندهم مستمرة على قديم الزمان ». [1]

ثم تحدث عن اهم الانهار خارجها قائلا: «وبخارج خوارزم نهر جيحون، أحد الأنهار الأربعة من الجنة، وهو يجمد في أوان البرد كما يجمد نهر إتل ويسلك الناس عليه، وتبقى مدة جموده خمسة أشهر، وربما سلكوا عليه عند أخذه في الذوبان فهلكوا. ويسافر فيه أيام الصيف بالمراكب إلى تِرْمِذ، ويجلبون منها القمح والشعير، وهي مسيرة عشر للمنحدر، وبخارج خوارزم زاوية مبنية على تربة الشيخ نجم الدين البكري، وكان من كبار الصالحين، وفيها الطعام للوارد والصادر، وشيخهم المدرس سيف الدين بن عضبة من كبار أهل خوارزم. وبها ايضًا زاوية شيخها الصالح المجاور جلال الدين السمرقندي، من كبار الصالحين، أضافنا بها، وبخارجها قبر الامام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وعليه قبة، وَزَرَخْشَر قرية على مسافة أربعة أميال من خوارزم.

ولما اتيت بهذه المدينة نزلت بخارجها، وتوجه بعض أصحابي إلى القاضي

(1) ابن بطوطة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت 779هـ/ 1369 م)، تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 2011، ص373 – 375.

الصدر أبي حفص عمر البكري، فبعث الي نائبه نور الإسلام، فسلم علي ثم عاد إليه، ثم أتى القاضي في جماعة من أصحابه فسلم علي، وهو فتي السن كبير الفعال، وله نائبان أحدهما نور الإسلام المذكور، والآخر نور الدين الكرماني من كبار الفقهاء، وهو الشديد في أحكامه القوي في ذات الله تعالى، ولما حصل الاجتماع بالقاضي قال لي: إن هذه المدينة كثيرة الزحام ودخولكم نهاراً لا بتأتى، وسيأتي إليكم نور الإسلام لتدخلوا معه في آخر الليل ، ففعلنا ذلك، ونزلنا بمدرسة جديدة ليس بها أحد.

ولما كان بعد صلاة الصبح أتى إلينا القاضي المذكور ومعه من كبار المدينة جماعة، منهم مولانا همام الدين، ومولانا زين الدين المقدسي، ومولانا رضي الدين، ومولانا فضل الله الرصوي، ومولانا جلال الدين العمادي، ومولانا شمس الدين السنجري إمام أميرها، وهم أهل مكارم وفضائل، ..... وكنت أيام إقامتي بها أصلي الجمعة مع القاضي أبي حفص عمر المذكور بمسجده، فإذا فرغت الصلاة ذهبت معه إلى داره، وهي قريبة من المسجد، فأدخل معه إلى مجلسه، وهو من أبدع المجالس، فيه الفرش الحافلة، وحيطانه مكسوة بالملف، وفيه طيقان كثيرة، وفي كل طاق منها أواني الفضة المموهة بالذهب والأواني العراقية.

وكذلك عادة أهل تلك البلاد أن يصنعوا في بيوتهم، ثم يأتي بالطعام الكثير، وهو من أهل الرفاهية والمال الكثير والرباع، وهو سلف الأمير قطلودمور متزوج بأخت امرأته واسمها جيجا أغا، وبهذه المدينة جماعة من الوعاظ والمذكورين، وأكبرهم مولانا زين الدين المقدسي، والخطيب مولانا حسام الدين المشاطي الخطيب المصقع، أحد الخطباء الأربعة الذين لم أسمع في الدنيا أحسن منهم».[1]

وتحدث عن امير خوارزم قائلا: «(وأمير خوارزم) هو الأمير الكبير قُطْلودمور، ومعنى اسمه الحديد المبارك، لأن « قطر» هو المبارك و « دمور» هو

(1) ابن بطوطة، الرحلة، ص375 - 376.

الحديد. وهذا الأمير ابن خالة السلطان المعظم محمد أوزبك وأكبر أمرائه، وهو واليه على خراسان، وولده هارون بك متزوج بابنة السلطان المذكور التي أمها الملكة طيطغلي ..، وامرأته الخاتون ترابك صاحبة المكارم الشهيرة.

ولما أتاني القاضي مسلماً علي ...، قال لي: إن الأمير قد علم بقدومك، وبه بقية مرض يمنعه من الإتيان إليك»، فركب مع القاضي إلى زيارته وأتينا داره، فدخلنا مشوراً كبيراً اكثير بيوته خشب. ثم دخلنا مشوراً صغيراً فيه قبة خشب مزخرفة، قد كسيت حيطانها بالملف الملون وسقفها بالحرير المذهب، والأمير على فرش له من الحرير وقد غطى رجليه لما بهما من النقرس، وهي فاشية في الترك. فسلمت عليه، وأجلسني إلى جانبه، وقعد القاضي والفقهاء، وسالني عن سلطانه الملك محمد أوزبك وعن الخاتون بيلون وعن أبيهما وعن مدينة القسطنطينية فأعلمته بذلك كله، ثم أتي بالموائد، فيها الطعام من الدجاج المشوية والكراكي وأفراخ الحمام وخبز معجون بالسمن يسمونه الكليجا والكعك والحلوى. ثم أتي بموائد أخرى فيها الفواكه من الرمان المحبب في أواني الذهب والفضة ومعه ملاعق الذهب، وبعضه في أواني الزجاج العراقي ومعه ملاعق الخشب، ومن العنب والبطيخ العجيب.

ومن عوائد هذا الأمير أن يأتي القاضي في كل يوم إلى مشوره، ويجلس بمجلس معد له ومعه الفقهاء وكتابه، ويجلس في مقابلة أحد الأمراء الكبراء ومعه ثمانية من كبراء أمراء الترك وشيوخهم يسمون الأرغجية، ويتحاكم الناس إليهم. فما كان من القضايا الشرعية حكم فيها القاضي، وما كان من سواها حكم فيها أولئك الأمراء. وأحكامهم مضبوطة عادلة، لأنهم لايتهمون بميل ولايقبلون رشوة. ولما عدنا إلى المدرسة بعد الجلوس مع الأمير، بعض إلينا الأرز والدقيق والسمن والأبزار وأحمال الحطب. وتلكالبلاد كلها لايعرف بها الفحم، وكذلك الهند وخراسان وبلاد العجم، وأما الصين فيوقدون فيها حجارة تشتعل فيها

النار كما تشتعل في الفحم، ثم إذا صارت رماداً عجنوه بالماء وجففوه بالشمس وطبخوا بها ثانية كذلك حتى يتلاشى، صليت في بعض أيام الجمع على عادتي بمسجد أبي حفص، فقال لي: إن الأمير أمر لك بخمسمائة درهم، وأمر أن يصنع لك دعوة ينفق فيها خمسمائة درهم أخرى يحضرها المشايخ والفقهاء والوجوه.

فلما أمر بذلك قلت: « ايها الأمير تصنع دعوة يأكل من حضرها لقمة أو لقمتين، لجعلت له جميع المال كان أحسن له للنفع . فقال: فعل ذلك . وقد أمر لك بالألف كاملة، ثم بعثها الأمير صحبة إمامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه، وصرفها من الذهب المغرب ثلاثمائة دينار، وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرساً أدهم اللون بخمسة وثلاثين ديناراً دراهم وركبته في ذهابي إلى المسجد، فما أعطيت ثمنه إلا من تلك الألف، وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت إلى عدد لا أذكره خيفة مكذب يكذب به، ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند.

وكانت عندي خيل كثيرة، لكني كنت أفضل هذا الفرس وأوثره وأربطه أمام الخيل، وبقي عندي إلى انقضاء ثلاث سنين، ولما هلك تغيرت حالي، وبعثت إلي الخاتون جيجا أغا أمرأة القاضي مائة دينار دراهم، وصنعت لي أختها ترابك زوجة الأمير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة بزاويتها التي بنتها، وفيها الطعام للوارد والصادر، وبعثت الي بفروة سمور وفرس جيد، وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن جزاها الله خيراً.

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية، تعرضت لي بالباب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة ومعها نسوة لا أذكر عددهن، سلمت علي، فرددت عليها السلام ولم أقف معها ولا التفت اليها. فلما خرجت أدركني بعض الناس وقالوا لي أن المرأة التي سلمت علي هي الخاتون، فخجلت عند ذلك وأردت الرجوع إليها، فوجدتها قد

انصرفت. فأبلغت إليها السلام مع بعض خدامها، واعتذرت عما كان مني لعدم معرفتي بها».[1]

واشار الى بطيخ خوارزم قائلا :«وبطيخ خوارزم لانظير له في بلاد الدنيا شرقًا ولا غربًا، إلا ما كان من بطيخ بخارى، ويليه بطيخ أصفهان، وقشره أخضر وباطنه أحمر، وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة، ومن العجائب أنه يقدد وييبس في الشمس في القواصر، كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين المالقي، ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين، وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه. وكنت أيام إقامتي بدهلي من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطيخ، وكان ملك الهند إذا أتي بشيء منه بعث الي به لما يعلم من محبتي فيه، ومن عادته أنه يطرف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقدهم بذلك».[2]

وتحدث عن صحبته لاحد الشرفاء في كربلاء قائلا: «كانت قد صحبني من مدينة السرا إلى خوارزم شريف من أهل كربلاء يسمى علي بن منصور، وكان من التجار، فكنت أكلفه أن يشتري لي الثياب وسواها، فكان يشتري لي الثوب بعشر دنانير ويقول: اشتريتها بثمانية، ويحاسبني بالثمانية، ويدفع الدينارين من ماله. وأنا لا علم لي بفعله إلى أن تعرفت على ذلك من ألسنة الناس، وكان مع ذلك قد أسلفني دنانير.

فلما وصل إلي إحسان أمير خوارز م رددت إليه ما أسلفنيه، وأردت أن أحسن بعده إليه مكافأة لأفعاله الحسنة، فأبى ذلك وحلف أن لا أفعل. وأردت أن أحسن إلى فتى كان له اسمه كافور،فحلف أن لا أفعل، وكان أكرم من لقيته من العراقيين، وعزم على السفر معي إلى بلاد الهند.

ثم إن جماعة من أهل بلده وصلوا خوارزم برسم السفر إلى الصين، فأخذ

(1) ابن بطوطة، الرحلة، ص376 – 377.
(2) ابن بطوطة، الرحلة، ص377 – 378.

في السفر معهم فقلت له في ذلك، فقال: هؤلاء أهل بلدي، يعودون إلى أهلي وأقاربي ويذكرون أني سافرت إلى الهند برسم الهدية فيكون سبة، علي، لا أفعل ذلك، وسافر معهم إلى الصين. فبلغني بعد وأنا بأرض الهند أنه لما بلغ إلى مدينة المالق، وهي آخر البلاد من عمالة ما وراء النهر وأول بلاد الصين، أقام بها وبعث فتى له بما كان عنده من المتاع فأبطأ الفتى عليه.

وفي أثناء ذلك وصل من بلده بعض التجار ونزل معه في فندق واحد، فطلب منه الشريف أن يسلفه شيئًا بخلال ما يصل فتاه، فلم يفعل، ثم أكد قبح ما صنع في عدم التوسعة على الشريف بأن أراد الزيادة عليه في المسكن الذي كان له في الفندق، فبلغ ذلك الشريف فاغتم منه، ودخل إلى بيته فذبح نفسه، فأدرك وبه رمق، واتهموا غلامًا كان له بقتله، فقال: لاتظلموه فإني أنا فعلت ذلك ، ومات من يومه غفر له الله.

وكان قد حكى لي عن نفسه أنه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قرضًا، فلقيه ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام، فطلبه بالمال، وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين، فاستحيا من صاحب المال، ودخل إلى بيته وربط عمامته بسقف البيت وأراد أن يخنق نفسه. وكان في أجله تأخير، فتذكر صاحبًا له من الصيارفة فقصده، وذكر له القضية فسلفه مالاً دفعه للتاجر».[1]

وعن رحلته الى مدينة نخشب اشار قائلا:« ولما أردت السفر من خوارزم اكتريت جمالاً، واشتريت محارة وكان عديلي بها عفيف الدين التورزي، وركب الخدام بعض الخيل وجللنا باقيها لأجل البرد. ودخلنا البرية التي بين خوارزم وبخارى، وهي مسيرة ثمانية عشر يومًا في رمال لا عمارة بها إلا بلدة واحدة. فودعت الأمير قطلودمور، وخلع علي خلعة وخلع علي القاضي أخرى، وخرج مع الفقهاء لوداعي، وسرنا أربعة أيام ووصلنا إلى مدينة ألكات، وليسبهذه الطريق

(1) ابن بطوطة، الرحلة، ص378 – 379.

عمارة سواها، وهي صغيرة حسنة، نزلنا خارجها على بركة ماء قد جمدت من البرد، فكان الصبيان يلعبون فوقها ويزلقون عليها.

وسمع بقدومي قاضي ألكات ويسمى صدر الشريعة، وكنت قد لقيته بدار قاضي خوارزم ، فجاء إليَّ مسلماً مع الطلبة وشيخ المدينة الصالح العابد محمود الخيوفي. ثم عرض علي القاضي الوصول إلى أمير تلك المدينة، فقال له الشيخ محمود: القادم ينبغي له أن يزار، وان كانت لنا همة نذهب إلى أمير المدينة ونأتي به، ففعلوا ذلك، وأتى الأمير بعد ساعة في أصحابه وخدامه فسلمنا عليه، وكان غرضنا تعجيل السفر فطلب منها الإقامة، وصنع دعوة جمع لها الفقهاء ووجوه العساكر وسواهم، ووقف الشعراء يمدحونه، وأعطاني كسوة وفرساً جيداً، وسرنا على الطريق المعروفة بسيباية في تلك الصحراء مسيرة ست أيام دون ماء، ووصلنا بعد ذلك إلى بلدة وبكنة، وهي على مسيرة يوم واحد من بخارى، بلدة حسنة ذات انهار وبساتين، وهم يدخرون العنب من سنة إلى سنة، وعندهم فاكهة يسمونها العلو، فيبسونه ويجلبه الناس إلى الهند والصين، ويجعل عليه الماء ويشرب ماؤه، وهو أيام كونه أخضر حلو، فإذا يبس صار فيه يسير حموضة، ولحميته كثيرة، ولم أرَ مثله بالأندلس ولا بالمغرب ولا بالشام».[1]

واشار قائلا: «ثم سرنا في بساتين متصلة وأنهار وأشجار وعمارة يوماً كاملاً، ووصلنا إلى مدينة بخارى التي ينسب إليها إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وهذه المدينة كانت قاعدة ما وراء نهر جيحون من البلاد، وخربها اللعين تنكيز التتري جد ملوك العراق فمساجدها الآن ومدارسها وأسواقها خربة إلا القليل، وأهلها أذلاء. .. وليس بها اليوم من الناس من يعلم شيئاً من العلم ولا من له عناية به».[2]

(1) ابن بطوطة، الرحلة، ص 380.
(2) ابن بطوطة، الرحلة، ص381.

وعن جنكيز خان خان تحدث قائلا: «كان تنكيز خان حداداً بأرض الخطا، وكان له كرم نفس وقوة وبسطة في الجسم، وكان يجمع الناس ويطعمهم، ثم صارت له جماعة فقدموه على أنفسهم. وغلب على بلده وقوي، واشتدت شوكته واستفحل أمره، فغلب على ملك الخطا ثم على ملك الصين، وعظمت جيوشه، وتغلب على بلاد الختن وكاشغر والمالق.

وكان جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان وبلاد ما وراء النهر له قوة عظيمة وشوكة، فهابه تنكيز وأحجم عنه ولم يتعرض له. فاتفق أن بعث تنكيز تجاراً بأمتعة الصين والخطا من الثياب الحريرية وسواها إلى بلدةأطرار، وهي آخر عمالة جلال الدين، فبعث إليه عامله عليها معلماً واستأذنه ما يفعل في أمرهم، فكتب إليه يأمره أن يأخذ أموالهم ويمثل بهم ويقطع أعضاءهم ويردهم إلى بلادهم، لما أراد الله تعالى من شقاء أهل بلاد المشرق ومحنتهم، رأيا قاتلاً وتدبيراً سيئاً مشئوماً.

فلما فعل ذلك تجهز تنكيز بنفسه في عساكر لاتحصى كثرة برسم غزو بلاد الإسلام فلما سمع عامل أطرار بحركته بعث الجواسيس ليأتوه بخبره، فذكر أن أحدهم دخل محلة بعض أمراء تنكيز في صورة سائل فلم يجد من يطعمه، ونزل إلى جانب رجل منهم فلم ير عنده زاداً ولا أطعمه شيئاً، فلما أمسى أخرج مصراناً يابسة عنده فبلها بالماء وقصد فرسه وملأها بدمه وعقدها وشواها بالنار فكانت طعامه، فعاد إلى أطرار فأخبر عاملها بأمرهم، وأعلمه أن لا طاقة لأحد بقتالهم فاستمد مليكه جلال الدين فأمده بستين ألفاً زيادة على ما كان عنده من العساكر.

فلما وقع القتال هزمهم تنكيز، ودخل مدينة أطرار بالسيف، فقتل الرجال وسبى الذراري، وأتى جلال الدين بنفسه لمحاربته، فكانت بينهم وقائع لايعلم في الإسلام مثلها، وآلالأمر إلى أن تملك تنكيز ما وراء النهر، وخرب بخارى وسمرقند وترمذ، وعبر النهر، وهو نهر جيحون، إلى مدينة بَلْخ فتملكها، ثم إلى اليامیان

فتملكها، وأوغل في بلاد خراسان وعراق العجم، فثار عليه المسلمون في بلخ وفي ما وراء النهر، فكر عليهم ودخل بلخ بالسيف وتركها خاوية على عروشها، ثم فعل مثل ذلك في ترمذ . فخربت ولم تعمر بعد، لكن بنيت مدينة على ميلين منها هي التي تسمى اليوم ترمذ، وقتل أهل الباميان، وهدمها بأسرها إلى صومعة جامعها. وعفا عن أهل بخارى وسمرقند ثم عاد بعد ذلك إلى العراق، وانتهى أمر التتر حتى دخلوا حضرة الإسلام ودار الخلافة بغداد بالسيف، وذبحوا الخليفة المستعصم بالله العباسي».[1]

وتحدث ابن بطوطة عن مدينة بخارى قائلا :«ونزلنا من بخارى بربضها المعروف بفتح أباد، حيث قبر الشيخ العالم العابد الزاهد سيف الدين الباخرزي، وكان من كبار الأولياء، وهذه الزاوية المنسوبة لهذا الشيخ حيث نزلنا عظيمة، لها أوقاف ضخمة يطعم منها الوارد والصادر، شيخها من ذريته وهو الحاج السياخ يحيى الباخرزي، وأضافني هذا الشيخ بداره، وجمع وجوه أهل المدينة، وقرأ القراء بالأصوات الحسان، ووعظ الواعظ، وغنوا بالتركي والفارسي على طريقة حسنة، ومرت لنا هنالك ليلة بديعة من أعجب الليالي، ولقيت بها الفقيه العالم الفاضل صدر الشريعة، وكان قد قدم من هراة، وهو من الصلحاء الفضلاء.

وزرت ببخارى قبر الامام العالم أبي عبد الله البخاري مصنف الجامع الصحيح، شيخ المسلمين ...، وعليه مكتوب: هذا قبر محمد بن إسماعيل البخاري، وقد صنف من الكتب كذا وكذا ، وأيضاً على قبور علماء بخارى أسماؤهم وأسماء تصانيفهم، وكنت قيدت من ذلك كثيراً، وضاع في جملة ما ضاع لي لما سلبني كفار الهند في البحر».[2]

ثم اشار الى تفاصيل اخرى منها قوله: « ثم سافرنا من بخارى قاصدين

(1) ابن بطوطة، الرحلة، ص381 – 382.
(2) الرحلة، ص382.

معسكر السلطان الصالح المعظم علاء الدين طرمشرين،... فمررنا على نَخْشَبْ، البلدة التي ينسب اليها الشيخ أبو تراب النخشبي، وهي صغيرة تحف بها البساتين والمياه. فنزلنا بخارجها بدار لأميرها، وعندي جارية قد قاربت الولادة، وكنت أردت حملها إلى سمرقند لتلد بها، فاتفق أنها كانت في المحمل، فوضع الجمل، وسافر أصحابنا من الليل وهي معهم والزاد وغيره من أسبابي، وأقمت أنا حتى أرتحل نهاراً مع بعض من معي، فسلكوا طريقاً وسلكت طريقاً سواها».[1]

ومن اهم المدن التي زارها ابن بطوطة سمرقند، اذ استفاض في ذكر معلومات واسعة عنها قائلا: «ولما ودعت السلطان طرمشيرين سافرت إلى سمرقند، وهي من أكبر المدن وأحسنها وأتمها جمالاً، مبنية على شاطئ واد يعرف بوادي القصارين عليه النواعير تسقي البساتين، وعنده يجتمع أهل البلد بعد صلاة العصر للنزهة والتفرج، ولهم عليه مساطب ومجالس يقعدون عليها، ودكاكين تباع بها الفاكهة وسائر المأكولات، وكانت على شاطئه قصور عظيمة وعمارة تنبئ عن علو همم أهلها، فدثر أكثر ذلك، وكذلك المدينة خرب كثير منها، ولا سور لها ولا أبواب عليها، وفي داخلها البساتين.

وأهل سمرقند لهم مكارم أخلاق ومحبة في الغريب، وهم خير من أهل بخارى. وبخارج سمرقند قبر قثم بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وعن العباس وعن ابنه، وهو المستشهد حين فتحها، ويخرج أهل سمرقند كل ليلة اثنين وجمعة إلى زيارته والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة، ويأتون إليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير، فيصرف ذلك في النفقة على الوارد والصادر ولخدام الزاوية والقبر المبارك، وعليه قبة قائمة على أربع أرجل، ومع كل رجل ساريتان من الرخام، منها الخضر والسود والبيض والحمر، وحيطان القبة بالرخام المجزع المنقوش بالذهب، وسقفها مصنوع بالرصاص، وعلى القبر

(1) ابن بطوطة، الرحلة، ص383.

خشب الأبنوس المرصع مكسو الأركان بالفضة، وفوقه ثلاثة من قناديل الفضة، وفرش القبة بالصوف والقطن، وخارجها نهر كبير يشق الزاوية التي هنالك، على حافتيه الاشجار ودوالي العنب والياسمين.

وبالزاوية مساكن يسكنها الوارد والصادر، ولم يغير التتر أيام كفرهم شيئاً من حال هذا الموضع المبارك، وكانوا يتبركون به لما يرون له من الآيات. وكان الناظر في كل حال من هذا الضريح المبارك وما يليه حين نزولنا به، الأمير غياث الدين محمد بن عبد القادر بن عبد العزيز بن يوسف الخليفة المستنصر بالله العباسي. قدمه لذلك السلطان طرمشيرين لما قدم عليه من العراق، وهو ان عند ملك الهند».[1]

وتحدث عن لقائه بصدر جهان قائلا: «ولقيت بسمرقند قاضيها المسمى عندهم صدر الجهان، وهو من الفضلاء ذوي المكارم، وسافر إلى بلاد الهند بعد سفري إليها، فأدركته منيته بمدينة ملتان قاعدة بلاد السند، لما مات هذا القاضي بملتان كتب صاحب الخبر بأمره إلى ملك الهند، وأنه قد ترسم بابه فاخترم دون ذلك. فلما بلغ الخبر الملك أمر أن يبعث إلى أولاده عدد من آلاف الدنانير لا أذكره الآن، وأمر أن يعطى لأصحابه ما كان يعطى لهم لو وصلوا معه وهو بقيد الحياة.

ولملك الهند في كل بلد من بلاده صاحب الخبر، يكتب له ما يجري في ذلك البلد من الأمور وممن يرد عليه من الواردين، وإذا أتى الوارد كتبوا من أي البلاد ورد، وكتبوا اسمه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل، وجميع شئونه وتصرفاته وما يظهر منه من فضيلة أو ضدها، فلا يصل الوارد إلى الملك إلا وهو عارف بجميع حاله، فتكون كرامته على مقدار ما يستحقه».[2]

(1) الرحلة، ص391 - 392.
(2) ابن بطوطة، الرحلة، ص392.

الخاتمة

تمخضت عن هذه الدراسة عدد من النتائج المهمة من ابرزها:

1. يقصد بـ «ما وراء النهر» أي البلاد الواقعة وراء نهر جيحون إذ عُدَّ هذا النهر هو الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية والمستقرة في خراسان ، وتُورَان .

2. تضمنت بلاد ما وراء النهر مسميات عدة اختلفت من مرحلة الى اخرى

3. لبلاد ما وراء النهر اهمية جغرافية واقتصادية وسياسية نظرا لما تمتلكه من ثروات طبيعية متنوعة .

4. تعد مشاهدات الجغرافيين والرحالة اكثر صدقا ودقة نظرا لما شاهدوه بأنفسهم لمدن واقاليم هذه البلاد.

5. من ابرز اقاليم بلاد ما وراء النهر خوارزم،ومن اهم مدنه بخارى وسمرقند والشاش وفرغانة وغيرها.

6. تعددت وتنوعت القوى السياسية التي تكالبت من اجل السيطرة على بلاد ما وراء النهر لاهميته الجغرافية والسياسية .

7. تعد رحلة ابن بطوطة مهمة جدا اذ نقل لنا مشاهداته بدقة عن بلاد ما وراء النهر ولاسيما زيارته لخوارزم ونخسب وبخارى وسمرقند،اذ استفاض بالحديث عن مظاهرها العمرانية ونشاطها الاقتصادي واهم شيوخها .

قائمة المصادر والمراجع

1 -الادريسي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت560هـ/ 1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م

2 -الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت340هـ / 951م)، مسالك الممالك، بريل، ليدن، 1346هـ/ 1927م

3 -ابن بطوطة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت 779 ه/ 1369 م)، تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط5، 2011.

4 - البلخي، ابو زيد احمد بن سهل (340هـ/ 951م)، صور الاقاليم، مخطوطة مصورة على مايكروفيلم محفوظة في مكتبة اية الله الحكيم العامة، النجف، تحت رقم 632

5 -البكري، ابوعبيد الله بن عبد العزيز محمد (ت487هـ/ 910م)، المسالك والممالك، حققه ووضع فهارسه : د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/ 2003م

6 - معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا، دار عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ

7 - ابو حامد الغرناطي، محمد بن عبدالرحيم الاندلسي (ت565هـ/ 1169م):، تحفة الالباب ونخبة الاعجاب، باريس، 1925م.

8 - الحديثي، د. قحطان عبد الستار، ارباع خراسان الشهيرة،دراسة في احوالها الجغرافية والادارية والاقتصادية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مطبعة دار الحكمة،البصرة، د. ت

9 – الحموي، ابو عبدالله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت

10 –ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت 367هـ/ 977م) ،صورة الأرض، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت،ط2، 1938م

11 – الحميري، محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ/ 1494م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق : د. احسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط2، 1984 م، ص132.

12 – ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت في حدود 300هـ/ 910م)، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت

13 – شيخ الربوة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري (ت 727هـ/ 1326م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع بمطبعة المرحوم فرين احد اعضاء الاكادمية الامبراطورية، مدينة بطربورغ، 1281 هـ/ 1865 م

14 – الطائي، سعاد هادي حسن، العنبكي، شيماء فاضل عبد الحميد، الجذور التاريخية لمصطلح بلاد ما وراء النهر وموقعها الجغرافي، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، كلية الاداب، جامعة بغداد، العدد 46 ، 2015 .

15 – ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت739هـ/ 1338م)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992.

16 –ابو الفدا، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن يحيى (ت732هـ/ 1331م) ، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه : رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م .

17 – ابن الفقيه الهمذاني، ابو بكر احمد بن محمد(ت286هـ/ 899م)،

مختصر كتاب البلدان، بريل، ليدن، 1302م.

18 – القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت 682 هـ/ 1283 م) ، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

19 – لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية واضاف اليه تعليقات بلدانية وتاريخية واثرية ووضع فهارسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1373هـ/ 1954م.

20 – مؤلف مجهول (ت بعد 372هـ / 982م)،حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423هـ .

21 – المقدسي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (ت 375هـ/ 985م)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، بريل، ليدن، 1904م.

22 – المنجم،الشيخ اسحاق بن حسين (من علماء القرن 5هـ/ 11م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان،د.م، د.ت.

23 – واصف بك، امين، الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية، تحقيق: الاستاذ احمد زكي باشا، دار المصري للطباعة، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت.

24 –ابن الوردي،سراج الدين ابو حفص عمر بن المظفر (ت 861هـ/ 1457م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت .

25 – اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر (ت284هـ/ 897م)، البلدان، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002.

26 – ابن يونة التطيلي، بنيامين البناري الاندلسي(ت 596هـ/ 1173م)، رحلة بنيامين، ترجمه عن العبرية: عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ط1، 1945م.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

عنوان المقال: المدارس النظامية ببلاد ما وراء النهر (مشروع الوزير نظام الملك الطوسي لحماية المجتمع من فكر الباطنية خلال القرنين 05-06هـ/ 11-12م)

Title in English; Regular schools in the countries beyond the river (the project of Minister Nizam al-Malik al-Tusi to protect society from esoteric thought during the centuries 05-06 AH / 11 - 12 AD)

الاسم واللقب[1]* بغداد سحيري العنوان الكامل لمؤسسة الانتماء: جامعة المدية (الجزائر)، الإيميل: sahiribakdad@gmail.com

الملخص:

لا شك فيه أن العلم هو قوام كل الدول وأساسها، وإن كل الحضارات التي مرت عبر التاريخ إنما ارتقت بالعلم، وإن التطور العلمي مما مرهون دائما بعوامل يرتقي به، فإن حضرت مجتمعة بلغ التطور العلمي منتهاه، ومن هذه العوامل نجد تشجيع ولاة الأمور من جهة، وتوافر الوسائل من جهة أخرى كالمدارس، وقد ذكرت لنا كتب التاريخ أن بلاد ما وراء النهر قد اجتمعت فيها هذه العوامل خلال القرنين 05-06ه/ 11-12م، حيث انتشرت في ذلك الوقت أفكار تقول بحصرية إمامة المسلمين لدى آل البيت، وإن لم تكن هذه الأفكار جديدة، إلا أنها استفحلت في ذلك الوقت بالنظر إلى الجهل الذي كان يخيم إلى أجزاء واسعة من هذا الإقليم، ولما رأى الوزير السلجوقي نظام الملك هذا الأمر استعظمه، وحمل على عاتقه لواء التصدي لهذا الفكر عن طريق تعليم الناس، فأطلق مشروع بناء المدارس في كل المناطق الواقعة تحت سلطان الدولة وجلب لها العلماء وشجعهم للمكوث بها وتدريس الناس تعاليم الإسلام الصحيح،

وهدفه دحض الفكر الباطني القائل بإمامة آل البيت دون غيرهم، وقد كان لهذا المشروع الأثر البالغ في تعليم الناس، بحيث تخرج من هذه المدارس علماء كبار بلغت إنتاجاتهم الآفاق، وهي إلى اليوم مناهل العلماء في التعريف بالدين الصحيح مقابل كشف حقيقة الفكر الباطني المزيف.

الكلمات المفتاحية: المدارس النظامية – نظام الملك – الفكر الباطني – بلاد ما وراء النهر.

Abstract: Undoubtedly, science is the strength and basis of all states, and that all civilizations that have passed through history have advanced through science, and scientific development is always dependent on factors that advance it. And the availability of means on the other hand, such as schools, and history books mentioned to us that the countries beyond the river had met in these factors during the centuries 05-06 AH / 11-12 AD, as ideas spread at that time saying that the Muslims were exclusively led by Aal al-Bayt, even if this was not The ideas are new, but they were exacerbated at that time in view of the ignorance that was hanging over large parts of this region, However, it became exacerbated at that time in view of the ignorance that was prevailing in large parts of this region, and when the Seljuk minister Nizam al-Mulk saw this matter, he considered it great, and took upon himself the banner of confronting this thought by educating people, so he launched a project to build schools in all the areas under his rule. The authority of the state and brought scholars to it and encouraged them to stay there and teach people the teachings of true Islam, and its goal is to refute the esoteric thought that calls for the leadership of Ahl al-Bayt and not others. Scholars in defining the true religion in exchange for revealing the truth of the false esoteric thought.

Keywords: Nizamiyya Schools- Nizam Al-Mulk- Esoteric Thought- Transoxiana.

* اسم المؤلف المرسل: بغداد سحيري – الإيميل: sahiribakdad@gmail.com

مقدمة

تجمع جل مصادر التاريخ أن منطقة ما وراء النهار كانت على الدوام مستقر الحركات المناوئة للسلطة المركزية في المشرق الإسلامي (العباسيين وقبلهم بنو أمية)، ولم يكن كثير من أهل هذه المنطقة يخضعون لسلطان إلا إن كانوا مكرهين على ذلك، ولعل السبب في ذلك هو عدم تمكن الدين فيهم، إضافة إلى دخول أهل الفتن بينهم من الطوائف التي انتسبت للإسلام، خاصة بعد ضعف الدولة العباسية.

واستمر الوضع على الحال تلك حتى استفحل أمر هذه الطوائف مع نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس وخاصة الباطنية منهم، ولم يكن بمقدور الدولة السلجوقية ضبط الأمور رغم قوتها العسكرية، ما اضطر وزيرها المشهور نظام الملك الطوسي لابتداع سياسة جديدة يحصّن بها الأمة، وهي تعميم التعليم على عامة الناس، لتعليمهم الدين الصحيح فيعرفوا أوامره ونواهيه، غير أن هذا الأمر يتطلب بناء مدارس أولا، فشرع في ذلك منذ أن تولى الوزارة زمن السلطان ألب أرسلان، وبدأ ببناء المدارس التي حملت اسمه، وأغدق عليها الأموال كما جلب لها العلماء والمدرسين من كل مكان، وغاية مطلوبه هو حماية المجتمع السني من فكر الباطنية.

وفي هذا المقال المعنون ب: المدارس النظامية ببلاد ما وراء النهر (مشروع الوزير نظام الملك الطوسي لحماية المجتمع من فكر الباطنية خلال القرنين 05-06هـ/ 11-12م)، نحاول أن نتطرق إلى سياسة الوزير نظام الملك في المحافظة على المجتمع السني ببلاد ما وراء النهر من الفكر الباطني، عن طريق التعليم لنجيب بذلك على الإشكالية التالية: إلى أي مدى استطاعت المدارس النظامية حماية المجتمع السني من الفكر الباطني؟

ولمعالجة الموضوع قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاث عناصر رئيسية إضافة إلى مقدمة وخاتمة، جعلنا العنصر الأول خاص بالوزير نظام الملك، كونه صاحب فكرة المدارس، أما العنصر الثاني فجعلناه للمدارس النظامية بحيث ذكرنا أهمها، بينما جعلنا العنصر الأخير لدور المدارس في حماية مجتمع ما وراء النهر، واعتمدنا في خلال ذلك على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع ذات العلاقة بالموضوع.

1: الوزير نظام الملك:

1.1: تعريفه:

هو الحسن بن علي بن إسحاق الملقب بنظام الملك، ولد بنواحي الراذكان أو نوقان، وهما بليدتان صغيرتان تابعة لمدينة طوس[1]، ولد يوم الجمعة 11 ذي القعدة سنة 408ه/ 1018م، وقد كان أبوه من أصحاب محمود بن سبكتكين[2]، توفيت أمه وهو لا زال رضيعا، فكان أبوه يطوف به بين المرضعات فيرضعنه حسبة[3].

2.1: نشأته:

تربى على الجد في العمل فكان صبورا على الفاقة، ومما يذكر عنه أنه لم

(1) طوس: وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران والثانية نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية، فتحت في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه... أنظر الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر (بيروت)، ط1 (1397هـ/ 1977م)، ج04، ص 49.

(2) محمود بن سبكتكين: يلقب بالسلطان الكبير، وهو أبو القاسم يمين الدولة ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور، كان صادق النية في إعلاء كلمة الله توفي سنة 421ه. أنظر الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ومشاهير الوفيات الأعيان، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1996م، ج9، ص 369.

(3) ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط4 (1423هـ/ 2004م)، ج8، 480. عمر أنور الزبداني: الوزير السلجوقي نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (408/ 485هـ)، تق: محمد الزحيلي، دار العصماء (دمشق)، ط1 (1438هـ/ 2017م)، ص 40.

يكن ميالا إلى اللهو واللعب رغم صغر سنه، وكان أكثر اهتمامه هو طلب العلم، فحفظ القرآن وهو في الحادي عشر من عمره، وأخذ الفقه على مذهب الشافعية على يد والده، وبعد وفاة أبيه انتقل إلى غزنة ودخل في خدمة صاحبها أبي الفضل سوري بن المعتز[1]، المعروف باستقامته، فتربى نظام الملك على منهجه وأخذ منه، ولما نبغ ولاه أعمال طوس يجمع ضرائبها، واستمر على حاله تلك مدة[2].

3.1: وزارته:

المشهور عن نظام الملك هو لقب الوزير، وهو المنصب الذي تولاه في عهد السلطان السلجوقي ألب أرسلان[3] ثم ابنه ملكشاه، ولذلك لقب بتاج الحضرتين، لأنه وزير لسلطانين[4]، وكان قبلهما قد دخل في خدمة داوود بن ميكائيل والد ألب أرسلان عندما كان أميرا على خراسان في بداية سلطنة طغرل بك[5]، حيث جعله مستشارا عنده لما رآه فيه من نباهة، ثم ألحقه بحاشية ابنه ألب أرسلان، واستوصاه خيرا به، كما

(1) أبي الفضل سوري بن المعتز، كان أميرا على خراسان في عهد مسعود الغزنوي، تولى إمرتها سنة 425هـ/ 1034م. أنظر علي بن زيد البيهقي، تاريخ بيهق وذكر العلماء والأئمة الأفاضل الذين نبغوا فيها أو انتقلوا إليها، ترجمه عن الفارسية وحققه، يوسف الهادي، دار إقرأ، دمشق، ط1، 1428هـ/ 2004م، ص 189.

(2) البيهقي، المصدر نفسه، ص 189.

(3) وهو أبو شجاع محمد بن جغري بك بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب بعضد الدولة، ولد سنة 424ه، وهو ابن أخ السلطان طغرل بك، تولى السلطنة بعده، واستولى على الممالك، وعظمت مملكته ورهبت سطوته، وملك من البلاد ما لم يكن لعمه مع سعة ملكه، توفي مقتولا سنة 465ه. أنظر: ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د-س-ن، ج05، ص 69 - 70.

(4) نظام الملك الطوسي، سير الملوك أو سياست نامة، ترجمه عن الفارسية، يوسف بكار، دار المناهل، بيروت، ط1، 1427هـ/ 2007م، ص 20.

(5) وهو محمد بن ميكائيل السلطان الكبير ركن الدين أبو طالب، أصل الدولة السلجوقية، من بَرِّ بخارى، لهم عدد وإقدام وقوة...، ملك خراسان وأذربيجان مع أخيه جغري بك داوود، ثم تملكوا الري سنة تع وعشرين وأربع مئة، وبعدها بسنة أخذوا نيسابور وبلخ...، تزوج ابنة الخليفة القائم ولم يعقب منها، ذكر عنه أنه كان كثير التصدق والصوم والصلاة، توفي سنة 455ه، ودفن بمرو وقيل بالري... أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ/ 1996م، ج18، ص ص 107 - 108 - 109 - 110.

أوصى ابنه بأن يجعله في مقام الأب له فقال له: ((اتخذه والدا، لا تخالفه))[1].

ولما أصبح ألب أرسلان سلطانا للدولة السلجوقية، جعل من نظام الملك وزيرا عنده، لما كان يتمتع به من مؤهلات كما ذكرنا ذلك سابقا، وكان ذلك سنة (456هـ/ 1064م)[2]، واستمر معه في منصبه طيلة حياة السلطان إلى غاية (465هـ/ 1073م)، عاشت فيها الدولة السلجوقية أزهى أيامها في ظل السياسة الحكيمة التي انتهجها الرجلان معا، فإلى جانب التدبير السياسي لشؤون الدولة في ظل كثرة التهديدات الخارجية من جانب البيزنطيين من جهة والبويهيين الشيعة من جهة أخرى، تمكن نظام الملك من تدبير الشؤون الداخلية للدولة أحسن تدبير[3].

ولما توفي السلطان ألب أرسلان، خلفه ابنه ملكشاه وكان يومها صغير السن لا يفقه كثيرا في أمور السياسة، فوقعت عليه الفتن من الأقارب طمعا في السلطنة، ولم يكن ليتمكن ملكشاه من الانتصار عليهم لولا تدخل الوزير نظام الملك الذي رجح الكفة لصالحه، بما كان يملكه من نفوذ عند الجيش والعامة الذين يكنون له كل التقدير نظير جهوده معهم[4].

2: المدارس النظامية

سميت بهذا الاسم تيمنا بصاحبها الذي هو الوزير نظام الملك، فقد كان هو من ابتدعها عندما كان على منصب الوزارة، ويذكر تاج الدين السبكي أن نظام الملك ((بنى المدارس ووقف الوقوف، ونعش من العلم وأهله ما كان خاملا مهملا في أيام من قبله...وابتاع الكتب بأوفر الأثمان، وأدر الجرايات للخزان،

(1) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مر: نعيم زرزور، دار صادر، بيروت، ط1، 1359هـ، ج16، ص 302 – 303. عمر أنور الزبداني، المرجع السابق، ص 53.
(2) نظام الملك الطوسي، المصدر السابق، ص 19.
(3) الزبداني، المرجع نفسه، ص 54.
(4) نفسه، ص 55.

وكانت سوق العلم في أيامه قائمة، والنعم على أهله دارة...))[1]، وقد ذاع صيتها في كل مكان وصل إليها حكم السلاجقة، فنجدها في بلاد ما وراء النهر على كثرة، كما نجدها بالعراق وبلاد فارس وبلاد الشام، وظل اسم هذه المدارس على الألسن إلى ما بعد عصر نظام الملك لسنين طويلة، حيث ظلت تنشط كما كانت على عهده، وبالرغم من استحداث مدارس أخرى في زمنه وبعده إلا أن النظاميات ظلت متميزة عن البقية[2].

1.2: دوافع تأسيسها:

- طبيعة الشخص المؤسس في حد ذاته فقد كان هو نفسه من العلماء المشهود لهم[3]، وقد ذكر أنه كان يقدم العلماء على كبار الدولة حيث يقول السبكي في هذا الشأن عن العلماء: ((وكانوا مستطيلين على صدور أرباب الدولة، أرفع الناس في مجلسه، لا يحجبون عن بابه، يتوسل بهم الناس في حوائجهم))[4].

- كما أن الوضع السياسي والعقائدي بالمنطقة كان له كبير الأثر في تأسيس المدارس النظامية، فالمعلوم أن جل الحركات المناوئة للدول المشرقية كان منبتها ما وراء النهر، وكان يغلب على شعاراتهم العدالة الاجتماعية التي لم تكن سوى غطاء لمعتقدات فكرية هي في الأصل خلاف للفكر الديني الذي تتميز به الدول الإسلامية التي حكمت المنطقة كالأمويين والعباسيين والسلاجقة، وهذا المعتقد الذي نقصده هو إعطاء الحق لأسرة معينة على باقي الناس، حيث يقولون بأحقية آل البيت بحكم وخلافة المسلمين وإمامتهم، وكثيرا ما لاقت هذه الأفكار قبولا عند بعض الشعوب، ووصلت إلى أن تمكنت

(1) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح، محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/ 1964م، ج04، 319.
(2) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (408/ 485هـ)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1419هـ/ 1999م، ص 369.
(3) الزبداني، المرجع السابق، ص 133.
(4) السبكي، المصدر السابق، ص 319.

بفضلها العديد من الشخصيات لتأسيس دول كالعبيديين بالمغرب والقرامطة بالمشرق، والحشاشين في بلاد فارس وما وراء النهر.

يجمع أهل العلم والتاريخ أن معتقد هؤلاء لم يكن على النهج السوي في أغلب فترات حكمه على الصعيد السياسي، وكذا العقائدي، وفي الفترة التي كان فيها نظام الملك وزيرا بالدولة السلجوقية، كان الفكر الباطني الشيعي (النزارية) قد استفحل وانتشر بين عامة الناس، وأصبح له مؤيدوه، وبلغ من السطوة ما جعله ينافس الدولة السلجوقية القوية في حد ذاتها، حتى أن محاولات السلطان ملكشاه المتكررة للقضاء عليهم باءت كلها بالفشل، وهنا رأى نظام الملك أن محاربة هذا الطائفة لن يكون عسكريا دائما، بل اعتماد السجال العلمي وقوة الحجة سلاحا يعتمده لدحض أفكارهم من جهة وتنوير العامة بصحية المعتقد السني المعتمد عند السلاجقة، ولأجل تحقيق هذه الغاية كان يرى أن تأسيس مدارس تعمل على هذا النهج أمر ضروري، فكان إذا هذا سببا من الأسباب التي جعلته يفكر في تأسيسها[1].

2.2: نماذج من المدارس النظامية:

لم يميز نظام الملك في تأسيسه للمدارس النظامية بين إقليم وآخر، بل إنه سعى لغرسها في كل مكان وصلت إليه سلطة السلاجقة، وقد ذكر عنه أنه بناها حتى في أكثر المناطق عزلة، وفي هذا الشأن يقول أبو شامة: ((إن مدارسه في العلم مشهورة، لم تخل بلد من شيء منها، حتى جزيرة ابن عمر التي هي في زاوية من الأرض لا يؤبه لها، بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة))[2]، وهو بذلك يرد على السياسة المنتهجة من طرف الإسماعيلية النزارية الذين وجهوا جهودهم إلى المناطق المعزولة كذلك لعلمهم بمحدودية التعليم هناك، فكان اصطياد الأتباع

(1) المرجع نفسه، ص 354.

(2) عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تع، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م، ج 1، ص 142.

أمرا في غاية السهولة، ولذلك ارتأى نظام الملك أن يقوم بتأسيس المدارس لتعليم الناس العقيدة الصحيحة حماية لهم من فساد الباطنية.

1.2.2: نظامية نيسابور[1]:

وهي أكبر النظاميات وأشهرها بعد نظامية بغداد، أسسها نظام الملك بمدينة نيسابور حاضرة السلاجقة، لا يعرف تاريخ تأسيسها على وجه التحديد، وإن كان بعض المؤرخين قد أشاروا إلى أن تاريخ تأسيسها يكون سنة (448ه/ 1056م) أو السنة التي تليها، فبحساب الثلاثين سنة التي قضاها الإمام الجويني[2] مدرسا بها منذ افتتاحها إلى غاية وفاته (478ه/ 1085م)، يكون تاريخ تأسيسها هو الذي ذكرناه[3].

كان يرتادها ثلاثمائة طالب علم وقيل أربع مائة على مدار الثلاثين سنة التي كان فيها الجويني إماما بها، من بينهم كثير من العلماء الكبار كأبي الفتح الأرغياني[4] وأبو نصر القشيري وأبو الحسن عبد الغافر النيسابوري صاحب كتاب السياق في تاريخ نيسابور، وأبو محمد البيهقي إمام الجامع المنيعي[5] وكثير من العلماء الآخرين الذين بلغ صيتهم الأفاق، فضلا عن أبناء الصدور[6]،

(1) نيسابور، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء... فتحها المسلمون على عهد عثمان بن عفان صلحا، وقيل في عهد عمر بن الخطاب، طولها خمس وثلاثون درجة وعرضها تسع وثلاثون درجة، خارجة من الإقليم الرابع في الإقليم الخامس...أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج05، ص 331.

(2) الجويني، وهو الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين أبو المعالي، عبد الملك ابن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين الشافعي، صاحب التصانيف، ولد في أول سنة تسع عشرة وأربع مائة، وسمع من أبيه، وأبي سعد النصرويي، وأبي حسان محمد بن أحمد المزكي، ومنصور بن رامش، وعدة. أنظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط11 (1417ه/ 1996م)، ج18، ص 468 – 469.

(3) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 355.

(4) ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص 433 –434.

(5) السبكي، المصدر السابق، ج4، ص 343.

(6) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 381.

يستمعون فيها لدروس إمام الحرمين الشريفين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، ومن تلاميذها من أصبحوا أساتذة بنظاميات أخرى كالإمام أبو حامد الغزالي، والطبري، والكيا الهراسي[1].

وممن تولوا التدريس بهذه النظامية أيضا نجد أبو سعيد بن أبي القاسم القشيري المتوفى سنة (484هـ/ 1091م)، وكان يدرس الإملاء والحديث وهو على مقدرة فائقة في ذلك[2]، كما درس بها ابن أخ نظام الملك المسمى أبو المعاطي وزير السلطان سنجر بن ملكشاه[3]، إضافة إلى أبي المعالي مسعود بن الإمام المظفر الخوافي، وقد كان هذا الأخير أحد تلامذتها حيث درس عند الجويني، ثم ارتقى إلى درجة أستاذ لتبحره في مختلف العلوم[4].

2.2.2: نظامية أصبهان[5]:

أقر الوزير نظام الملك بناء نظامية بهذه المدينة لكبرها فهي مقصد الناس من كل البقاع، وكلما كثر عدد السكان في مكان ما أصبح تعليمهم ضروري لحفظ النظام، فالمعروف أن النظام يكون محفوظا عند المتعلم أكثر من الجاهل، كما أن حماية المدينة من التطرف السائد آنذاك في تلك المناطق يجعلها عرضة له، وبالتالي تأسيس المدينة يعطيها حماية أكثر، ويجعلها مركز إشعاع فكري يبلغ صيتها الآفاق.

لا نعرف تاريخ تأسيسها على وجه التحديد إلا أننا نعلم أن نظام الملك هو من أمر ببنائها، وأنفق عليها أكثر من عشرة آلاف دينار، واتخذ لها وسط المدينة

(1) نظام الملك الطوسي، المصدر السابق، ص 21.
(2) السبكي، المصدر السابق، ج4، ص 254.
(3) نفسه.
(4) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 382
(5) أصبهان، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعيان المدن وأعلامها... وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع، طولها ست وثمانون درجة وعرضها ست وثلاثون درجة تحت اثنتي عشرة درجة من السرطان... وهي بالموضع المعروف بجيّ وهو الآن يعرف بشهرستان. انظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج01، ص ص 206 – 207 – 208.

مقرا إلى جانب الجامع، وجعل لها أوقافا تدر عليها النفقات، وفي هذا الشأن يقول المافروخي: ((وقدرت ما انصرف في نفقاتها والموقوف عليها من الضياع والمستغلات الموسوم ابتياعها للوقف عليها عشرة آلاف دينار))[1].

ذاع صيت هذه المدرسة كأختها في نيسابور، وقصدها الكثير من العلماء الكبار، كما تخرج منها الكثير من طلبة العلم الذين صاروا أساتذة في نظاميات أخرى، وعلماء حموا الأمة من فساد المعتقدات السائدة بالكثير من أصقاع العالم الإسلامي، فمن العلماء الذين تولوا مهمة التدريس بها نجد أستاذ الفقه أبو بكر محمد بن ثابت الخجندي (ت483هـ/ 1090م)، ثم خلفه ابنه أبو سعيد أحمد ت (531هـ/ 1137م)، كما درس بها كذلك فخر الدين الوركاني (ت559هـ/ 1164م)[2]، ومن الطلبة المشهورين الذين تخرجوا من هذه النظامية نجد أحمد بن سلام بن مخلد المشهور بابن الرطبي، والأرجاني أبو بكر أحمد بن محمد (ت544هـ/ 1149م)[3].

3.2.2: نظامية عسكر مُكْرَمْ[4]:

أسس بها نظام الملك نظامية لأهميتها فهي من كبرى مدن خوزستان، ولم يكن بالمكان مدارس يتعلم بها أبناء المنطقة، وقد تنبه لذلك نظام الملك، لا نعرف تاريخ بنائها على التحديد، إلا أننا نعلم أنها كانت في فترة استوزار نظام الملك، كما أن المعلومات عنها ليست كثيرة، وكل ما ذكر عنها أن من قام بالتدريس فيها من المشهورين نجد قاضي أصبهان أبو الوفاء محمد بن محمد

(1) مفضل بن سعد بن حسين المافروخي الأصفهاني، محاسن أصفهان، اعتنى به، جلال الدين الحسيني الطهراني، مطبعة مجلس الملّى، طهران، د –س –ن، ص 105.
(2) السبكي، المصدر السابق، ج3، ص 50.
(3) ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق)، ط1 (1406هـ/ 1986م)، ج6، ص 224.
(4) عسكر مُكْرَمْ، وهي بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بني جعونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة. أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 123.

(ت 537هـ/ 1142م)، ويوسف الدمشقي المتوفى سنة (563هـ/ 1167م)[1].

4.2.2: نظامية مرو[2]:

كانت حاضرة الملك جغري بك داوود والد ألب أرسلان، ثم عاصمة للسلطان سنجر ابن ملك شاه، ابتنى بها نظام الملك مدرسة ضمن مشروعه التعليمي بمنطقة ما وراء النهر، وجلب الكثير من المدرسين اللامعين على غرار السمعاني أبو المظفر التميمي المشهور، وكان ذلك سنة (468هـ/ 1075م)، هذا تبنى المذهب الشافعي على الرغم من أنه كان على مذهب الأحناف، كما درّس بها كذلك الإمام أبو الفتح أسعد الميهني المشهور، وممن تخرج منها من مشاهير الطلبة نجد أبو سعيد بن أبي القاسم (ت536هـ/ 1141م)، وكذا الشاعر المشهور أبو إسحاق إبراهيم الغزي (ت524هـ/ 1130م)[3].

5.2.2: نظامية هراة[4]:

أسس بها نظام الملك مدرسة لأنها كانت موئل الصراعات الفكرية، والمساجلات العقدية، وكثيرا ما حدثت فتن من جراء المناظرات بين العلماء، فيتعصب طرف لإمامه ويرفض تقبل الطرف الثاني، ومن ذلك أن أحد المتكلمين تناقش مع مدرّس النظامية الشافعي أبي سعيد محي الدين النيسابوري، وثار أتباع المتكلم حتى أنهم تعدّوا على أبي سعيد نتيجة لذلك سنة (478هـ/ 1085م)، فتدخل نظام الملك عندها واستبعد المدرّس على الرغم من أنه كان على مذهبه، وكان هدفه وأد الفتنة وتهدئة الأمور حتى يتصرف بعد ذلك[5].

(1) ابن الجوزي، المصدر السابق، ج18، ص 181.
(2) مرو: أشهر مدن خراسان وقصبتها، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا، ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا... انظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 112 – 113.
(3) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 385.
(4) هراة، هي مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة، محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 396.
(5) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 388.

ومن الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة من المشهورين نجد العالم الغزنوي محمد بن علي الملقب بأبي بكر الشاشي، أقام بها بأمر من الوزير وظل ملازما لها حتى وفاته سنة (485هـ/ 1092م)[1]، ودرّس بها كذلك.

يضاف إلى ما ذكرنا من النظاميات التي أسسها نظام الملك نظامية ببلخ[2]، ونظامية بالبصرة وأخرى بآمل[3] طبرستان، إضافة إلى نظامية الموصل، وهذه حسب تقديرات المؤرخين مجرد أمثلة عن كثرة النظاميات، حتى قيل أنه ((قد كان له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة))[4].

ولم يكتف نظام الملك بتأسيس المدارس لوحده، بل إنه كان حريصا على أن يبث فكر البناء عند كل من يرى فيه القدرة على ذلك، ونتيجة لذلك انتهج منافسه تاج الملك القمي (ت486هـ/ 1093م) نهج نظام الملك فأسس مدرسة التاجية وجعلها منافسة لنظامية بغداد[5]، كما فعل السلطان ملكشاه نفس الأمر وقام ببناء مدرسة كران بأصفهان، وحذا حذوهم كثير من الشخصيات الرفيعة وابتنوا مدارس حملت أسماءهم[6].

وهذه من العادات السليمة حيث عم الصلاح في ذلك الوقت وذاع صيت الدولة السلجوقية، وكثر علماؤها وصاروا مضرب المثل ومزار طلاب العلم من كل البقاع.

(1) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج 5، ص 365.
(2) بلخ، مدينة مشهورة بخراسان، وهي من أجلّ مدنها، وأذكرها وأكثرها خيرا... ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 479.
(3) آمل، اسم لأكبر مدينة بطبرستان، وهي في الإقليم الرابع، بينها وبين سارية ثمانية عشر فرسخا، وبينها وبين الرويان اثنا عشر فرسخا... أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 57.
(4) السبكي، المصدر السابق، ص 314. الزبداني، المرجع السابق، ص 133.
(5) نظام الملك، المصدر السابق، ص 22.
(6) المصدر نفسه.

3.2: عنايته بالمدرِّسين

وكما كان اهتمام نظام الملك ببناء المدارس وإعطائه لها أهمية كبيرة، فإنه كذلك اهتم بأهل العلم بعمومهم من العلماء إلى الأئمة والأساتذة وطلبة العلم، وبلغ من اهتمامه بهم أن جعل لهم أعطيات ومرتبات تصرف لهم بانتظام حتى لا يقعوا في الحاجة، كما أن مجلسه كان محفوفا بشكل دائم بالعلماء والفقهاء، ولم تكن مائدته تخلو من أهل العلم[1].

ذكر القزويني أن نظام الملك من عنايته بأهل العلم أنه لما قام ببناء مدرسة ظاخر[2]، جعل لمدرّسيها عناية خاصة حيث قال: ((وشرط لكل فقيه فيها كل شهر رأس غنم، وقدرا من السلت[3]، وذكر أنهم نقلوا مختصر المزني إلى اللغة اللكزية، وكذلك كتاب الإمام الشافعي، ويشتغلون بهما))[4]، ومن اهتمامه بأهل العلم أنه كان حريصا على جلب المدرسين الأكفاء للنظاميات، وكان قبل توظيف أحدهم يقوم باختباره عن طريق المناظرة، فكثيرا ما كان يحضر الأسئلة بنفسه، ثم يطرحها في مجلس خاص باختبار المدرسين، ويختار من هو أقدر على الإجابة[5]، فيعين مباشرة في سلك التعليم، وغالبا ما يرسل إلى منطقة يكون فيها الجهل متفشيا[6]، وعند تعيين الأستاذ يتوجه مباشرة إلى مكان تعيينه، فإذا عين في بغداد مثلا يتوجه إلى دار الخلافة حيث يأخذ الموافقة على التعيين، ثم يتوجه إلى المدرسة التي عين بها فيقدم درسا يحضره كبار رجال الدولة ويحتفون به

(1) أنور الزبداني، المرجع السابق، ص 152.
(2) هي مدينة كبيرة آهلة بالسكان على ست مراحل من جنزة، وهي قصبة بلاد لكزان، معروفة ببرودتها الشديدة. أنظر زكريا بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د-ط، ص 602.
(3) السلت هو حب يشبه الشعير في صورته، وطبعه طبع الحنطة، وهو قوت أهل ظاخر. القزويني، المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه.
(5) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 356.
(6) الأصفهاني عماد الدين محمد بن محمد بن حامد: تاريخ دولة آل سلجوق، شركة طبع الكتب العربية (القاهرة)، ط1 (1318هـ/ 1900م)، ص 54

ويقدمون فيه القصائد الترحيبية، ويحدث نفس الأمر مع باقي المدارس، بحيث يلتزم المدرس بنفس الطريقة التي ذكرناها عمن يعينون في نظامية بغداد[1].

4.2: مراتب التدريس:

اختلفت النظاميات في طريقة التدريس عن باقي المدارس المعاصرة لها، فقد شاع في المدارس الأخرى أن من يتولون التدريس بها لا يحالون على التقاعد بالمفهوم الحالي إلا إذا توفي المدرس أو أصيب بما يمنعه من مرض، وهو ما لم تقم به النظاميات، فقد عرف عنها أنه تولي مهمة التدريس لمن يستحق، ثم تعزله إن رأت منه تقصيرا، وقد تشرك المدرس بمدرس آخر يكون في مرتبته أو أقل منه قليلا[2]، كما جعلت للمدرسين مراتب هي:

- **المدرس**: وهي مرتبة تطلق على من يتولى تدريس الفقه وفي العادة تعطى لمن لهم باع في الفقه ولا يشترط فيمن يتولاها أن يكون عارفا بمختلف العلوم، وإذا ما تدرب جيدا أصبح أستاذا وصار له كرسي المادة دون منازع[3].
- **النائب**: وهي مرتبة يختص بها من يكون أقل من المدرس والأستاذ، حيث يقوم بالتدريس نيابة عنه في حال ذهب هو لشأن آخر[4].
- **المعيد**: ويتم اختياره من المتفوقين من الطلبة عند المدرس، حيث توكل له مهمة إلقاء بعض الدروس، أو مساعدة زملائه على فهم ما أشكل عليهم، وفي بعض الأحيان يرسل المعيد إلى التدريس في مكان آخر في حال وقعت الحاجة لذلك[5].

(1) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 356.
(2) نفسه.
(3) نفسه.
(4) السبكي، المصدر السابق، ج4، ص 86.
(5) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 357.

وحتى المتعلمين كانت لهم مراتب كذلك، فقد كانت أولى مراتبهم هي التلميذ أول الطالب، وإذا ما تطور التلميذ في العلم أكثر ارتقى إلى مرتبة المثقف ثم الفقيه، وقد يصل إلى مرتبة الصاحب وهي المرتبة التي تجعل منه ملازما لمدرسه، بحيث يجعله ناسخا لمؤلفاته أو معيدا يوكل له مهمة التدريس ومساعدة الطلبة في فهم ما قد يشكل عليهم[1].

5.2: مكانة المدارس النظامية (علميا):

بلغت النظاميات من المكانة ما جعلها بمثابة الجامعات في العصر الحالي، وقد ذكرنا في سياق حديثنا عن نظامية نيسابور أن العلماء الكبار كانوا يتنافسون في الانتساب إليها، فعلى سبيل المثال وجدنا الإمام الغزالي على قدره وسعة علمه انتسب إلى نظامية نيسابور[2]، وإمام الحرمين الشريفين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت 478هـ/ 1085م)، كان قد درّس بنظامية نيسابور[3]، وحتى المهدي بن تومرت أمير دولة الموحدين التي ظهرت بالمغرب الإسلامي، كان قد ارتحل من المغرب إلى نيسابور، وفي نفسه رغبة الالتقاء بعلمائها خاصة الغزالي والكيا الهراسي، فالتقاهما وأخذ من علمهما خاصة ما تعلق بالمذهب الأشعري، ما جعله يناظر به علماء المغرب عندما عاد إلى بلده[4].

والأمر نفسه مع نظامية بغداد فقد بلغت مكانتها هي الأخرى أن جعلها مقصد العلماء الكبار إذ تذكر المصادر أن الإمام ابن عساكر (ت571هـ/ 1175م) مؤرخ الشام المشهور، أصرّ على الذهاب إليها لما سمعه عنها، فذهب إليها، ونهل من معينها، ولما عاد إلى بلاد الشام ألف كتابه المشهور تاريخ دمشق[5].

(1) نفسه، ص 358.
(2) نظام الملك، المصدر السابق، ص 21.
(3) نفسه.
(4) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 355.
(5) السبكي، المصدر السابق، ص 275. عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 355.

ومن الطرائف التي تدخل في هذا الباب أن بعض العلماء من شدة رغبتهم في الانتساب لهذه المدارس أو الذهاب إليها كانوا يقدمون رشاوى حتى ينالوا مطلوبهم، ومن ذلك أن الإمام عبد الرحمن الطبري الذي بلغ به في سبيل الالتحاق بنظامية بغداد للتدريس أن بذل من الأموال ما تكفي لبناء مدرسة كاملة[1].

3: دور المدارس النظامية في حماية المجتمع من الفكر المتطرف:

كنا قد ذكرنا في بداية المقال أن الحالة العقائدية ببلاد ما وراء النهر خلال القرن الخامس الهجري كانت متدهورة جدا، بحيث تفشى الفكر الإسماعيلي في أغلب المنطقة، والتبس الأمر على عامة الناس، ورغم قوة الدولة السلجوقية آنذاك من الناحية العسكرية إلا أنها لم تمنع الفكر الإسماعيلي من الانتشار غير أن الوزير نظام الملك تنبه للأمر كما ذكرنا، وأسس المدارس النظامية هذه الأخيرة عملت على حماية مجتمع ما وراء النهر من الناحية العقائدية، بحيث نشروا المذهب السني الشافعي بقوة، وعملوا على التصدي للإسماعيلية من خلال كشف زيغهم بالحجة الظاهرة، وقد تبنى هذه المهمة علماء كبار تدرجوا بالمدارس النظامية أو درَّسوا بها وألّفوا كتبا عرفوا فيها بالعقيدة الصحيحة وفي مقابل ذلك كشفوا ضلال الفرق الأخرى ومنها الإسماعيلية ومن هؤلاء نذكر:

1.3: أبو حامد الغزالي:

تعريفه:

وهو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ويلقب بالغزّالي نسبة لمهنة أبيه الذي كان يغزل الصوف ويبيعه في حانوته، ولد أبو حامد بطوس سنة 450هـ/ 1058م، توفي أبوه وهو صغير فتولى تربيته رجل من أصحاب أبيه، ولما كبر قليلا أرسله إلى المدرسة النظامية ليتولى

(1) عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 355.

التدريس بها، ومنها انتقل إلى جرجان والتقى بالعالم أبي نصر الإسماعيلي، ثم انتقل إلى بغداد ودرس عند عالمها المشهور الجويني، ولازمه حتى صار أنظر أهل زمانه، فطلبه نظام الملك ليكون مدرسا بالنظامية[1]، ومما ينسب له أنه تصدى للباطنة الإسماعيلية التي استفحلت في زمنه، فألف فيها كتابا يعد من أحسن ما كتب فيهم لما حمله من معلومات عن معتقدهم والسبل المعتمدة من أجل نشر مذهبهم.

كتابه فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية[2]:

ابتدأ الغزالي كتابه هذا بالتعريف بالباطنية، وإظهار بطلان مذهبهم[3]، ثم ذكر أهم الطوائف التي تدخل ضمن الباطنية بصفة عامة، وبيان ألقابهم وهي الباطنية والقرامطة والخرّمية والخرّمْدينية والإسماعيلية والسبعية... [4]، ثم عرج فيه إلى مخاطرهم وحيلهم في استدراج الناس وخاصة الضعاف منهم[5]، وقد أظهر حيلهم في ذلك، وهي الرزق والتفرّس، ثم التأنيس، ثم التشكيك، ثم التعليق، ثم الربط، ثم التدليس، ثم التلبيس، ثم الخلع والسلخ[6]، وهي حيل غاية في الدهاء والمكر، وقد تنبه لها الغزالي فبينها في كتابه هذا حتى يتعرفوا عليهم، ويحذروا منهم.

ولم يكتف الغزالي بإظهار بطلان إمامتهم، بل إنه أثبت إمامة المستظهر

(1) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج 06، ص 18 –19.
(2) أبو حامد الغزالي: نفس المصدر السابق، ص ص 7 ـ 10. فرهاد دفتري: معجم التاريخ الإسماعيلي، تر: سيف الدين القصير، دار الساقي (بيروت)، ط1 (2016م)، ص 221. فاروق ميثا: الغزالي والإسماعيليون (العقل والسلطة في إسلام العصر الوسيط)، تر: سيف الدين القصير، دار الساقي (بيروت)، ط1 (2005م)، ص 38 –39.
(3) الغزالي، المصدر السابق، ص 11.
(4) نفسه، ص ص 12 – 17.
(5) نفسه، ص ص 21 – 32.
(6) نفسه.

بالله العباسي(512-487هـ/ 1118-1094م)[1]، وقال بأنه الإمام الحق في ذلك الزمان[2]، وقد وفق في إظهار حقيقة الباطنية، حتى قيل بأنه لم يصنف في تاريخ الباطنية مثله على الرغم من وجود مؤلف سبقه في التأليف عنهم وهو أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي (ت429هـ/ 1037م)، صاحب كتاب الفرق بين الفرق، إلا أنه لم يشرّح الفكر الباطني كالغزالي، فهذا الأخير قد عاش داخل المجتمع الإسماعيلي واندس بينهم حتى عرف فكرهم جيدا فأخرجه لعامة أهل السنة، وهو ما جعله محط سبابهم، فها هو الداعي المطلق علي بن الوليد (عاش في القرن 05هـ)، قد ألّف كتابا سمّاه «دامغ الباطل وحتف المناضل» يسب فيه الغزالي ويصفه بكل قبيح فيقول: ((إنه نشأ أولا على ملة الإسلام، إذ كل مولود يولد على فطرته كما أخبر بذلك النبي عليه السلام وعلى آله أفضل السلام، ثم مرق عنها إلى التفلسف قولا بنفي الوسائط، من نبي أو وصي أو إمام واعتمادا على ما يهواه عقله استغناء به عمن يحل هداه من عقول البشر محل الأنوار السماوية من الأبصار التي بحصولها لها يحصل درك حقيقة الأبصار وبعدمها إياها تعدم إدراك مبصراتها، لغروب تلك الأنوار فسمي لمروقه عن الإسلام وميله عن سنن الهدي مارقا ملحدا، وصار بشوطنه عن الحق وتمرده على أربابه شيطانا متمردا...))[3].

وعلى نفس طريق الغزالي نهج علماء تخرجوا من النظاميات، فألفوا كتبا شرحوا من خلالها الفكر الباطني وطعنوا فيه، ووجهوا الأمة إلى الفكر السني ورغّبوا فيه فساعدوا بذلك في حماية السنة ومن ورائها دولة السلاجقة والخلافة العباسية عموما ومنهم:

(1) الغزالي، المصدر السابق، ص ص 169ـــــــ174.
(2) فرهاد دفتري: نفس المرجع السابق، ص 221.
(3) الداعي المطلق علي بن الوليد: دامغ الباطل وحتف المناضل، تح وتق: مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين (بيروت)، ط1 (1403هـ/ 1982م)، ج1، ص 33.

2.3: الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم:

وهو محمد بن عبد الكريم بن أحمد وكنيته أبو الفتح، اشتهر بالشهرستاني نسبة إلى بلدة شهرستان[1] مسقط رأسه، وهي مدينة في خراسان بين نيسابور وخوارزم، ولد على الأرجح سنة (479هـ/ 1086م)، وتوفي سنة (547هـ/ 1153م)[2]، تلقى تعليمه بخوارزم، وكان على مذهب الشافعي، ثم انتقل إلى خراسان، وفي سنة (510هـ/ 1116م) ذهب إلى حج، ثم عاد واستقر ببغداد وجلس للتدريس بنظاميتها، وظهر له قبول عند عامتها[3].

درس الشهرستاني بمدارس خوارزم النظامية حتى برع في كثير من العلوم وأبرزها علم الكلام، وألف فيه كتبا كثيرة[4]، كما ألف في الطوائف كتابا هو من أشهر ما كتب في عصره وعنونه بالملل والنحل، وقد أثنى عليه السبكي كثيرا فقال: ((هو عندي خير كتاب صنف في هذا الباب، ومصنف ابن حزم وإن كان أبسط منه إلا أنه مبدد ليس له نظام))[5].

تطرق في كتابه هذا إلى مختلف الطوائف الغير مسلمة عبر التاريخ، ثم تناول الطوائف والفرق التي ظهرت في الإسلام، وشرحها بطريقة كشفت حقيقة الكثير منهم خاصة الباطنية التي كانت مستفحلة آنذاك، وعلى الرغم من أن البعض قد اتهمه بالميل إليهم فقد ورد في كتاب التحبير لابن السمعاني: ((وهو

(1) هي بليدة بخراسان قرب نسا بينهما ثلاثة أميال، وهي بين نيسابور وخوارزم. الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 377.
(2) الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة (بيروت)، ط3 (1414هـ/ 1993م)، ص 11.
(3) الشهرستاني، نفسه.
(4) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح، عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/ 1964م، ج6، ص 128 – 129.
(5) نفسه.

متهم بالإلحاد والميل إليهم، غال في التشيع))[1]، إلا أن كثير من العلماء قد فندوا هذا الادّعاء، فها هو تاج الدين السبكي يبرئه من ذلك بقوله: ((الحق أقول أن ما اتهم به، هو منه براء فإن تصانيفه آية على استمساك بالعقيدة واعتصام بالدين، وإنه يميل إلى أهل السنة والجماعة، إلا أنه كان يتابع مذهب الفلاسفة ويذب عن أفكارهم وآرائهم، مما أدى لتهمته))[2]، ثم إنه (السبكي) يتعجب من سبب إيراد ابن السمعاني لهذا الكلام عن الشهرستاني علما أنه لم يقل بذلك في كتابه «الذيل»، وأن ما ورد إنما كان في «التحبير»، ولا يدري من أين جيء بذلك، فيقول: ((أما الذيل فلا شيء فيه من ذلك، وإنما ذلك في التحبير، وما أدري من أين ذلك لابن السمعاني، فإن تصانيف أبي الفتح دالة على خلاف ذلك، ويقع لي أن هذا دُس على ابن السمعاني))[3].

مما سبق اتضح لنا أن الشهرستاني هو الآخر كان له باع في مجابهة أهل البدع وكشف زيغهم بالحجة والبرهان، فكان يدافع عن مذهب أهل السنة والجماعة، من خلال دروسه التي ألقاها في المدارس النظامية أو من خلال مؤلفاته، وقد وفق إلى حد كبير في أداء رسالته حسبما ذكر أقرانه من العلماء، وقد أعطينا مثالا بشهادة تاج الدين السبكي فيه.

3.3: فخر الدين الرازي:

هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبري الأصل الرازي المولد الفقيه الشافعي، ولد في مدينة الري سنة (544ه/ 1150م)، كان أبوه ضياء الدين من كبار علماء الري، فورث عنه ابنه هذا العلم[4]، عاش

(1) عبد الكريم بن محمد السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، تح، منيرة ناجي سالم، د –د –ن، بغداد، 1395هـ/ 1975م، ج2، ص 160 – 161.
(2) السبكي، المصدر السابق، ص 129.
(3) نفسه، ص 130.
(4) الرازي فخر الدين: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مر: علي سامي النشار، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)، ط1 (1356هـ/ 1938م)، ص 17 –18.

الرازي في فترة كانت الفتن فيها مستفحلة على العالم الإسلامي عموما وعلى بلاد ما وراء النهر خصوصا، فبلاد ما وراء النهر كان الخلاف المذهبي والعقائدي فيها متفشيا، وشوكة الإسماعيلية فيها مستفحلة[1]، على الرغم من تصدي العلماء لهم.

تدرّج الفخر الرازي بالمدرسة النظامية على يد والده ولما مات قرأ عند محيي السنة أبي محمد البغوي وقرأ علم الكلام على المجد الجيلي وهو تلميذ الغزالي، مدة طويلة بمراغة، كما حفظ كتاب الشامل للجويني[2]، ثم انشغل بالتأليف هو الآخر فألف كتبا كثيرة أبرزها كتاب التفسير المعروف بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، إضافة إلى كتابه المشهور اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، وهو كتاب ألفه في التعريف بالفرق الإسلامية، وركز على الباطنية وحذر منهم، وقد عُدّ من أحسن ما كتب في هذا الشأن مثله مثل ما كتبه الغزالي قبله والبغدادي، حيث يقول ابن خلكان أن: ((تصانيف الرازي انتشرت في حياته وبعد مماته، وتدارسها الناس ورفضوا كتب المتقدمين))[3]، ومما ينسب له أنه كان يجادل أهل الفرق بالحجة والدليل حتى أعاد الكثير منهم إلى أهل السنة والجماعة[4].

كانت هذه ثلاث نماذج فقط من العلماء الذين تخرجوا من النظاميات وعملوا بها، وألفوا كتبا تناولوا من خلالها الفكر المتطرف للطوائف المعاصرة لهم على وجه الخصوص وإلى الطوائف السابقة في الظهور عموما، والواقع أن هؤلاء لا يمثلون سوى جزء يسير جدا من قائمة العلماء الذين كان لهم الصيت في ذلك العصر، وحملوا على عاتقهم لواء التدريس بالنظاميات لحماية المجتمع

(1) نفسه، ص 18.
(2) نفسه.
(3) أحمد بن محمد بن أبي بكر أبو العباس شمس الدين ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر (بيروت)، د-س-ن، ج04، 228.
(4) نفسه

المسلم من التطرف والانحراف، وعلى رأسهم الوزير نظام الملك نفسه، والعالم الكبير إمام الحرمين الشريفين الجويني، وأبو الفتح الأرغياني وأبو نصر القشيري وأبو الحسن عبد الغافر النيسابوري صاحب كتاب السياق في تاريخ نيسابور، وأبو محمد البيهقي إمام الجامع المنيعي، وأستاذ الفقه أبو بكر محمد بن ثابت الخجندي (ت483هـ/ 1090م)، وغيرهم كثير منهم من ذكرناهم في صفحات هذا المقال، على الرغم من أن صفحات المجلدات لا تفي بحق أحدهم فقط.

❊ ❊ ❊

الخاتمة:

توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات في خاتمة هذا المقال نورها كالتالي:

- المدارس النظامية على الرغم من استحداثها على يد نظام الملك، إلا أنها لم تكن هي الأولى في العالم الإسلامي بل سبقتها مدارس كثيرة، غير أن ما تميزت به النظاميات هو أنها كانت في معظمها من إبداع الوزير نظام الملك، كما أنها خضعت جلها لنظام موحد في التدريس وجاءت معظمها في زمن واحد، وهو منتصف القرن الخامس الهجري وبداية القرن السادس الهجري.

- إن الفكرة التي أسست لأجلها النظاميات هي حماية المجتمع المسلم في بلاد ما وراء النهر من الفكر المتطرف الذي كان مستفحلا آنذاك، وقد وفقت إلى حد ما في تأدية المطلوب منها، وهو تفقيه الناس على المذهب السني الشافعي، وقد رأينا أن كثيرا من المناطق البعيدة عن مركز السلطة السلجوقية كانت تعاني إما من الجهل أو من الفكر المتطرف خاصة الباطني.

- كما أن من مظاهر النجاح الذي كسبته النظاميات هو أنها انتشرت بشكل واسع جدا في العالم الإسلامي، خاصة المشرق وما وراء النهر، وبلغ من انتشارها أن شبهها الكثير من العلماء بالعصر الحالي، غير أنها كسبت السبق في ذلك، كونها ظهرت منذ أكثر من عشرة قرون عن الوقت الحالي.

- ومما كسبته هذه المدارس أيضا هو أنها خرّجت جحافل من العلماء عددهم لا يعرف على وجه التحديد لكثرتهم، بلغوا الآفاق بعلومهم، وتركوا لنا من الآثار العلمية ما هو منتشر إلى اليوم، وهو من أمهات المصادر، بل عدّت هذه الآثار (الكتب) حصونا تحمي العالم الإسلامي من الفكر المتطرف في وقتها (الباطنية النزارية)، وحتى الوقت الحالي، في ظل عدم وجود حماية كافية من الوسائل المضللة التي تلعب على وتر القومية والأخوة في المزيفة الدين.

قائمة المصادر والمراجع:

أ: المصادر:

1 : ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط4 (1423هـ/ 2004م)، ج8.

2 : الأصفهاني عماد الدين محمد بن محمد بن حامد: تاريخ دولة آل سلجوق، شركة طبع الكتب العربية (القاهرة)، ط1 (1318هـ/ 1900م).

3 : الأصفهاني مفضل بن سعد بن حسين المافروخي، محاسن أصفهان، اعتنى به، جلال الدين الحسيني الطهراني، مطبعة مجلس الملّى، طهران، د-س-ن.

4 : البيهقي علي بن زيد، تاريخ بيهق وذكر العلماء والأئمة الأفاضل الذين نبغوا فيها أو انتقلوا إليها، ترجمه عن الفارسية وحققه، يوسف الهادي، دار إقرأ، دمشق، ط1، 1428هـ/ 2004م.

5 : ابن جبير: رحلة بن جبير، دار الشرق العربي (بيروت)، ط01 (1428هـ/ 2007م).

6 : ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، مر: نعيم زرزور، دار صادر (بيروت)، ط1 (1359هـ)، ج16.

7 : الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر (بيروت)، ط1 (1397هـ/ 1977م)، ج04.

8 : ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات

الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر (بيروت)، د-س-ن، ج2.

9 : الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ومشاهير الوفيات الأعيان، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1417هـ/ 1996م، ج9.

10 : ـــ، سير أعلام النبلاء، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11 1417هـ/ 1996م،ج18.

11 : الرازي فخر الدين: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مر: علي سامي النشار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1356هـ/ 1938م.

12 : السبكي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تح، محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ/ 1964م، ج04- 06.

13 : السمعاني عبد الكريم بن محمد، التحبير في المعجم الكبير، تح، منيرة ناجي سالم، د-د-ن، بغداد، 1395هـ/ 1975م، ج2.

14 : أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تع، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/ 2002م.

51 : الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة (بيروت)، ط3 (1414هـ/ 1993م).

16 : الطوسي نظام الملك، سير الملوك أو سياست نامة، ترجمه عن الفارسية، يوسف بكار، دار المناهل، بيروت، ط1، 1427هـ/ 2007م.

17 : ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق)، ط1 (1406هـ/ 1986م)، ج4، ص 137.

18 : القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د-ط.

19 : ابن الوليد علي الداعي المطلق: دامغ الباطل وحتف المناضل، تح وتق: مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين (بيروت)، ط1 (1403هـ/ 1982م)، ج1.

ب: المراجع

1 : دفتري فرهاد: معجم التاريخ الإسماعيلي، تر: سيف الدين القصير، دار الساقي (بيروت)، ط1 (2016م).

2 : الزبداني عمر أنور: الوزير السلجوقي نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (485/ 408هـ)، تق: محمد الزحيلي، دار العصماء (دمشق)، ط1 (1438هـ/ 2017م).

3 : محبوبة عبد الهادي محمد رضا، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (485/ 408هـ)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1419هـ/ 1999م.

4 : ميثا فاروق: الغزالي والإسماعيليون (العقل والسلطة في إسلام العصر الوسيط)، تر: سيف الدين القصير، دار الساقي (بيروت)، ط1 (2005م).

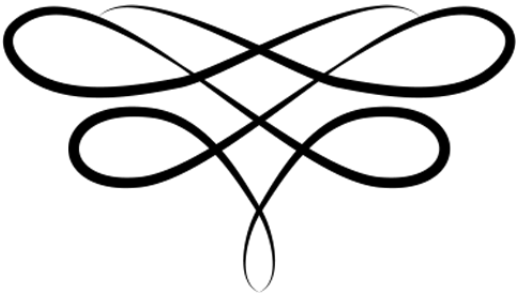

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

العلوم الدينية ورواجها في بلاد ما وراء النهر وخراسان خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين.

Religious sciences and their popularity in Transoxiana and Khurasan during the third and fourth centuries AH, the ninth and tenth AD.

الدكتور سامي هوشات، جامعة أم البواقي، محمد العربي بن مهيدي، الجزائر.

houchat.sami@univ-oeb.dz

الملخص:

إنّ مناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر كان لها ولأهلها أثر عظيم في تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء، وهذا في مختلف المجالات سواء منها العسكرية التي سجّل فيها أبناء هذه المناطق انتصارات تاريخية وملحمية، ورسموا من خلالها بطولات مُشرّفة، كما كان لهذه المناطق وأهلها أثر جلي في الجانب العلمي، حيث أضاء الكثير من علماء هذه المناطق سماء العالم الإسلامي بمؤلفاتهم ومنجزاتهم التي شكّلت أحد الدعائم الرئيسية في تاريخ الحضارة الإسلامية.

هذه الدراسة تهدف إلى إبراز مدى حيوية النشاط العلمي خاصة في مجال العلوم الدينية والتعريف ببعض علماء تلك الرقعة الجغرافية الشاسعة من العالم الإسلامي، واستظهار جانب من مؤلفاتهم ومنجزاتهم التي بقيت خالدة في سماء العلم، والتي كانت ولا تزال الكثير منها مراجع هامة وأساسية في الدراسة للعديد من طلبة العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كما تهدف الدراسة كذلك إلى توضيح أسباب هذه الحركية العلمية بالمنطقة نتائجها، وتأثيراتها السلبية والإيجابية على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: العلوم الدينية؛ خراسان؛ بلاد ما وراء النهر؛ الحيوية الفكرية؛ المُؤلفات والكتب.

Abstract: The regions of Khorasan and Transoxiana had and their people a great impact in the Islamic history, and this is in various fields, whether military ones, in which the people of these regions recorded historical and epic victories, as these regions and their people had a clear impact on the side Scientific, as many scholars of these regions lit up the sky of the Islamic world with their writings and achievements, which constituted one of the main pillars in the history of Islamic civilization

This study aims to highlight the vitality of scientific activity, especially in the field of religious sciences, and to introduce some of the scholars from this area, and to show some of their writings and achievements that remained immortal, many of which were and still are important and essential references in the study of many Scholars from all over the Islamic world, The study also aims to clarify the reasons for this scientific movement in the region, its results, and its negative and positive effects alike.

Keywords : Religious sciences; Transoxiana and Khurasan; Intellectual vitality; Authors and books.

* **سامي هوشات**: houchat.sami@univ-oeb.dz

العلوم الدينية ورواجها في بلاد ما وراء النهر وخراسان خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين.

إن مناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر كانت من أبرز المناطق ذات الأثر في الجانب العلمي بالبلاد الإسلامية، خاصة خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة

التاسع والعاشر للميلاد، حيث تحتفظ لنا صفحات التاريخ بعديد الأسماء البارزة لعلماء ساهموا بكتبهم ومؤلفاتهم في رسم ملامح الحضارة الإسلامية خصوصا والإنسانية عموما، وقد نشطت حركة التأليف خاصة باللغتين العربية والفارسية بالمناطق المذكورة آنفا.

هذه الدراسة تهدف إلى إبراز مدى حيوية النشاط العلمي خاصة في مجال العلوم الدينية والتعريف ببعض علماء تلك الرقعة الجغرافية الشاسعة من العالم الإسلامي، واستظهار جانب من مؤلفاتهم ومنجزاتهم التي بقيت خالدة في سماء العلم، والتي كانت ولا تزال الكثير منها مراجع هامة وأساسية في الدراسة للعديد من طلبة العلم في مختلف أصقاع العالم الإسلامي إلى غاية وقتنا الحالي.

أ: علوم القرآن:

اهتم الكثير من العلماء وطلبة العلم في هذه المناطق بالقرآن وعلومه واشتغلوا عليها، خاصة في دور القرآن التي كانت مخصصة للراغبين في تحصيل هذه العلوم واتقانها ولذلك اقتصر مجال التعليم في هذه الدور حول كل ما له علاقة بالقرآن وعلومه[1]، كما عرفت هذه المناطق بروز الكثير من المقرئين المتميزين بعذوبة الصوت وروعة التجويد[2]، ولطالما عقد عدد من العلماء مجالس لتدارس القرآن وتعليمه، وتعليم أحكام القراءة والتجويد لكل راغب ومهتم بتحصيل هذا العلم[3].

وقد كان الإقبال على القرآن وعلومه كبير جدا بالمنطقة، كما تجب الإشارة

(1) السمعاني ابن منصور التميمي (ت. 562هـ): الأنساب، ج 2،تقديم عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ط. 1، 1408هـ/ 1988م، ص 250 ؛ الثامري إحسان ذنون: الحياة العلمية زمن السامانيين- التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع لهجرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2001، ص 59.

(2) الثعالبي النيسابوري عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/ 1037م): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، ج. 4، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط. 1، 1403هـ/ 1983م، ص 474 .

(3) السمعاني : المصدر السابق، ج . 3، ص 534 .

إلا أنّه لطالما حظي المهتمين والمشتغلين بهذا العلم برعاية الأمراء والسلاطين في المشرق الإسلامي، وتذكر لنا المصادر أنه عندما وفد المقرئ البغدادي «أبو بكر أحمد بن العباس بن عبيد الله» (ت355هـ/ 965م) الذي كان مُجودا حاذقا، موصوفا بكونه أوحد وقته في القراءات، مدينة بخارى أثناء فترة حكم «نوح بن نصر الساماني (ت 343هـ/ 954م)»، دعاه لحضور مجلسه، فختم القرآن بمجلس الأمير الذي أكرمه غاية الإكرام، وقد أكمل المقرئ البغدادي بقية عمره بالمشرق حيث توفي بالري[1]، ولعل مردّ استقرار أبو بكر بالمنطقة وإكمال بقية حياته فيها راجع في أساسه إلى حجم الرعاية والتقدير التي حظي بها في المنطقة من قبل الخاصة والعامة على حدّ السواء.

ومن أبرز الدلائل على مدى رواج القرآن وعلومه وازدهاره بالمنطقة قيد الدراسة، تلك المؤلفات الكثيرة في هذا المجال، والتي من أبرزها كتاب **القراءات** وكتاب **الناسخ والمنسوخ** «لأبي بكر عبد الله بن سليمان السجستاني» (ت 316هـ/ 928م)، وكتاب **أحكام القرآن** «لأبي الحسن علي بن موسى القمي» (ت350هـ/ 961م)، إضافة إلى ما سطّره «أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري» (ت381هـ/ 991م)، ومنها **الغاية في القراءات** و**الشامل في القراءات** و**غرائب القراءات**، وغيرها من مؤلفات كثيرة في هذا المجال[2].

هذا وحظي **علم التفسير** بدوره باهتمام عدد كبير من العلماء وطلبة العلم، وقد كان على نوعين تفسير بالمأثور وهو ما رُوي عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين[3]، أما النوع الثاني فهو التفسير بالرأي، وحظيت كتب كبار المفسرين على غرار «عبد الله بن المبارك» و«ابن الكلبي» و«مقاتل بن سليمان» بعناية كبيرة

(1) الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج.26،تح عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي، بيروت، 1412هـ/ 1992م، ص –ص 119 – 120 .
(2) للمزيد حول هذه المؤلفات، انظر (الثامري: المرجع السابق، ص – ص 140 – 141 .) .
(3) أحمد أمين: ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2013 ، ص293 .

من الدارسين[1]، خاصة في ظل انتشار مجالس تدريس التفسير بعدة مناطق خلال فترة الدراسة على غرار منطقة نيسابور[2].

ومن أبرز أعلام علم التفسير بالمنطقة خلال هذه الفترة نذكر «أحمد بن محمد الشاركي الهروي» (ت355هـ/ 966م) والذي كان يُعدُّ مفسر مدينة هراة ومفتيها وعالمها، ومنهم كذلك «أبي بكر محمد بن علي الشاشي» (ت365هـ/ 975م) والذي وُصف بأنه احد أئمة الدنيا في علم التفسير[3]، هذا وتجب الإشارة إلى أنّ هذه الفترة تميزت كذلك بظهور تفاسير تعود للمعتزلة ومختلف الفرق الأخرى التي كانت منتشرة على نطاق واسع بالمنطقة، إضافة إلى تفاسير ترجع لأعلام الصوفية، وتفاسير أخرى أصحابها من المشتغلين باللغة والبلاغة والنحو إضافة إلى تفاسير كان أصحابها من الوعاظ [4].

ومن أبرز كتب التفاسير خلال هذه المرحلة نذكر، **التفسير الكبير**، ونشير إلى أنّ عدد معتبرا من العلماء قد ألّف كتابا حمل هذا الاسم، منهم « أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي» (ت427هـ/ 1035م)، الذي وصفه «ابن خلكان» بأوحد زمانه في التفسير، واعتبر كتابه الأفضل بين كتب التفسير[5]، كما حمل تفسير» زكرياء بن داود بن بكر الخفاف النيسابوري» (ت286هـ/ 899م) بدوره هذا الاسم[6]، إضافة إلى كتاب بنفس العنوان «لمحمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي» (ت365هـ/ 975م)[7].

(1) الثامري : المرجع السابق، ص 141.
(2) السمعاني : المصدر السابق، ج . 4، ص 543 .
(3) السمعاني: المصدر نفسه، ج . 3، ص 375 ؛الثامري : المرجع السابق، ص 141 .
(4) العمادي محمد حسن : خراسان في العصر الغزنوي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ودار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 1997م، ص297 – 298 .
(5) ابن خلكان أبي بكر(ت 681هـ): وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ج 1، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1397هـ/ 1977م،، ص 79 .
(6) السمعاني : المصدر السابق، ج . 2، ص 388 .
(7) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت.626هـ/ 1229م): معجم البلدان، ج 3، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1997م، ص 308 ؛ الثامري: المرجع السابق، ص 142 .

ومن المؤلفات البارزة في علم التفسير خلال هذه الفترة كذلك كتاب **التفسير** «لمحمد بن حريث بن عبد الرحمان بن حاشد البخاري» (ت302هـ/ 914م)[1]، وكتاب **جامع العلوم** «لمحمد بن الفضل البلخي» (ت413هـ/ 1022م) وكتاب «نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي « (ت393هـ/ 1002م)، المعنون **بتفسير القرآن العظيم** وكتاب **زهرة معاني البيان في معاني القرآن** «لأبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد الأديب الكرابي» (ت 360هـ/ 970م) وغيرها كثير.

كما كان لمشايخ وأعلام مختلف الفرق التي ظهرت ببلاد ما وراء النهر وخراسان خلال هذه الفترة بدورهم تفاسير للقرآن الكريم، على غرار تفاسير تعود لمشايخ الشيعة ورؤوسهم، وأخرى ترجع للمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، فضلا عن تفاسير شيوخ الطرق الصوفية، وتفاسير الوعاظ، والمذكرون، وكذلك تفاسير ترجع لأهل اللغة والنحو[2]، امتازت هذه التفاسير في مجملها بكون مُؤلفيها وكتابها حاولوا قدر الاستطاعة إخضاع القرآن لمذاهبهم وآرائهم وتوجهاتهم على اختلافها وتشعـُبها، هذا بعد أن كانت المذاهب في أصلها هي من تخضع للقرآن الكريم[3].

ب: الفقه والحديث:

من العلوم التي لقيت رواجا وإقبالا واهتماما كبيرا من قبل سكان مناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر خلال فترة الدراسة، ومردُّ ذلك إلى ما كان يحظى به المشتغلون بهذه العلوم آنذاك من مكانة واحترام لدى مختلف أطياف المجتمع، خاصة المشتغلون بعلم الحديث الشريف، والذين كانوا يُعتبرون أكثر العلماء شأنا إذا ما قورنوا بالفقهاء والنحاة وغيرهم، إذ أنّ حكام وأمراء المناطق بالمشرق الإسلامي كانوا يبجلونهم ويُغدقون عليهم بالأموال والهبات

(1) الذهبي : تاريخ الإسلام ...، المصدر السابق، ج . 12، ص98 .
(2) للمزيد حول كتب التفسير بالمنطقة، انظر (الثامري: المرجع السابق، ص 14 وما بعدها بصفحات) .
(3) أحمد أمين :المرجع السابق، ج . 2، ص 299 .

ويحترمونهم بشكل كبير[1]، وقد سمح هذا الجو للعلماء بالبروز الأمر الذي نتج عنه غزارة في الإنتاج العلمي، حتى أننا نجد بأنّ الفترة المدروسة تعتبر من أهم فترات التدوين والتأليف[2].

وبدوره لقي **علم الفقه** والذي هو علم يُركّز على دراسة أحكام الشرع المُتعلقة بأفعال المكلفين واستخراجها وتوضيحها، وأصوله ستة، ثلاثة متفق عليها وهي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة، وثلاثة مُختلف فيها وهي القياس والاستحسان والإستصلاح، ويعتبر فقه المواريث أو قسمة التركات بين الورثة هو أصعب أبواب الفقه[3]، لقي هذا العلم بدوره اهتماما كبيرا من أهل المنطقة وحكامهم، ولطالما عيّن الأمراء والسلاطين بالمنطقة الفقهاء في وظائف مرموقة بالدولة وبقصور الحكم، من ذلك قيام حكام آل سامان بتعيين فقيه بدار الإمارة تكون وظيفته الإجابة على أسئلة الأمير وتوضيح حكم الشرع له في مختلف القضايا، أما لقبُ المُعيَّن في هذه الوظيفة فكان هو «الأستاذ»، ومن أشهر الفقهاء الذين تولوا هذا المنصب نذكر الفقيه «عبد الله بن محمد بن يعقوب السبذموني البخاري» (ت 340هـ/ 951م)[4].

كما يظهر مدى الإقبال على تعلم الفقه والاهتمام الكبير به، من خلال ذلك الكم الهائل والعدد المعتبر من المعاهد والمدارس التي كان يُدرس بها الفقه السني، بالإضافة إلى ذلك العدد الكبير من الفقهاء الذين كانوا يُزاولون مهامهم التعليمية بهذه المدارس[5]، فضلا عن الإقبال الكثيف من الطلبة لحضور

(1) أحمد أمين : المرجع نفسه، ج . 2، ص 299.
(2) أبو العلا سلامه إبراهيم عبد المنعم: في تاريخ الدولة الإسلامية المشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2005م، ص 239 .
(3) الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، ط 2، 1409هـ/ 1989م، ص21 – 23؛ عبد الرحمان ابن خلدون (ت. 808 هـ): المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1428 هـ/ 2007 م، ص 453 – 454.
(4) السمعاني: المصدر السابق، ج. 1، ص 179.
(5) الثامري: المرجع السابق، ص –ص 57 – 58 ؛ أبو العلا : المرجع السابق، ص 240.

مجالس هذا العلم والاستزادة منه، ولعل ما زاد من رونق هذه المجالس هي تلك المناظرات التي كانت تُعقَد بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، والتي كان يحضرها أعداد كبيرة من الناس، ولطالما حضَرها أمراء تلك النواحي والمناطق بأنفسهم، وهذا بهدف التعلم والاستفادة والتفقه[1].

وقد كانت مواضيع هذه المناظرات والسجالات العلمية الماتعة ولا شك، متنوعة وكثيرة، خاصة تلك التي تركّزت حول المعاملات والعبادات، ومختلف أحكامها[2]، وممَّا ساهم أكثر في الرفع من حدَّة ووتيرة تلك المناظرات آنذاك، ظاهرة التعصب المذهبي المتفشية حينها[3].

ومن أشهر فقهاء تلك الحقبة المزدهرة فكريا نذكر، «أبي بكر محمد بن إسحاق بن خريمة السلمي النيسابوري» (ت311هـ/ 923م)، الذي بلغ تعداد مؤلفاته أكثر من مئة وأربعين كتابا، ومن الفقهاء البارزين بتلك المنطقة كذلك، الفقيه «أبي نعيم عبد الملك بن محمد الإستراباذي» (ت323هـ/ 934م)، الذي كان مقصدا لطلبة العلم من مختلف أقطار البلاد الإسلامية الشاسعة[4]، هذا ويجب التنويه إلى أنّ كثرة الفرق والمذاهب بالمنطقة والمساعي الحثيثة التي بذلها أتباع هذه التوجهات والمشارب المتنوعة، في سبيل إثبات صحة آرائهم واجتهاداتهم، ومحاولاتهم الرامية لإبراز محاسن مذاهبهم وشرح مبادئها بغرض نشرها على أوسع نطاق ممكن، قد كان عاملا مهما في تنشيط حركة التأليف في ميدان الفقه وحيويته.

(1) المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد (ت. 380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، 1906، ص339؛ نظام الملك الطوسي (ت 485هـ): سياسة نامة، ترجمة يوسف بكار، ط.2، مطبعة السفير، الأردن، 2012، ص 266 .

(2) الثامري: المرجع السابق، ص 145.

(3) أحمد أمين : المرجع السابق، ج . 2، ص 306 .

(4) للمزيد حول الفقهاء خلال فترة الدراسة بهذه المناطق أنظر؛ (الثامري : المرجع نفسه، ص – ص 57 – 58 ؛ أبو العلا : المرجع السابق، ص – ص 241 – 242.).

ولذلك فإنّ الفقه قد وصل بفضل جهود أولئك إلى درجات باذخة من الإجادة، كما وجب الإشارة إلى أنّ الكثير من الفقهاء البارزين بالمناطق قيد الدراسة آنذاك قد حصلوا على نياشين شرف تمثّلت في ألقاب فخرية تُعبّر عن المكانة الكبيرة لحاملها، من ذلك لقب «شيخ الإسلام»، الذي كان أول ظهور له بإقليم خراسان، كما نجد ألقاب فخرية أخرى حملها وعُرف بها عدد من الفقهاء بالمنطقة، على غرار ألقاب شمس الإسلام وإمام الأئمة وغيرها[1].

ولا شكّ أنّ حيوية فكرية كهذه كانت باذخة القطاف والأثر، هذا ما نقف عليه من خلال ذلك الكم الهائل من المؤلفات التي سطّرتها أنامل أولئك الأعلام وجادت بها قرائحهم، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الذي لن تسعه هذه الصفحات، مُؤلف **الجامع في أصول الدين** لصاحبه «إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأسفراييني»، كتاب **مسائل الفقه** «ليوسف بن محمد الأيبوردي» (ت 400هـ/ 1009م)، مُؤلّف «أحمد بن بشر بن عامر المروروذي» (ت 362هـ/ 972م) المُعنون **بالجامع في المذهب** ...، وهي كلها مؤلفات تتمحور حول الفقه الشافعي، ومن مؤلفات الفقه الحنفي نذكر،كتاب **الكافي في الفقه الحنفي** «لمحمد بن أحمد بن عبد الله البلخي» (ت 344هـ/ 955م)، وكتاب **النوازل وخزانة الفقه**، اللذان يعتبران شرحا للفقه الحنفي ألّفَهُما «نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي» (ت373هـ/ 983م)[2].

هذا وقد كان المذهب الشافعي هو السائد بخراسان وما وراء النهر خلال هذه الحقبة الزمنية، رغم وجود عدة فرق بالمنطقة لها أتباعها ومفكريها الذين يدافعون عنها ويعملون جاهدين لنشر آرائهم، وإلى جانب المذهب الشافعي برزت عدّة مذاهب سنية أخرى، على غرار المذهب الحنفي الذي برز الكثير من فقهائه بهذه المنطقة الجغرافية، التي شكّلَت آنذاك محجًّا ومقصدا للكثير من

(1) أبو العلا : المرجع نفسه، ص 242 .
(2) الثامري : المرجع السابق، ص 145 وما بعدها بصفحات .

تلامذة هذا المذهب وأتباعه الذين وفدوا على مدنها من مختلف أصقاع العالم الإسلامي للتتلمذ على يد علماء المنطقة وفقهائها الذين يُعتبر من أشهرهم «أبو منصور الماتريدي» (ت333هـ/ 944م) صاحب **كتاب التوحيد** و**أوهام المعتزلة** و**مآخذ الشرع في الفقه**[1].

ج: علم الحديث:

من العلوم التي أقبل عليها وبرز فيها الكثير من أهالي تلك المناطق، ولا نغالي إن قلنا بأنّ أعلام علم الحديث برزوا في منطقة وحقبة الدراسة، وأنّ أُسس هذا العلم ومبادئه تم تسطيرها في هذه الرقعة من العالم الإسلامي، حتى أنّ أشهر الكتب التي أُلّفت في مجال علم الحديث كان أصحابها من مناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر.

ذلك أنّ الإقبال على الاشتغال بعلم الحديث حفظا ورواية وتدريسا وتأصيلا وتصنيفا بهذه المناطق كان كبيرا جدا هذا الأمر الذي أتى بقطافه سريعا، في أعقاب نجاح المحدثين الذين برزوا بهذه المناطق في تدوين كتب عظيمة بلغ صيتها الآفاق البعيدة، ولا تزال هذه المؤلفات إلى يوم الناس هذا حُجّةً في علم الحديث إذ لا يمكن لأي مشتغل ومُهتم بهذا العلم إغفالها أو تجاوزها، فكيف يُمكن تجاوز **صحيح** «أبي عبد الله البخاري» (ت 256هـ/ 869م)، أو **صحيح** «مسلم بن الحجاج النيسابوري» (ت261هـ/ 874م)؟، فضلا عن مُؤلّفات الأئمة أصحاب السنن الأربعة «الترمذي»، «ابن ماجة»، «القزويني» و«النسائي»[2].

ولنفهم تلك الحيوية الكبيرة التي شهدها علم الحديث في مناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر، وجب الإشارة إلى أنّ الأطفال كانوا يتلقون مبادئ هذا العلم

(1) أبو العلا : المرجع السابق، ص 243 .
(2) الثامري :المرجع السابق، ص 148؛ أحمد أمين : المرجع السابق، ج .2، ص299 .

ويدرسونه وهم صغار في أماكن مخصصة لذلك على غرار الكتاتيب[1]، كما أنّ هذه المناطق كانت تتواجد بها مدارس مختصة بتدريس الحديث وعلومه دون سواهما لكل من أراد الاشتغال بهذا العلم، عُرفت بدور السنّة[2]، كما أنّ الإقبال على دراسة هذا العلم لم يكن حكرا على أبناء العامة دون سواهم بل حدث وأن زاحمهم عليه حتى الأمراء بتلك النواحي وأبنائهم[3]، وبالإضافة إلى دراسته اهتم عدد معتبر من محدثي المنطقة بتدوين الحديث، على غرار «مكي بن أحمد بن سعدويه البردعي» (ت 354هـ/ 965م)[4].

ولهذا كذلك نجد في الألقاب التي حملها الكثير من أعلام مناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر ما يدل على اشتغالهم بعلم الحديث واهتمامهم به، ومن أبرز هذه الألقاب **الحاكم** وهو المُلم بعلم الحديث، و **الحافظ** ويُطلق هذا اللقب على من يكون محيطا بما أجمع عليه العلماء وما اختلفوا فيه، من الألقاب كذلك **المُحدّث** وهو المُشتغل برواية الحديث والعارف بالأسانيد والعلل وأسماء الرجال كذلك **المُسند** وهو من كان يروي الحديث بسنده وصولا إلى النبي ﷺ[5].

هذا وتجب الإشارة إلى ظاهرة خطيرة وسلبية شهدتها المنطقة، تتمثل في بروز فئة من الدجالين الذين عمدوا إلى تلفيق الأحاديث زورا وبهتانا[6]، وهذا بغرض تحقيق مكاسب دنيوية ومحاولة تحصيل مكانة لدى عامة وخاصة سكان هذه المناطق الذين اشتهروا بتقديرهم لكل مُشتغل بالحديث النبوي الشريف، أو قد يكون مردُّ فعلهم هذا راجع في أساسه إلى دوافع إيديولوجية رامية إلى ضرب الإسلام من داخله من خلال زرع الكثير من الأحاديث المكذوبة والمغلوطة تمهيدا

(1) الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ/ 1999م، ص 293.
(2) السمعاني : المصدر السابق، ج .3، ص 145 .
(3) الثامري : المرجع السابق، ص 149 .
(4) السمعاني : المصدر السابق، ج . 1، ص 314 .
(5) الثامري : المرج السابق، ص 148 .
(6) السمعاني : المصدر السابق،ج . 1، ص 147 ؛ الحموي : معجم البلدان، المصدر السابق، ج . 1، ص 122 .

لنشرها وسط العامة ودفعهم للعمل بها، حيث لا يخفى علينا أنّ مما اشتهرت به هذه الفترة هو تفشي الحركات الهدامة داخل المجتمعات الإسلامية، خاصة بالمشرق الذي نقم بعض أهله على الإسلام وسرعة انتشاره هناك، الأمر الذي أفقد الكثير من أصحاب المصالح نفوذهم، وأورثهم حسرة في أنفسهم ونقمة على هذا الدين في نفس الوقت، وبالتالي سعوا إلى الطعن فيه والانتقاص منه بكل السبل.

وعودا على بدء نذكر بعضا من أبرز مؤلفات المحدثين بالمنطقة لنستدل بها على تلك الحيوية والحركية العلمية الثرية والتي كان من قطافها، **كتاب غريب الحديث** «لأبي سليمان الخطابي البستي» (ت388هـ/ 998م)[1]، وكتاب **الجرح والتعديل** «لأبي عبد الرحمان بن يوسف المروزي» (ت283 هـ/ 896 م) وكتاب **المنتقى من السنن** «لأبي محمد عبد الله بن علي النيسابوري» (ت 307هـ/ 919م)، هذا واشتهر بعض محدثي المنطقة بكثرة مُؤلفاتهم على غرار «أبو حاتم البستي» (354هـ/ 965م) صاحب عدد من العناوين على غرار كتاب **الثقات، وما انفرد به أهل المدينة، وما انفرد به المكيون، وما انفرد به أهل العراق، وما انفرد به أهل خراسان، وغرائب الكوفيين** وغيرها مما جادت بها قريحته من مؤلفات، هذا وتجب الإشارة كذلك إلى اشتغال عدد من رؤوس الشيعة بتجميع الأحاديث الواردة عن أئمتهم ومشايخهم[2].

د: علم الكلام :

هو العلم الذي يبحث في ذات الله عزّ وجلّ وصفاته، وتفسير أفعال الإنسان خيرها وشرها حسب شريعة الإسلام، فهو يتناول العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية[3]، عرف هذا العلم رواجا مُعتبرا بالمشرق الإسلامي ذلك أنّ الدليل المنطقي والاستناد إليه كان مما يتلائم وعقلية أهل المشرق، ولهذا فقد انتشرت آراء المتكلمين بالمنطقة

(1) – ابن خلكان : المصدر السابق، ج . 2، ص 214.
(2) للمزيد حول مؤلفات علم الحديث، انظر (الثامري : المرجع السابق، ص 151 وما بعدها بصفحات .).
(3) – أبو العلا : المرجع السابق، ص 243 .

بشكل كبير، خاصة في ظل قُدرة المُتكلمين الكبيرة هناك على الإقناع بالجدال والحوار[1]، وفي البدايات الأولى لعلم الكلام كان غرضه الأساسي الدفاع عن العقائد الإسلامية ضد الأفكار الفلسفية الجديدة التي أخذت في التغلغل في أوساط المجتمعات الإسلامية، أين لقيت رواجا وقبولا لدى بعض عناصرها التي تبنت هذا الفكر الوافد وأخذت في العمل على نشره، وهذه الحركية الفكرية والتفاعلات الثقافية كانت من نتائج اهتمام السلطات الإسلامية آنذاك بحركة الترجمة والتي مست مختلف المجالات العلمية بما في ذلك المجال الفلسفي[2].

أما عن العوامل التي ساهمت في هذا الازدهار الكبير لعلم الكلام بمناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر آنذاك فهي متعددة، ومن أبرزها ذلك الانتشار الواسع لأتباع مختلف المذاهب والفرق هناك على غرار الكرامية، والزيدية، والإسماعيلية والمعتزلة، والخوارج، والأشاعرة وغيرهم[3]، والجهد الذي بذله أتباع هذه الفرق لنشر معتقداتهم وترسيخها في تلك النواحي من البلاد الإسلامية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ تلك المناطق عرفت ظهور فكرة الاجتهاد بالرأي لدى عدد من أتباع المذاهب والفرق الإسلامية بها، هذه الأخيرة التي عمد أتباعها لاستخدام الاجتهاد والقياس، حتى أصبح الكثير من الفقهاء المسلمين يتناقشون في الأمور الدينية ويتناظرون باعتماد العقل والتصور وهذا بطبيعة الحال كان إلى جانب استخدامهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية[4].

هذا وكان المعتزلة من أكبر المساهمين في انتشار هذا العلم، حيث أنّ من بين أبرز أهداف هذه الفرقة الدعوة إلى الإسلام والرد على المخالفين، لذلك

(1) الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق، ص 244 .
(2) العمادي : المرجع السابق، ص –ص 303 – 304 .
(3) محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت. 387 هـ) : مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت، ط . 2، 1409 هـ/ 1989 م، ص . 45 وما بعدها بصفحات ؛ الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق، ص 344 – 345 .
(4) أبو العلا : المرجع السابق، ص 245 .

عمدوا إلى الإحاطة بأقوال وحُجج الفرق المخالفة لهم بهدف مجادلتهم سعيا لدحض آرائهم[1]، ثم أخذوا يبحثون في عدد من المسائل الكلامية فنشأت مسألة خلق القرآن وراجت بين الفرق الدينية كغيرها من المسائل الكلامية، وظهر الخلاف بين أصحاب الفرقة الواحدة، حتى أنَّ عددا من الفرق انقسمت إلى عدة طوائف مختلفة فيما بينها خلافا كثيرا أو قليلا، وإذا كان الخلاف على العقائد وما يتصل بها فذلك علم الكلام بينما الخلاف على الفروع هو علم الفقه[2].

كما نجد بأنّ الشيعة ومُتكلميهم قد عرضوا عقائدهم وآرائهم جهرا ببعض تلك المناطق، حدث هذا بعد أن علا شأنهم واتبع مذهبهم عدد من كبار رجالات الحكم والسياسة والقيادات العسكرية هناك[3]، كما قام رؤوسهم وأعلامهم بتأليف عدد من الكتب التي تحمل أفكار عقيدتهم التي دافعوا عنها، كان من أهمها خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي، كتاب يعرض أصول مذهبهم وشريعتهم يحمل إسم **البيان**، من تأليف شخص يدعى «غياث»، كذلك كتابي **أساس الدعوة والتأويل وكشف الأسرار** «لأبي يعقوب السجزي»[4]، كما لاقت دعوة فرقة الكرامية التي قالت بالتجسيم والتشبيه بعض الرواج بالمنطقة، خاصة في أوساط الفلاحين وصغار العمال الكادحين[5].

وقد تصدى لأصحاب هذه المذاهب عدد من فقهاء السنة مناظرة وتأليفا، كالمناظرة التي جرت بين «البغدادي» صاحب كتاب **الفرق بين الفرق** وشيخ من شيوخ الكرامية اسمه «إبراهيم ابن المهاجر»، بمجلس قائد الجيوش السامانية «أبي الحسن محمد ابن إبراهيم بن سيمجور» سنة 370هـ/ 980م، وبيّن البغدادي فيها

(1) أحمد أمين: ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2012، ج.3، ص691 – 692.
(2) العمادي : المرجع السابق، ص204 .
(3) نظام الملك : المصدر السابق، ص 253.
(4) أبو العلا : المرجع السابق، ص –ص 248 – 249 .
(5) الفقي : الدول المستقلة في المشرق ...، المرجع السابق، ص 344 .

لخصمه أمام الحضور بأنه لا يعبد الله تعالى[1]، ومن الذين تصدوا لمُخالفي السنة كذلك «الدرامي» (ت280هـ/ 893م)، الذي تمكن من طرد «محمد بن كرام» من هراة ومن مؤلفاته **الرد على الجهمية**، ومن المتكلمين السنة وفقهاء خراسان الذين تصدوا لأصحاب الفرق المخالفة كذلك، نذكر «السراج النيسابوري» (ت 313هـ/ 925م) و كذلك «أبو سهل الصعلوكي» (ت369هـ/ 979م) و«الفاشاني» (ت371هـ/ 981م)[2].

ومن بين أهم المؤلفات في هذا المجال كان، **معالم الدين** «لمحمد بن اليمان السمرقندي» (ت 268هـ/ 881م) **وكتاب الإيمان** «ليحي بن منصور الهروي» (ت292هـ/ 904م)، وكتب «أبي بكر أحمد بن إسحاق النيسابوري» (ت 342هـ/ 953م)، مثل **الأسماء والصفات** وكتاب **الإيمان** وكتاب **القدر**، كذلك كتاب **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع** «لسالم بن عبد الله الهروي» (ت 433هـ/ 1041م) وغيرها كثير[3]، وفي هذا الكم الوافر من المؤلفات الخاصة بهذا العلم ما يبين لنا مكانة هذا العلم ورواجه الكبير بمناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر.

ه: التصوف:

المعروف أنّ التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يرغب فيه الناس من أموال ولذات بالتفرغ للخلوة والتعبد[4]، وظاهرة التصوف ظاهرة بشرية ونزعة من النزعات الإنسانية وهو لا يرتبط بفئة دون أخرى، أو بجنس دون غيره ولا حتى بديانة دون سواها، لذلك فالصوفي كما قد يكون منتميا إلى الإسلام، يمكن كذلك أن يكون منتميا إلى غيره من الديانات، وحتى في الإسلام فإنّ التصوف لا يرتبط

(1) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الأسفراييني (ت429 هـ/ 1037 م): الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، 1416 هـ/ 1995 م، ص 224 – 225 .
(2) أبو العلا : المرجع السابق، ص 249 .
(3) للمزيد عن الكتب في هذا المجال، انظر (الثامري : المرجع السابق، ص 139) .
(4) ابن خلدون : المقدمة، المصدر السابق، ص490.

بفرقة أو مذهب دون غيره، فالصوفي قد يكون معتزليا أو شيعيا أو ربما سنيا...[1].

ولأنّ مناطق خراسان وبلاد ما وراء النهر خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة قد شهدت صراعات طاحنة وسجالات كثيرة بين أتباع مختلف الفرق والمذاهب، فضلا عن تلك الاضطرابات والقلاقل التي تفشّت بالمنطقة بفعل المشاكل والصراعات السياسية الكبيرة التي انعكست على المُجتمع برمته وأثّرت عليه، فقد ازدهر التصوف وازداد تعداد المتصوفة، وهذا بسبب محاولة البعض الهروب من النزعة المادية التي سادت المجتمع خلال هذه الفترة حتى قيل:«من أراد أن يكون حرا من الكون فليُخلص في عبادة ربه، فمن تحقق له عبادة ربه صار حرا مما سواه.»[2].

وفي ظل المشاكل الاجتماعية التي عرفتها تلك المناطق أدى المتصوفة أدوارا إيجابية بالمجتمع ولم يعتزلوه نهائيا، وحاولوا قدر جهدهم إصلاح ما يمكن إصلاحه، من خلال النصح والإرشاد، أو من خلال إظهار الأخلاق الخيرة والقدوة الحسنة، خاصة وأنهم اعتبروا أنفسهم حملة رسالة سامية هدفها إظهار الشريعة الإسلامية على حقيقتها قولا وفعلا، ومنهم « أبو الحسن البوشنجي» (ت 348 هـ/ 959 م) الذي كان مُتدينا متعهدا للفقراء، ومن أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد والمعاملات، وأحسنهم طريقة في الفتوى[3].

وبالرغم من عدم انعزال المتصوفة عن المجتمع بشكل نهائي، إلا أنهم خصصوا وقتا للخلوة والعبادة، وورد عن بعضهم قوله:»العبادة حرفة حوانيتها الخلوة ورأسمالها الاجتهاد بالسنة وربحها الجنة»، ومن أشهر متصوفة خلال تلك الحقبة نذكر «أبو زيد البسطامي» (ت 261هـ/ 874م) و»أبو حفص النيسابوري»

(1) أحمد أمين : ظهر الإسلام، المرجع السابق،ج . 4، ص 839 ؛عبد الوهاب عزام : التصوف وفريد الدين العطار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013، ص –ص 13 – 14 .
(2) أبو عبد الرحمان السلمي (ت 412 هـ) : طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط . 1، 1419 هـ/ 1998 م، ص 305 .
(3) السلمي : المصدر نفسه، ص 342 .

(ت 270هـ/ 883م) و«أبو عثمان الحيري النيسابوري» (ت 298 هـ/ 910 م) و«الزجاجي» (ت 348هـ/ 959م) و«الفراء» (ت 370هـ/ 980م) وغيرهم من علماء وأعلام التصوف[1]، هذا ولم يكن التصوف مقتصرا على الرجال دون النساء، فقد عرفت تلك الأراضي عديد المتصوفات الزاهدات في الدنيا وزينتها[2].

❊ ❊ ❊

(1) أبو العلا : المرجع السابق، ص251 .
(2) السلمي : المصدر السابق، ص 404 – 405.

الخاتمة:

في ختام هذا العمل يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية.

-أنّ منطقة المشرق الإسلامي عموما وبالأخص خراسان وبلاد ما وراء النهر، قد شهدت خلال فترة الدراسة حيوية فكرية كبيرة مست مختلف المجالات العلمية.

- بدورها عرفت العلوم الدينية على تنوعها رواجا كبيرا، حيث أقبل عليها الكثير من طلبة العلم من أبناء المنطقة وبرعوا فيها.

-حظي هذا النوع من العلوم باهتمام من العامة والخاصة على حد سواء، الأمر الذي زاد من حدّة رواجه وسط ساكنة المنطقة.

- إنّ ما شهدته المنطقة المدروسة من تنوع عرقي ومذهبي، ومن تواجد كثيف لأتباع مختلف المذاهب والفرق، ومساعيهم الحثيثة لنشر توجهاتهم وآرائهم واستقطاب أكبر قدر ممكن من الأتباع والمريدين، وما حدث بين أتباع هذه التوجهات المختلفة من سجالات ونقاشات فكرية قد كان سببا رئيسيا في تلك الحيوية الفكرية بالمنطقة.

- برع الكثير من أبناء هذه المناطق في مختلف مجالات العلوم الدينية، وأصبحوا حجّة فيها بكل العالم الإسلامي، وكانوا مقصدا لطلبة العلم من مشارق الأرض ومغاربها في حياتهم، وإلى اليوم لا تزال كتب الكثيرين منهم حجّة ومنهاجا.

- على الرغم من ما خلّفته هذه الحركية العلمية من إيجابيات، إلاّ أنها لا تخلوا من بعض السلبيات التي أثّرت ولا تزال في العالم الإسلامي، في ظل سعي البعض من مفكري وعلماء تلك الحقبة للانتصار لأفكارهم ومذاهبهم، ولو على حساب الحقيقة العلمية.

قائمة المصادر والمراجع:

- الثعالبي النيسابوري عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/ 1037م): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، ج. 4، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط. 1، 1403هـ/ 1983م .

- الجموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت.626هـ/ 1229م): معجم البلدان، ج 3، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1997م.

- المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد (ت. 380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر،بيروت، مطبعة بريل، 1906.

- عبد الرحمان ابن خلدون (ت. 808 هـ) : المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1428 هـ/ 2007 م.

- ابن خلكان أبي بكر(ت 681هـ): وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، ج 1، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1397هـ/ 1977م.

- أبو العلا سلامه إبراهيم عبد المنعم: في تاريخ الدولة الإسلامية المشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2005م .

- أبو عبد الرحمان السلمي (ت 412 هـ) : طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط . 1، 1419 هـ/ 1998 م .

- أحمد أمين: ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2013 .

- الثامري إحسان ذنون: الحياة العلمية زمن السامانيين– التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع لهجرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2001.

- الخوارزمي محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387ه): مفاتيح العلوم، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، ط 2، 1409ه/ 1989م.

- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج.26،تح عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي، بيروت، 1412هـ/ 1992م .

- السمعاني ابن منصور التميمي (ت. 562هـ): الأنساب، تقديم عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، ط. 1، 1408هـ/ 1988م.

- العمادي محمد حسن : خراسان في العصر الغزنوي، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ودار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 1997م.

- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ/ 1999م.

- عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الأسفراييني (ت 429 هـ/ 1037 م): الفرق بين الفرق،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا،1416 هـ/ 1995 م.

- عبد الوهاب عزام : التصوف وفريد الدين العطار، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2013 .

- نظام الملك الطوسي (ت 485هـ): سياسة نامة، ترجمة يوسف بكار، ط.2، مطبعة السفير، الأردن، 2012.

-أحمد أمين : ضحى الإسلام،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2012، ج . 3.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

المنشآت المعمارية في مدينة بخارى خلال الفترة السامانية (4هـ-10م)

Architectural structures in the city of Bukhara during the Samanid period (4 AH-10 AD)

زهراء بوعلاق، جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر)،

bouallegue.zahra@univ-guelma.dz

الملخص:

لاتزال العمارة الإسلامية شاهدة على عظمة حضارة الإسلام وإنسانيتها، إذ لم تقتصر على المساجد والمنازل فقط، بل امتدت لتشمل المدارس والأربطة، وحتى القلاع والحصون مما يدل على اهتمامها بكافة مناحي النشاط الاقتصادي والاجتماعي، وجمعت بين مختلف أشكال الفنون الأخرى.

ولاتزال الخصائص الحضارية للمدينة الاسلامية باقية ثابتة لكل مكان وزمان، ولكن تختلف خصائصها العمرانية باختلاف المكان والزمان، فلكل مكان خصائصه المناخية والطبوغرافية والذاتية التى تؤثر على النسيج العمراني للمدينة، وتُعد المنطقة التاريخية في بخارى من أفضل الأمثلة على المدن الإسلامية في آسيا الوسطى التي حُفظت صروحها ومعالمها العائدة للفترة من القرن العاشر إلى القرن السابع عشر حفظاً جيداً، والتي سلم نسيجها العمراني إلى حد كبير من عاديات الزمن.

الكلمات المفتاحية: العمارة، بخارى، القلاع، المساجد، القصور، المدارس، الرباط، الأسواق.

Abstract: Islamic architecture is still a witness to the greatness and humanity of the

civilization of Islam, as it was not limited to mosques and homes only, but extended to include schools, ligaments, and even castles and forts, which indicates its interest in all aspects of economic and social activity, and combined various other forms of art.

The cultural characteristics of the Islamic city remain fixed for every place and time, but its urban characteristics vary according to place and time, each place has its climatic, topographic and subjective characteristics that affect the urban fabric of the city, and the historical area in Bukhara is one of the best examples of Islamic cities in Central Asia, which preserved its edifices and landmarks dating back to the period from the tenth century to the seventeenth century well, and whose urban fabric was largely handed over from the ordinaries of time.

Keywords: architecture, Bukhara, castles, mosques, palaces, schools, Rabat, markets.

مقدمة:

تعتبر العمارة والفن الاسلامي واحدا من أبرز الجوانب الحضارية لبلاد ما وراء النهر، فالمصادر التاريخية فيها الكثير من الاشارات التي توضح الاهتمام الكبير ببناء المنشآت المعمارية سواء كانت عمارة دينية مثل المساجد وملحقاتها والمدارس والرباط، او عمارة مدنية مثل القصور والمنازل، فضلا عن القلاع والحصون الكثيرة التي شيدوها والتي طورت هذه المنطقة المهمة من البلاد الإسلامية في ذلك الوقت، وهذا البحث يوضح المستوى الذي جسدته «العمارة الإسلامية» من منجز معماري هام ورفيع في فنون الهندسة المعمارية وفنون الزينة في مدينة بخارى والتي تسرد عظمة الحضارة الاسلامية في هذه المنطقة.

وتأتي أهمية هذا البحث ليفتح الباب على مصراعيه لدراسة أعمق للمجال المعماري في مدينة بخارى منذ الفتح الإسلامي والتي وصلت الى أوجها عندما

أصبحت عاصمة للسامانيين في القرنيين الثالث والرابع الهجري/ التاسع والعاشر الميلادي، ومن ثمة اظهار قمة النماذج التصميمية التي اجترحت مدينة بخارى وهي التي بقيت كشاهد مادي ملموس عن طبيعة وخصوصية ذلك المنتج المعماري المتنوع والذي سنسعى من خلال هذه الدراسة لتبيانه.

وقد جاءت إشكالية البحث كالاتي:

فيما تتمثل المنشآت العمرانية في مدينة بخارى؟ ومدى الاهتمام بهذه المنشآت؟

1: موقع بخارى الجغرافي:

بخارى بالضم: من أعظم مدن بلاد ما وراء النهر[1] وأجملها، وبينها وبين نهر جيجون[2] يوما، وتبعد عن مدينة مرو اثنتا عشرة مرحلة، وبينها وبين خوارزم أكثر من خمسة عشر يوما، وبينها وبين سمرقند[3] سبعة أيام أو سبعة وثلاثون فرسخا، بينهما بلاد الصغد[4]، وبلاد ما وراء النهر انزه بلاد الإسلام

(1) يقصد ببلاد ما وراء النهر بالبلاد الواقعة وراء نهر جيحون اذ عد هذا النهر هو الحذ الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية والمستقرة في خرسان ودوران. أنظر: محمود شيت خطاب، بلاد ما وراء النهر، دار قتيبة، ط،4، بيروت، 1411هـ - 1990م، ص 5.

(2) نهر جيحون: نهر كبير بأسيا الوسطى، مشهور جدا واليه تنسب البقعة المعروفة عند العرب ببلاد ما وراء النهر، أطلق عليه مصطلح أسودايا، مخرج هذا النهر من المشرق من بلاد التبت، ثم يمر ببلاد وخان ويسمى هناك وخاب، ثم يمر بحدود بلخ مما يلي المشرق ثم ينعطف ناحية الشمال مع الجنوب الى أن يسير الى الترمذ، ثم منها الى خوارزم. أنظر: ابن رستة، أبو علي احمد بن عمر (ت 290ه/ 902م)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1893م، ص 91.

(3) سمرقند: منطقة مشهورة مبنية على جنوبي الصغد وهي مرتفعة عليه تقع حاليا في جمهورية أوزباكستان. أنظر: الحموي، شهاب الدين أبي عبد الأسد ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج3، ص247،264.

(4) الصغد: إقليم يشمل الأراضي الخصبة فيما وراء نهر جيحون وسيحون. أنظر: كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1985م، ص 503.

وخاصة مدينة بخارى، وليس بما وراء النهر وخراسان[1] بلدة أهلها أحسن قياما بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر عددا على قدرها في المساحة، قال الحموي: « فأما بخارى واسمها بومجكث[2]، فهي مدينة على أرض مستوية وبناؤها خشب مشبك ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحال والسكك المفترشة والقرى المتصلة سور يكون اثنى عشر فرسخا في مثلها يجمع هذه القصور و الأبنية و القرى والقصبة.....وليس بخرسان وما وراء النهر مدينة أشد اشتباكا من بخارى ولا أكثر أهلا على قدرها، ولهم في الربض نهر الصغد يشق الربض وهو اخر نهر الصغد فيفضيا لى طواحين و ضياع ومزارع ويسقط الفاضل منه في مجمع ماء بحذاء بيكند الى قرب فرير يعرف بسام خاس، ويتخللها أنهار وداخل هذا السور مدن وقرى كثيرة منها الطواويس وهي مدينة بومجكث وزندنة وغير ذلك».

ولها ستة عشر ألف قرية نذكر منها: كرمينة، نور، طوايسة، أسكجكت، شرغ، زندنة، وردانة، أفشنة، بركد، راميتن، درخشة، بيكند، فرب[3].

وللمدينة خارج السور الى شماله الغربي قهندز[4] متصل بها، وهي مدينة صغيرة فيها مساكن الولاة والحبس والخزانة لخرسان، ويوجد خارج المدينة وحولها أرباض واسعة، كانت تابعة لخرسان[5].

(1) خرسان: بلد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، واخر حدودها الهند وتخارستن، وتضم كور ومدن عدة منها نياسبو، هراة، مرو، بلخ، الطالفان، نسا، أبيورد، سرخس، ومما يتخلل ذلك من المدن، وفي خراسان أجود أنواع الدواب والرقيق والأطعمة. أنظر: الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت 340هـ/ 951م)، مسالك الممالك، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت،1938م، ص 286، 253.

(2) بومجكث: أو أوماجاكان هو الاسم القديم لمدينة بخارى كان معروف في العهد الإسلامي. أنظر: أبا بكر محمد بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى، ترجمة: أمين بدوي ونصر الله الطرازي، دار المعارف، ط3، القاهرة، ص 08.

(3) كي ليسترنج، المرجع السابق، ص 504.

(4) قهندز: تسمية فارسية تعني القلعة، أي الحصن القديم. أنظر النرشخي، المصدر السابق، ص09.

(5) يحي الشامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر الاسلامي، ط1، بيروت، 1993، ص 409.

2: الفتح الإسلامي لمدينة بخارى:

كان أهل بخارى قبل الإسلام وثنيين لهم سوق تباع فيها الأصنام يقال لها «ماخ» وتقام مرة كل عام. وأكثر الروايات تتفق على أن بوادر الفتح الأولى كانت مع الربيع بن الحارث[1]، في سنة 46هـ/ 666م الذي فتح بلخ[2] عنوة كما قاتل الأتراك وهزمهم[3]، وبعدها حملة عبيد الله بن زياد سنة 53ه/ 673م الذي يعتبر أول من اجتاز النهر من المسلمين إلى جبال بخارى وعين والي للخليفة معاوية بن أبي سفيان (41 - 60هـ/ 687 - 706م) على خراسان سنة 54هـ/ 674م، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فقطع النهر في أربعة وعشرين ألفا، وكان على عرش بخارى في ذلك الوقت أرملة أميرها التي تجمع أغلب المصادر على تسميتها «خاتون» وهو لفظ تركي معناه «السيدة»وقد أرسلت خاتون إلى الترك تستمدهم فلقيهم المسلمون وهزموهم[4]، فطلبت خاتون الصلح والأمان فصالحها عبيد الله بن زياد على ألف درهم. ودخل المدينة وفتح زامين وبيكند، وعاد إلى البصرة في ألفين من سبي بخارى كلّهم جيّد الرمي بالنّشّاب ففرض لهم العطاء.

ثم ولّى الخليفة معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان خراسان سنة 55هـ، فقطع النهر وغزا سمرقند وانتصر على أهل الصغد من الترك فصالحوه

(1) هو ربيع بن زياد الحارثي يكنى أبا عبد الرحمن ولى خرسان من ظرف معاوية، وكان الحسن البصري كاتب له. أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: مازن بن سالم باوزير، دار المفتي، ج4، ص204.

(2) مدينة عظيمة من أمهات بلاد خراسان بناها هامنو جهرين افريدون. أنظر: القزويني، ص331.

(3) أرمينوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور ترجمة: محمد محمود الساداني، المؤسسة المصرية، ص 57،58.

(4) النرشخي، المصدر السابق، ص 56.

على رهنا بخمسين غلاما[1]، وحملت خاتون إليه الأتاوى وأعانته بأهل بخارى[2].

لكن بخارى لم تسلم للقياد الفاتحيين اذ كانت ممعنة في الوثنية تظهر الإسلام وتسر البقاء على وثنيتها، ومن يعود له الفضل الأكبر في فتح بخارى هو قتيبة بن مسلم الباهلي[3] الذي ولاه حجاج بن يوسف الثقفي على خرسان 57-95هـ/ 694-714م، فكانت بدايات محاولاته سنة 86هـ فغزا سنة 86هـ/ 705م ففتح أرمينة لكنه لم يكمل الفتح ورجع الى مرو[4] فبعث اليه الحجاج بكتاب يأمره بالرجوع الى ملك بخارى فردان خداه[5]، وهذا ما تم سنة 90هـ/ 709م فاستنجد ملك بخارى بالترك والصغد فأنجدوه ولكن هذا الأخير انتصر عليهم فاضطر ملك بخارى أن يعقد صلح مفاده دفع فدية فوافق قتيبة على ذلك[6]، وفي سنة 90هـ/ 709م غزا فرغانة وخجند وكاشتان، وافتتح الشاش[7].

لقد استغرق الفتح الإسلامي لمدينة بخارى زهاء أربعين عاما، وكان للعمليات التي قام بها الفاتحون بدأ بعبيد الله بن زياد وسعيد بن عثمان الأثر البالغ في التمهيد للفتح النهائي للمدينة والذي تم على يد قتيبة بن مسلم الباهلي الذي استطاع أن يجسد السيادة الإسلامية والدين الإسلامي في بخارى.

(1) ابن الأثير -أبي الحسن علي بن أبي كرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1987م، ج1، ص 355،356.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 354، 355.
(3) قتيبة بن مسلم الباهلي: هو مسلم بن قتيبة الباهلي بن الحطين بن ربيعة، أبو حفص الباهلي أمير خرسان، افتتح خوارزم وبخارى وسمرقند وولى خريان لمدة عشرة سنوات. أنظر: ابن حزم -أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعرف، ط5، القاهرة، ص246.
(4) مدينة قريبة من الشاهيجان بينهما خمسة أيام وهي على نهر عظيم لذلك سميت بذلك. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 112.
(5) فردان خداه: وزير أصله من التركستان استأثر بملك بخارى بعد وفاة ملكتها خاتون وبعد اندحاره أمام قتيبة سنة 90 هـ هرب الى تركستان ومات هناك
(6) ابي أحمد بن محمد بن يعقوب ابن مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسوي حسين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج 2، ص 264.
(7) الذهبي، دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت، 1994م، ج1، ص 82.

3: بخارى في العصر السامانى[1]

كانت بخارى تابعة إداريًا للطاهريين ولاة خراسان، حتى سنة 259هـ/ 873م حينما أقر الخليفة العباسي المعتمد على الله (256-279هـ/ 870-892م) نصر بن أحمد الساماني على إقليم بلاد ما وراء النهر منفصلا عن خراسان، تقديرا لإخلاصهم للخلافة، ثم ولّى نصر بن أحمد الساماني أمير سمرقند أخاه إسماعيل بخارى بناء على طلب أهلها وعلمائها، ولما تُوفي نصر سنة 279هـ/ 892م صار إسماعيل حاكماً لما وراء النهر، واعترف به الخليفة أميراً على خراسان وما وراء النهر[2].

كان للسامانيين أدوارًا حضارية وسياسية بارزة، فامتاز عصرهم بنهضة علمية وأدبية رائعة، واتجهوا إلى إحياء الثقافة الفارسية والأدب الفارسي، وظهرت في عهدهم الكتابة باللغة الفارسية إلى جانب اللغة العربية، كما شهد العصر الساماني نهضة صناعية تجلت في صناعة الخزف والورق والسجاد والمنسوجات الحريرية، ناهيك عن المنشآت العمرانية التي اجترحت المدينة[3].

ومن الناحية السياسية فقد دافع السامانيون عن منطقة الثغور الشرقية ومدوا النفوذ الإسلامي إلى بلاد الترك، ولم يخرجوا يومًا عن تبعية الخلافة العباسية في بغداد، واعتبروا أنفسهم الأداة المطبقة الطيّعة المنفذة لأوامر الخلفاء العباسيين، وتمثل فترة حكمهم العصر الذهبي لتاريخ آسيا الوسطى الإسلامية وصارت بخارى عاصمة للدولة السامانية ومركز إشعاع للعلوم والصناعة[4].

(1) ينتسب السامانيون الى أسرة فارسية عريقة الأمجاد، وقد استمدوا اسمهم من احدى قرى المشرق تسمى سامان، ولقي جدهم الذي بنى هذه القرية» بسامان خداه»، كما كان يلقب أمير بخارى «ببخار خداه»، وبذلك فمعنى سامان خداه أمير سامان، كبير سامان أو رئيس سامان، وهذا دليل على أن القرية كانت تحت حكم جدهم وخاضعة لرأيه. أنظر: النرشخي، المصدر السابق، ص 90، 91.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 503.

(3) أحمد محمد عدوان، موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 141هـ= 1990م، ص92 -117، عطية القوصي تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة، 1992 - 1993م، ص53 - 61.

(4) أحمد محمد عدوان، المرجع نفسه، ص 92.

وقد مدحها الثعالبي في يتيمة الدهر، فقال عن بخارى: «كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر...»[1].

4: المنشات العمرانية في مدينة بخارى:

1: القلاع والحصون: (انظر الملحق رقم 01)

أ-تعريف القلعة:

لغة: يمكن تعريف القلعة لغة بأنها كلمة مفردة وجمعها قلاع وقلع، ومنه يقال: أقلعوا بهذه البلاد اقلاعا بنوها فجعلوها كالقلعة بفتح اللام، ومنه الحصن المنيع في الجبل، وجمعه قلوع[2].

اصطلاحا: أما تعريف القلعة اصطلاحا فيمكن تعريفه بأنه الحصن الممتنع في أعلى الجبل ويكون صعب المرتقى.

ب-تعرف الحصن:

لغة: حصن المكان حصانة، فهو حصين: منع أو حصنه صاحبه وحصنه والحصن: كل موضع حصين لا يوصل الى ما في جوفه، والجمع حصون، وحصن حصين: من الحصانة، وحصنت القرية اذ بنيت حولها، وتحصن العدو، وفي حديث الأشعب تحصن في محصن، الحصن: القصر والحصن، وتحصن اذ دخل الحصن واحتمى به، ودرع حصين وحصنته محكم[3].

ج-تخطيط القلاع والحصون:

كان الهدف من هذه التحصينات أو العمران العسكري ان صحت تسميته

(1) - أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ - 1983، مج4، ص155.
(2) ابن المنظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج12، ص177.
(3) نفسه، مج4، ص 144

ضرورة لتوفير الأمن والأمان لسكان المدن لممارسة نشاطاتهم المختلفة، وذلك لأهمية الأمن في الإسلام، وكان هذا الاهتمام بتحصين المدينة الإسلامية واضحا في الرؤية التخطيطية للمدينة، فأنشأت الأسوار والخنادق والأبراج، وكان واضحا في المدن التي بنتها الدولة الإسلامية، وكذلك الحال مع المدن التي كانت قائمة قبل الإسلام[1].

ولا شك أن القادة والولاة في بلاد ما وراء النهر قد نقلو قسما من التحصينات والأفكار العسكرية التعبوية والميدانية من بلاد الشام حيث الثغور البيزنطية وطرق بنائها وهندستها من حيث الاكثار من بناء الأسوار من خلال إقامة سورين أو ثلاثة حول القلعة لزيادة قوة تحصينها وحمايتها، إضافة الى إقامة الأبراج في الأسوار وتزويدها بالأسلحة، وكل المعدات الحربية مع حفر خندق كبير يحيط بالقلعة ويسمى الحفير ويتقدمه أكيمة ترابية تسمى متراس[2].

وعند فتح مدينة بخارى على يد قتيبة بن مسلم الباهلي كانت محصنة بشكل جيد ويحيط بها سور يجمع القصور والأبنية، وكان لمدينة بخارى قلعة «قهندز» تسمى الأرك أو قلعة الأمراء وهذه القلعة محصنة جيدا وتقع في مكان مرتفع وكان يسكنها حاكم المنطقة مع وزرائه وقواده وقضاته منعزلا عن العامة متحصنا عن البغاة والمعتدين[3].

وعندما جاء المسلمون وفتحوا مدينة بخارى زادوا في تحصينها، وللقصبة قلعتان أحدهما تقع خارج المدينة في الريض وتتصل بها، وهي دار الامارة أو

(1) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد: 128، ص 76،78.
(2) مؤنس عوض، التنظيمات الدينية الحربية، دار الشروق، ط1، الأردن، 2004، ص 80، 81.
(3) محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، دار القلم، ط1، بيروت، 1975م، ص 82، محمد بن ناصر العبودي، في بلاد المسلمين المنسيين بخارى وما وراء النهر، رباطة العالم السلامي، ط1، 1412، 1991م، ص 224.

ما يعرف بدار الملك، وتقابل قلعة «القهندز»[1]، والأخرى داخلها ولها بابان أحدهما يعرف الغورية وهو الباب الشرقي للقلعة وهو الباب الذي سمي فيمل بعد بابا الجامع يشرع الى مسجد الجامع، والباب الغربي الذي يعرف بباب الصحراء وهو باب السهلة، وسمي فيما بعد بباب العلافيين وسكن ولاة خرسان من السامان في هذه القلعة وبها خزائنهم، كما يوجد في القلعة الدواوين الملكية والقصر والملكي وبيت الحريم[2].

ويوجد سور جامع يحيط بالمدن المهمة من مدن بخارى وهو ما يعرف بالسور الكبير[3]، وتبلغ سعة هذا السور 12 فرسخا، ويحيط ببخارى وقراها سورا سعته اثنا عشر فرسخا في مثله، ليس فيه أرض بائرة ولا ضيعة عطلة[4].

وتم بناء السور من قبل أحد ملوك الصغد قبل الفتح الإسلامي لبلاد التركستان مانعا لغارات الترك ودافعا لأذاهم، وقد جدد السور في خلافة المهدي 158-169هـ/ 774-785م بعد أن أصابه الهدم، وقام بعملية إعادة بناءه الوالي العباسي الفضل بن سليمان الطوسي في سنة 166هـ - 782م، وكان على هذا السور بوابات ويقيم عليه برج محكم في كل نصف ميل تقريبا الجند والعتاد والمؤون[5].

2: القصور:

احتلت مدينة بخارى المركز المتميز من حيث الأبنية والقصور الملكية وقصور الأغنياء التي كان يضرب بها المثل، وكانت تبنى من الصخر المنحوت والملون، وشكلت الأواوين والعقود والمقرصنات والتكفيت بالقرميد أو الصخر

(1) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد اليشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة الأوفست، ط2، بريل ليدن، بغداد، 1906م، ص 280،281.
(2) الأصطخري، المصدر السابق، ص 305.
(3) نفسه، ص 313.
(4) المقدسي، المصدر السابق، ص 266، 267. والفرسخ يساوي 3 ميل أو 6 كلومتر. انظر فالتر هانتس، المكاييل والأوزان، ص 94.
(5) النرشخي، المصدر السابق، ص 55،56.

السمة المميزة لهذه القصور، أما دور العامة فكانت تبنى من اللبن أو الطين وكانت تسقف بالخشب.

وكان قسما كبيرا من قصور بخارى في القلعة، أما بقية القصور فكانت في محلة الريكستان حيث بنى الأمير نصر بن أحمد الساماني قصر في غاية الجمال في منطقة الريكستان، وأمر أن يبني على باب قصره هدا دور للعمال من أصحاب الدواوين حيث كان لكل عامل على حده ديوان في داره على باب قصر السلطان، مثل ديوان الوزير، وديوان المستوفي وديوان عميد السلطان وديوان صاحب الشرطة وديوان صاحب المؤيد وديوان الشرف وديوان الملكة الخاص وديوان المحتسب وديوان الأوقاف، وديوان القضاء فبنيت الدواوين وفق هذا الترتيب[1].

ناهيك عن ديوان الضيافة والبساتين وحياض الماء المحيطة بهذه القصور[2].

وكانت هذه القصور الشامخة تلوح من جنباتها البساتين والأشجار[3]، ووصف المقدسي بخارى: «ولا في الأقليم بلد أشد عمارة وأكثر ازدحاما على سكناه من هذا، وبه حمامات طيبة وشوارع واسعة».[4]

ووصفها ابن حوقل قائلا: «وهي مدينة مستواة من الأرض وبناءها خشب مشتبك ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والسكك المفترشة -يقصد بها الحجارة المرصوفة-»[5].

وكانت شوارع مدينة بخارى مرصوفة بالحجارة التي كانت تجلب من تل وركة القريب من بخارى، وتستخدم حجارته للبناء ورصف الشوارع[6].

(1) نفسه، ص 44.
(2) قاسيلي بارتولد، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، 1401هـ - 1981م، ص 205.
(3) الأصطخري، مسالك الممالك، ص 164، 165. الحميري، الروض المعطار، ص 85.
(4) أحسن التقاسيم، ص 280، 281.
(5) صورة الأرض، ص 398.
(6) الأصطخري، مسالك الممالك، ص 174.

كما بنى الأمير منصور بن نوح (350هـ - 961م) قصرا في كارك علويان، ووصف بأنه قصر في غاية الجمال وذلك سنة 356هـ - 966م[1]. ولم تقتصر القصور على العاصمة الإدارية لمدينة بخارى بل وجدت في مدنها وقصباتها ففي مدينة بيكند وجدت الأبنية العالية، وفي مدينة سيشكت وجد حماما وقصرا عظيما فيها في زاوية على ضفاف النهر[2]، وكان في مدينة ورشخي قصر حسن بناه بخار خداة وهو أحد ملوك بخارى[3].

3: المساجد:

المسجد لغة: سجد الرجل بفتحتين: وضع جبهته على الأرض، وسجد البعير خف رأسه عند ركوبه، والسجاد بتشديد السين والجيم وفتحهما: الكثير السجود، والمسجد بكسر الجيم -جمع مساجد -مصلى الجماعة، ومنه المسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في بيت المقدس، والمسجد بفتح الجيم: جبهة الرجل وموضع السجود في بدنه[4].

اصطلاحا: هو المكان المخصص للصلوات الخمس، وهو لفظة إسلامية لم تكن معروفة قبل الإسلام، وهو كل مكان يسجد ويتعبد فيه لقوله ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا»[5]، وهي خاصية انفردت بها الأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم[6].

شكل المسجد النواة الأساسية لأي وجود إسلامي في أية منطقة تواجد فيها المسلمون، ومن بين هذه المناطق بلاد ما وراء النهر، فعندما فتح المسلمون بلاد ما وراء النهر وجدوا فيها مدنا متكاملة، لكنهم أضافوا لها تعديلات بما يتلاءم

(1) النرشخي، تاريخ بخارى، ص 48.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 106.
(3) الأصطخري، مسالك الممالك، ص311، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 282.
(4) عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، 2000م، ص282.
(5) رواه البخاري، (1/ 128).
(6) عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 282.

والوضع الجديد فطورا هذه المدن نحو الأفضل، وأجروا تعديلات كبيرة، فأقاموا المساجد في وسط المدن المفتوحة أو قرب القلعة، كما وسعوا في عرض الشوارع الداخلية في هذه المدن لتتيح لهم وللناس التحرك بسهولة في داخل المدينة.

وكان المسجد في بداية الأمر يشكل المرسة والمكان الذي يلتقي فيه المسلمون الفاتحون وسكان بلاد ما وراء النهر وفيه تقام الصلاة اليومية والجمع والأعياد ويدرسون مختلف فروع العلوم وحفظ القران الكريم، وفيه تعقد رايات الحرب، وفيه يخطب الأمير، وفيه تبلغ تعليمات الدولة وتقرأ مراسيمها[1].

وكانت مدينة بخارى المركز السياسي والديني لبلاد التركستان، فبعد فتح مدينة بخارى للمرة الثالثة قرر القائد قتبة بن مسلم الباهلي(90هـ/ 708م) البقاء في مدينة بخارى[2]، واستلزم الأمر ضرورة وجود مسجد جامع في المدينة، وبعد دخول معظم سكان مدينة بخارى في الإسلام تم تحوير بيت الأصنام الذي كان في القلعة ليكون مسجدا جامعا تقام فيه الصلوات الخمس، ثم بناء المحراب والمنبر وتحديد القبلة والميضأة، وتوجيه المسجد نحو القبلة فضلا عن الحمامات والمرافق، وكان هذا المسجد الأول في مدينة بخارى.

ولما ازداد السكان في مدينة بحارى، ولم يعد هذا المسجد يكفيهم قرروا بناء مسجد جامع اخر وذلك في سنة 154هـ - 770م، وصلوا فيه الجمعة، وقد أعيد بناء الجامع في عهد والي خرسان الفضل بن يحي البرمكي (177-179هـ/ 793-795م)، أيام الخليفة هارون الرشيد وأنفق عيه مالا كثيرا وأمر بإضاءته بالقناديل في شهر رمضان[3].

وكان كل أمير يتولى بلاد التركستان يضيف الى هذا المسجد ويعمر، واقتضت الضرورة توسيع هذا المسجد الجامع أمر الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني

(1) الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1994م، ص 287.
(2) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص 542،543.
(3) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1380هـ - 1960م، ج2، ص 407.

(279-295هـ/ 892-907م) بإنشاء دور كثيرة حول هذا المسجد واضافها للمسجد الجامع فحصل التوسع الكبير في عهده[1].

وبنيت مساجد أخرى في مدينة بخارى منها مسجد بني سعد، ومسجد الشام، ومسجد البالوتي، ومسجد القرشين، ومسجد العارض، ومسجد أحيد، كما بنى الوزير العتبي مسجدا فاخرا في مدينة بخارى، فضلا عن مسجد بني حنطلة ومسجد ماخ[2].

وضمت المدن والقصبات التابعة لمدينة بخارى مساجد جامعة، ومن هذه المدن مدينة بيكند التي حوت مسجدا جامعا وكذلك قرية شرع وفيها مسجد جامع وقرية نور التي كان فيها مسجد جامع، وقرية مغكان، ومدينة طواويس ولها مسجد جامع يقع في المدينة[3].

4: المدارس:

المدرسة لغة: مأخوذة من الفعل الثلاثي درس، ودرس الكتاب يدرسه ويدرسه درسا ودراسته: قرأه، كأدرسه ودرسه[4]، ودرس الكتاب ونحوه مدارسة، ودراسا درسه وفلانا قارأه وذاكره، (درس) الكتاب ونحوه درسه، و(المدرس) الكثير الدرس والتلاوة في الكتاب والمعلم، والمدرس الموضع يدرس فيه، وجمعه مدارس (المدرسة) مكان الدرس والتعليم وجماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين[5].

اصطلاحا:هي مؤسسة علمية أنشأها المجتمع لتربية وتعليم الصغار والكبار تراث الأمة الثقافي وتعاليم الإسلام ونشر التعليم والمعرفة بين أبناء

(1) النرشحي، المصدر السابق، ص ص 47، 75.
(2) نفسه، ص 81، السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، مطبعة الارشاد، بغداد، 1395هـ - 1975م، ج2، ص 395. الأصطخري المصدر السابق، ص 172.
(3) النرشخي، نفس المصدر، ص 27، الأصطخري، مسالك الممالك، ص 310، 311. ابن حوقل، اصورة الأرض، ص 401.
(4) الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط8، بيروت، 1426هـ، 2005م، ج1، ص544.
(5) إبراهيم مصطفى واخرون، مجمع اللغة العربية -المعجم الوسيط -، دار الدعوة، ج 1، ص279.

المدن والقرى[1].

وقد شكلت المدرسة ثاني أعظم المنشآت العمرانية في بلاد ما وراء النهر، وشيدت على شكل مبسط فيه فناء وتحيط به عدد من الغرف المتخصصة للتلاميذ، والتي يجب أن تتوفر فيها التهوية والنوافذ وغرفة للمشرف (الذي ينظم صرف أوقاف المدرسة وفقا لبرنامج الشخص الذي وقف الوقف لهذه المدرسة)، وناظر المدرسة، ومكتبة تسد غرض المدرسة ومستوى التعليم فيها ووجود شخص يتولى الاشراف على هذه المكتبة، مع وجود عدد من العلماء المختصين للتدريس فيها.

أما المدارس في مدينة بخارى فقد كان عدد المدارس في عهد الأمير إسماعيل الساماني يزيد على نظائره في كل مدن اسيا[2]، وكانت هذه المدارس تشكل تمثل حركة فكرية، ولا تقتصر على تدريس العلوم الدينية بل كانت جامعة لعدد من العلوم وهي شبيهة في مضامينها لمصطلح الجامعة في التاريخ الراهن.

ومن مدارس مدينة بخارى:

- مدرسة فارجاك الكبيرة سنة 325هـ/ 936م، وقد خصص لها مكتبة خاصة ليستفيد منها طلبة العلم[3].

-ومدرسة جوبار، ومدرسة الامام أبي حفص البخاري 155هـ217هـ، في مدينة بخارى عام 361هـ/ 971م درس فيها الامام نيسابور محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه[4].

-مدرسة كولارتكين، والتي أسسها الأمير خان جبرائيل بن عمر بن طغرل

(1) أبو العينين، علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية التربوية، مكتبة إبراهيم حلبي، ط1، المدينة المنورة، 1988م، ص 172، 173.
(2) أرمينوس فامبري، المصدر السابق، ص 190.
(3) قاسيلي بارتولد، المرجع السابق، ص 197.
(4) ابن أبي الوفا، الجواهر المضيئة في طبقات الحنيفة، دار المعارف، ط1، 1381هـ، ج2، ص 18.

حان في حدود سنة 348هـ/ 959م، والملقب بكولارتكين، وكان بناء المدرسة من خشب، وتقع قريبة من سوق البقالين[1].

5: الربط:

الربط لغة: جمع كثرة للرباط، وجمع القلة لها الأربطة، وقد يجمع على رباطات قياسا وسماعا، والرباط مصدر الفعل رابط، أي غالب غيره في الربط،[2] وهو مأخوذ من قوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بع عدو الله، وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تفعلوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون»[3].

اصطلاحا: ثكنة عسكرية تتألف من صحن تحيط به عشرات الغرف، لإقامة المرابطين من أجل الجهاد وتتألف أحيانا من طبقات عليا تعلو جوانبه، وينتهي بجامع كبير وصومعة للأذان، وهو أيضا بمثابة مستشفى للمرضى الذين يعالجهم المرابطون والمرابطات، وقد ينزل فيه المسافرون، وعلى هذا للرباط وظيفتان: حراسة الحدود خوفا من غدر الأعداء ومباغتتهم، ووظيفة العلم والتعليم يقيم فيها المرابطون المعلمون احتسابا، وابتغاء لمرضاة الله[4].

وهو أيضا دار لاستنساخ المصاحف، وجمع الحديث، وكتب الفقه، وكان المرابطون يتولون نسخها وتوزيعها على طلبة العلم لوجه الله واحتسابا للتواب عنده، وكان يعلم الرباط تفسير القران، والحديث الشريف وشرحه وكتب الفقه، وشعر المواعظ والرقائق.

وقد شكلت الربط احدى مظاهر الحضارة في بلاد ما وراء النهر، وكانت بلاد

(1) النرشخي، تاريخ بخاري، ص 30.
(2) جواد مصطفى، الربط الصوفية البغدادية وأثرها الثقافية الإسلامية، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 1426ه، 2006م، ص 05.
(3) سورة الأنفال، الأية 60.
(4) الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنكة، الحضارة الإسلامية وأسسها ووسائلها صور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثراتها، ص 202، 203.

ما وراء النهر عبارة عن ثغور لمواجهة الكفار من الترك قال ياقوت الحموي:» وليست من بلد ولا منهل ولا مفازة مطرقة ولا قرية اهلة الا وبها الرباطات ما يفضل عن نزول من طرفه»[1].

وكانت الرباطات تبنى بطرق هندسية مختلفة عن بقية المنشآت العمرانية الأخرى كالبيوت والقصور، فهي أشبه بقطعة صغيرة محصنة تحصينا قويا جدا، لأنها نقاط الإنذار المبكر للجيش الإسلامي في الأماكن التي تنشر فيها هذا الربط، وهي أشبه اليوم بنقاط الرصد والمراقبة المحصنة، وتقع على مرتفعات مشرفة على الطرق الرئيسية في المنطقة، ويجب أن تتوفر فيها الماء والزاد والعلف بكمية تكفي المرابطين فيها، وتحتاج الربط الى أماكن وغرف لتخزين السلاح لأنه الأساس في الربط.

وتحتوي بلاد ما وراء النهر على رباطات كثير، وقد قدر ابن حوقل عددها بأكثر من عشرة الاف رباط[2]، وكانت هذه الربط تبنى عن طريق العمل الطوعي وتقربا الى الله سبحانه وتعالى. كما بنى الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني الربط في الطرقات يسع الرباط منها ألف فارس وأوقف عليها أوقافا جزيلة[3].

كما كانت قسم من الأربطة تبنيها الدولة لتشجيع الناس على المرابطة فيها ودعما منها واسهاما في رفد حرة الرباط والجهاد في سبيل الله، وتنتشر الربط على طرق المواصلات المهمة لحماية القوافل والمسافرين ولتقديم الدعم لمن يحتاج الى المساعدة (ماء، طعام، علف، رعاية صحية) فالطريق من مدينة بخارى الى مدينة نخشب في مغزة ثلاثين فرسخا فيها رباطات[4].

وضمت مدينة فربر التابعة لبخارى عدد من الرباطات الحسنة وكان ملحق

(1) معجم البلدان، ج 5، ص 46.
(2) صورة الأرض، ص 466.
ابن الجوزي، ابي فرج عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن علي ابن الجوزي (ت 597)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف العثمانية، ج6، ص 77.
(4) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 344.

بأحد أربطتها وهو رباط نصر بن أحمد الساماني دار ضيافة لأبناء السبيل[1].

وكذلك وجدت الربط في مدينة نور التابعة لبخارى حيث وجدت فيها أربطة كثيرة[2]، ولا يغيب عن بالنا أربطة بيكند التي قيل أن عددها قد بلغ ألف رباط[3]، ويضيف الحميري عن أربطة بيكند حيث أعطانا رقما أقل وهو سبعمائة رباط[4].

ومن أشهر الأربطة رباط خدسير المستهدر[5]، رباط سرهنك[6]، رباط النوز الذي له موسم يجتمع فيه الناس كل سنة.

وعليه فان مدينة بخارى لم تخلوا من وجود الأربطة التي شكلت بدورها أهم المعالم الحضارية لمدينة بخارى.

6: الأسواق:

كانت الأسواق أساس المدن لكون أن أغلب المدن يغلب عليها النشاط التجاري، ومع الوقت أصبحت مقرا لعمليات التبادل التجاري بين ريفها وبين مراكز المدينة أو بينها وبين المدن الأخرى[7].

ويعد تعدد الأسواق من أهم المظاهر العمرانية للمنطقة فكلما كانت الأسواق منظمة و يظهر فيها التخصص في السلع، كلما دلت على مدى رقي تلك المطنقة عن غيرها، واذا كانت الأسواق مبنية و مسقفة شكلت مظهرا عمرانيا راقيا في تخطيط المدينة أو القصبة أو القرية، وقد شهدت بلاد ما وراء النهر نشاطا متميزا في بناء الأسواق، ولعب طريق الحرير دورا مهما في هذا النهوض العمراني التي شهدته مدن بلاد التركستان، وقد ضمت مدينة بخارى عدد من الأسواق

(1) – الأصطخري، مسالك الممالك، ص314، النرشخي، تاريخ بخارى، ص 36.
(2) –النرشخي، تاريخ بخارى، ص 27.
(3)– المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 282.
(4)– الروض المعطار، ص 123.
(5) – أبو الفداء، المصدر السابق، ص 387.
(6) – النرشخي، المصدر السابق، ص 89.
(7) – محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988م، ص 259.

وصفها الأصطخري و المقدسي بأنها: « نفيسة « كلها تقع في الريض ومن الأسواق المهمة في بخارى سوق درواجة ويقع قربا حد أبواب بخارى المعروف بنفس الاسم على نهر زغار كندة[1].

أما ابن حوقل فيذكرأن جميع أسواق مدينة بخارى موجودة داخل ربضها، وكثرة الدروب، ووجود طرق في وسطها، ولها أوقات معلومات[2].

ومن الأسواق التابعة لمدينة بخارى سوق مدينة رندنة فلها «أسواق كثيرة»، وقرية رودانة التي كان يقوم بها السوق يوما كل أسبوع، ومن أسواقها أيضا سوق قرية شرغ، وسوق طواويس الذي كان لها سوق يقام في كل سنة عشرة أيام[3].

ويبدو أن الأسواق في مدينة بخارى كانت مبنية ومحصنة تحصينا جيدا، لأنها تشكل ثروة اقتصادية، وحمايتها وحماية أمنها من مستلزمات الحياة الاقتصادية المنظمة.

كانت هذه أهم المنشآت التي قدمت لنا صورة عن فن العمارة في مدينة بخارى والتي شكلت جانبا من جوانب العمارة الإسلامية بتنوعها، كما لعبت خصوصية المدينة الطبيعية من مناخ وتوفر مواد البناء دورا بارزا في مثانة هذه العمارة وقوتها، وبقائها صامدة وقوية في وجه الاخطار والتهديدات الخارجية.

(1) – الأصطخري، المسالك والممالك، ص 306،307، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 280،281.
(2) –ابن حوقل، المصدر السابق، ص 298، 404.
(3) –النرشحي، تاريخ بخارى، ص 27، 28، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 281.

خاتمة:

من خلال ما سبق نستنتج ما يلي:

-اهتمت الدولة الإسلامية بتحصين مدينة بخارى وذلك ببناء الأسوار والأبراج حفاظا على تلك البلاد من الاعتداءات الخارجية، وكان هذا الاهتمام واضحا في الرؤية التخطيطية للمدينة من خلال كثرة الأسوار والخنادق.

-بعد فتح مدينة بخارى علي يد القائد قتبة بن مسلم الباهلي تم تحوير بيت الأصنام الذي كان في القلعة ليكون مسجدا جامعا تقام فيه الصلوات الخمس، ونظرا لصغر حجم المسجد تم بناء عدة جوامع أخرى محيطة بالمدينة.

-شكلت مدينة بخارى المركز المتميز من حيث الأبنية والقصور التي كان يضرب بها المثل في هندستها وطرق زخرفتها، ولم تخلوا المدينة من وجود الأربطة التي شكلت بدورها أهم المعالم الحضارية لهذه المدينة، وكانت الرباطات تبنى بطرق هندسية مختلفة عن بقية المنشآت العمرانية الأخرى، لأنها كانت تمثل نقاط الإنذار المبكر للجيش الإسلامي.

-شهدت بلاد ما وراء النهر نشاطا متميزا في بناء الأسواق، وقد ضمت مدينة بخارى عدد من الأسواق المحصنة تحصينا جيدا، والتي شكلت بدورها ثروة اقتصادية هامة.

-أخيرا يمكن القول أن العمارة الإسلامية في بلاد ماوراء النهر وبالخصوص في مدينة بخارى يمكننا اعتبارها حصيلة تلاقح الحضارات تبعا لتعدد الأجناس والأديان التي تتكون منها التركيبة الاجتماعية لبلاد ما وراء النهر.

الملاحق:

الملحق رقم 01: قلعة الأرك.

أنظر: العبودي، المرجع السابق، ص 224.

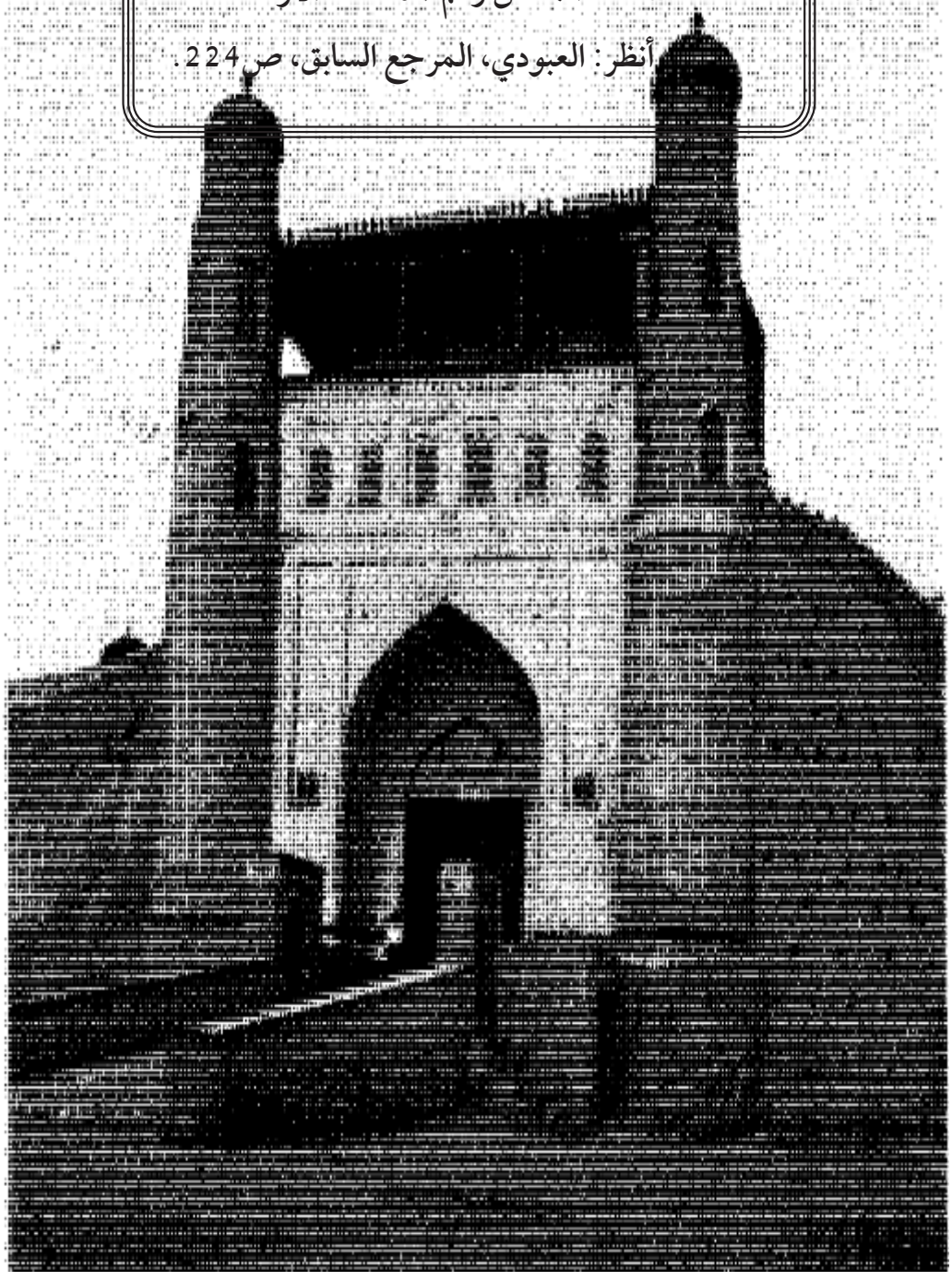

الملحق رقم 02 : ضواحي بخارى خان «رباط الملك .»
انظر: خالد السلطاني، العمارة الإسامية في باد ما وراء النهر تميز المقاربة وتنوع الخطاب، ص 121 .

قائمة المصادر والمراجع:

1: المصادر:

-ابن المنظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 12.

-أبا بكر محمد بن جعفر النرشخي، تاريخ بخارى، ترجمة: أمين بدوي ونصر الله الطرازي، دار المعارف، ط3، القاهرة.

-ابن أبي الوفا، الجواهر المضيئة في طبقات الحنيفة، دار المعارف، ط1، 1381هـ، ج2.

-ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي كرم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1987م، ج1.

-ابن الجوزي، ابي فرج عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن علي ابن الجوزي (ت 597)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف العثمانية، ج6.

-ابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعرف، ط5، القاهرة.

-ابن رستة، أبو علي احمد بن عمر (ت 290ه/ 902م)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1893م.

-أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميجة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403ه-1983، مج4.

-ابي أحمد بن محمد بن يعقوب ابن مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسوي حسين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج 2.

-الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت 340ه/ 951م)، مسالك

الممالك، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت،1938م.

-الذهبي، دول الإسلام، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت، 1994م، ج1.

-السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، مطبعة الارشاد، بغداد، 1395ه-1975م، ج2.

-المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد اليشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة الأوفست، ط2، بريل ليدن، بغداد، 1906م.

-اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1380ه-1960م، ج2.

-شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: مازن بن سالم باوزير، دار المفتي، ج4.

-محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، دار القلم، ط1، بيروت، 1975م.

2: المراجع:

-أحمد محمد عدوان، موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 141هـ= 1990م.

-أرمينوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور ترجمة: محمد محمود الساداني، المؤسسة المصرية.

-عطية القوصي تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة، 1992-1993م.

- عصام الدين عبد الرؤف الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي،

دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1994م.

-قاسيلي بارتولد، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت،1401ه-1981م.

-كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1985م.

-محمد بن ناصر العبودي، في بلاد المسلمين المنسيين بخارى وما وراء النهر، رباطة العالم السلامي، ط1، 1412، 1991م.

-محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد: 128.

-محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988م.

3: المعاجم:

-الحموي، شهاب الدين أبي عبد الأسد ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج3.

- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط1، 2000م،

4: الموسوعات:

-يحي الشامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر الاسلامي، ط1، بيروت، 1993.

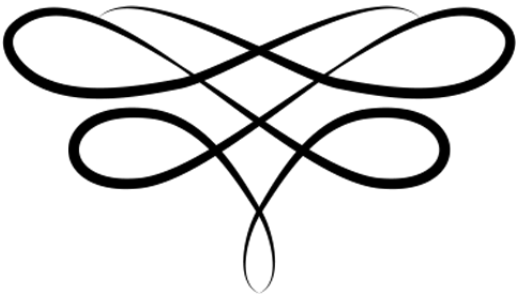

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

صفحات من نشاط أهل الحديث في إقليم خراسان وماوراءالنهرفي القرن 6هـ/ 12م

Pages from the activity of Hadith Scholars in the Khorasan and Transoxiana region in the 6th century AH/12AD

الدكتور عبد القادر سليماني :جامعة أبو القاسم سعد الله–الجزائر2– الجزائر

Kader.zyad@yahoo.com

الملخص:

يتناول هذا المقال جانبا من جوانب الحياة العلمية في إقليمي خراسان و ماوراء النهر، وذلك خلال فترة القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، (6هـ/ 12م)، وهي الفترة التي شهدت نشاطا علميا كبيرا لكل الطوائف العلمية و المذهبية، وعلى وجه الخصوص طائفة أهل الحديث، والذين تميّزوا بمؤسساتهم العلمية و التعليمية، و التي أثروا من خلالها الحياة العلمية في الإقليمين، سواء بمجالس الإملاء و التحديث التي حفلت بها مجالسهم، أو من خلال الكتب و المصنفات التي أنجزوها أو حتى من خلال إنشاء المؤسسات العلمية و الإنفاق عليها، هذا إضافة الى التنافس بينهم و بين بقية الطوائف العلمية و المذهبية الأخرى، و الذي أثمر نتائج مهمة و مفيدة جدا سواء من خلال المناظرات أو الردود العلمية، دون إغفال بعض الجوانب السلبية في صورة التعصب المذهبي الذي كان كثيرا ما يوصل الى نتائج كارثية، وقد أجملنا في هذا المقال مجموعة من المظاهر المتعددة التي حفلت بها المصادر المختلفة، في توضيح بعض جوانب هذا النشاط العلمي وآثاره،وقد كان منهجنا في هذا المقال قائما على تتبع كتب الخطط و البلدان لتجميع أسماء المؤسسات العلمية و التعليمية من مساجد

ومدارس و زوايا، و تحديد نشاطها بالضبط خصوصا ما تعلق منه بعلوم الحديث، كما اعتمدنا كتب التاريخ و التراجم و الطبقات المتنوعة، لمعرفة الرجال الذي كان لهم الأثر و المساهمة في علوم الحديث الشريف في إقليمي خراسان و ما وراء النهر في الفترة المذكورة، وبالموازاة مع ذلك أمكننا تحديد أشكال نشاطهم المختلفة و تقديمها بشكل يبين حجمه و تأثيرها في الحياة العلمية بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: خراسان، ماوراءالنهر، أهل الحديث، مجالس الإملاء، المدارس، علم الحديث.

Abstract: This article deals with an aspect of scientific life in the provinces of Khorasan and Transoxiana, during the period of the sixth century AH and the twelfth century AD (6 AH / 12 AD), a period that witnessed great scientific activity, and this is an era; Especially the sect of hadith scholars who were distinguished by their scientific and educational institutions, through which they enriched scientific life in the two regions, whether through daily lessons, or through the books and works they issued, or even through t founding the Scientific institutions and spending on them,

Our approach in this article was based on tracking the resources to collect the names of scientific and educational institutions, including mosques, schools, and zawiyas, and determining their exact activities, especially those related to the sciences of hadith. We also relied on history books, biographies, and various classes, to find out the men who were They had an impact and contribution to the sciences of the Hadith in the Khorasan and Transoxiana regions in this period, and in parallel with that, we were able to identify the various forms of their activity and present them in a way that shows its impact on scientific life in general..

Keywords: khorasan;Transoxiana;HadithScholars;schools;Hadith Sciences.

مقدمة:

تميّزت الأقاليم الشرقية من المشرق الإسلامي طوال تاريخها الطويل، بأنّها كانت مركزا للحركات السياسية و المذهبية، بدءا بالعصر الأموي و وصولا الى العصور المتأخرة للخلافة العباسية، ففي بعض أقاليمها استقرت الحركات الخارجية التي ناوأت الأمويين طوال تاريخهم و أقضت مضاجعهم حتى سقوط الدولة، وفي خراسان استقرت دعوة بني العباس و عرفت انتشارها و تمددها،حتى أتت على دولة بني أمية وأحالتها أثرا بعد عين، كما كان لأتباع أبي مسلم الخراساني شوكة و سطوة في أقاليم خراسان حتى انقضت دعوته و انتهى أمرها، وفي أقاليم فارس و خراسان و ماوراء النهر أيضا برزت الدول المستقلة بدءا بالطاهريين فالسامانيين فالغزنويين، فضلا عن السلاجقة بإمارتهم المتعددة الى أواخر القرن 6ه/ 12م.

والمثير في الأمر أنّ هذه الحركية التاريخية النشيطة التي قُدّر لهذه الأقاليم أن تعرفها، والتي رفدت الأمة الإسلامية بروافد حيوية جديدة عبر مراحل تاريخها، كانت تقابلها وتوازيها حركية علمية بل وتفوقها أحيانا كمًّا ونوعًا، والتي تعددت مظاهرها ومعطياتها وتعّدت آثارها حدود تلك الأقاليم الى المشرق الإسلامي برمته.

وقد لعبت الطوائف العلمية و المذهبية المختلفة من فقهاء و محدّثين و نحاة و أدباء و مؤرخين، ومنهم الأشاعرة و الماتريدية و أهل الحديث،أدوارا كبيرة في تنشيط الحياة العلمية في الإقليمين ودفعها في إطار التنافس و التعصب أحيانا، الى تأسيس المؤسسات و الإنفاق عليها، وتشجيع العلماء و إكرامهم في إطار سياسة نظامية أحيانا، و مبادرات شعبية في كثير من الأحيان.

وقد برز ضمن هذا السياق دورٌ هامٌ لأهل الحديث –و المقصود بهم هنا المشتغلين بعلوم الحديث المختلفة- الذي عملوا على استمرار رواية الأحاديث

حتى بعد أن تم تدوينها و الاصطلاح على الصحيح منها و الحسن فضلا عن الضعيف و الموضوع، حيث حرصوا على تجميع الأسانيد العالية و تدوينها و إسماعها للعامة و المختصين، و التمكين لعلوم الحديث ضمن المنظومة العلمية المتداولة في المؤسسات العلمية آنذاك، كما كثر التصنيف و التأليف في علوم الحديث المختلفة حفظا للسنة و تمكينا لعلومها.

وكان لرجالات الحديث في خراسان و بلاد ماوراء النهر الأثر البارز في جعل بلادهم محطا للرحلة في طلب الحديث، والسعي في تحصيل أعلى الأسانيد حتى بلغت في ذلك القمة، بل و قاف حواضر المشرق المعروفة كبغداد و دمشق و غيرها، وقد أشار الحافظ الذهبي الى ذلك عندما بعض مدنها بوفرة العلم و الرواية والحديث، ومنها مدينة نيسابور التي قال عنها أنّها دار السنة و العوالي، وأنّه ما يزال يُرحل اليها حتى فاجعة التتار.

وقد جاءت دراستنا هذه في إطار التعريف ببعض ملامح النشاط العلمي لأهل الحديث في الإقليمين، من خلال عدة مظاهر مثل المؤسسات العلمية والتعليمية التي كان هؤلاء يزاولون فيها أعمالهم، وكذا المجالس المختلفة التي كانوا يخصصون للرواية والإملاء، إضافة الى التعريف ببعض الأعلام الذين كان لهم نشاط بارز في هذا المضمار، وقد جعلنا خطة البحث على الشكل التالي:

مقدمة

أولا / التعريف بخراسان وبلاد ماوراء النهرين:

ثانيا/التعريف بأهل الحديث وعلم الحديث:

ثالثا/مظاهر نشاط أهل الحديث في الإقليمين:

رابعا/ نماذج عن شيوخ الحديث:

خاتمة:

أولا/التعريف ببلاد خراسان و ما وراء النهر:

1: خراسان:

اختلف الجغرافيون و البلدانيون في حدود بلاد خراسان،فمنهم من جعلها تشمل كل ما يقع شرق بلاد فارس، ومنهم من جعلها جزء من امبراطورية فارس التاريخية، وهذه جملة من تحديدات بعضهم لها :

فالإصطخري يقول عنها :«وأمّا خراسان فانّها تشتمل على كور وهو اسم الاقليم والّذى يحيط بها من شرقيّها نواحى سجستان وبلد الهند وغربيّها مفازة الغزّيّة ونواحى جرجان وشماليّها ما وراء النهر وشيء من بلد وجنوبيّها مفازة فارس وقومس[1].

أما صاحب حدود العالم من المشرق ال المغرب و هو مجهول فيرى أن حدها من الشرق بلاد الهند؛ ومن الجنوب بعض حدود خراسان وقسم من مفازة كركس كوه؛ ومن الغرب نواحي جرجان وحدود الغور؛ ومن الشمال نهر جيحون،هي بلاد واسعة. ذات تجارة واسعة وخيرات وفيرة. وتقع وسط عمارة العالم، وبحسب رأيه فقد كان ملك خراسان قديما منفصلا عن ملك ما وراء النهر، لكنه الآن ملك واحد»[2].

وبحسب رأينا فإنّ تعريف الجغرافي ياقوت الحموي –وهو من أهل القرنين 6و7هـ/ 12و13م–، لبلاد خراسان هو الأشمل و الأكثر إيضاحا، لأنّ يمثل زبدة الآراء التي سبقت عصره، و التي يكون قد اطّلع عليها، فضلا عن أنّه مناسب جدا للإطار الزماني لهذه الدراسة، حيث يقول عنها : ((بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق كجوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة

(1) الإصطخري: المسالك والممالك، دار صادر،بيروت،2004م، ص253.
(2) مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق الى المغرب،ترجمة السيد يوسف الهادي،الدار الثقافية للنشر، القاهرة،1433هـ، ص114.

وسجستان وكرمان،، وتشتمل على أمّهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعدّ ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا، ونذكر ما يعرف من ذلك في مواضعها، وذلك في سنة 31 في أيام عثمان، رضي الله عنه، بإمارة عبد الله بن عامر ابن كريز))[1].

و أكثر الجغرافيين القدماء يقسمون خراسان الى أربعة أرباع هي : ربع نيسابور، وربع مرو، و ربع بلخ، ربع هرات أو هراة، وكل ربع من هذه الأرباع يشمل عدة مدن وقرى، وقد كانت مرو وبلخ هما عاصمتا خراسان بعيد الفتح الإسلامي لها، ثم اختار الطاهريون() نيسابور عاصمة جديدة لدولتهم[2]، و التي صارت فيما بعد أكبر الأقاليم و أكثر نشاطا و تأثيرا في مختلف المجالات.

2: بلاد ماوراء النهر:

بعكس خراسان فإنّ بلاد ماوراء النهر كانت محدّدة بشكل أكثر دقة و إجماعا بين الجغرافيين، حيث يضبط الإصطخري حدزدها كما يلي ((..وأمّا ما وراء النهر فيحيط به من شرقيّه فامر وراشت وما يتاخم الختّل من ارض الهند على خطّ مستقيم وغربيّه بلاد الغزّيّة والخزلجيّة،حتّى ينتهى الى فاراب وبيسكند وسغد و سمرقندونواحى بخارا الى خوارزم حتّى ينتهى الى بحيرتها،وشماليّه الترك الخزلجيّة من أقصى بلد فرغانة الى الطّراز على خطّ مستقيم،وجنوبيّه نهر جيحون من بدخشان الى بحيرة خوارزم على خطّ مستقيم،و ما وراء النهر من أخصب أقاليم الاسلام وأنزهها وأكثرها خيرا»[3]

(1) ياقوت الحموي : معجم البلدان،ط2،دار صادر،بيروت،1995م، ج2، ص350.
(2) غي لسترينج : بلدان الخلافة الشرقية،ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد،مؤسسة الرسالة، بيروت، د ت، ص424.
(3) الإصطخري: المصدر السابق، ص286و287.

وعند صاحب حدود العالم، تضم حدود ما وراء النهر نواحي مختلفة، بعضها يقع إلى الشرق من ما وراء النهر، والآخر إلى المغرب منها. أما الذي إلى الشرق منها، فتحيط به من الشرق حدود التبت والهند؛ ومن الجنوب حدود خراسان؛ ومن الغرب حدود الصغانيان؛ ومن الشمال حدود أسروشنة من ما وراء النهر»[1].

أما الحموي فيقول عنها :«يراد به-أي الإقليم- ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيّة فهو خراسان وولاية خوارزم، وخوارزم ليست من خراسان إنما هي إقليم برأسه»[2].

و الذي عليه الاتفاق أن بلاد ما وراء نهر جيحون (أموداريا حاليا)، الذي يعتبر الحد الفاصل بين الشعوب الناطقة بالفارسية و تلك الناطقة بالتركية، تشمل ستة أقاليم، ثلاثة منها في حوض نهر جيحون وهي :الصغد و خوارزم و الختل، و الثلاثة الأخرى في حوض نهر سيحون(سرداريا) وهي : فرغانة و الشاش و أشروسنة، وكل منها يشمل مدنا و حواضر صغيرة و كبيرة.

وقد أجمعت المصادر أنّ أجزاءً كثيرة من بلاد خراسان و ما وراء النهر فُتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أنفذ اليها الأحنف بن قيس في سنة 18هـ/ ففتح غالب مدنها، واستمرّت بيد المسلمين الى عهد عثمان بن عفان،حيث حدث بها تمرد أفضى الى انفصال أقاليم نيسابور وبلخ، فأرسل عبد الله بن عامر بن كريز في سنة 31هـ/ الذي أعادها الى حوزة الإسلام و أعاد الاستقرار اليها.

وقد مرّت بلاد خراسان بأطوار عديدة منذ العصر الأموي حيث استكملت الفتوحات فيها، ثم في العصر العباسي حيث صارت منطلقا للفتوحات باتجاه

(1) حدود العالم: المصدر السابق، ص135.
(2) الحموي : المصدر السابق، ج5، ص45.

الصين وبعض أقاليم آسيا الصغرى التي لم يصلها الإسلام[1].

وكذلك الأمر بالنسبة الى بلاد ماوراء النهر التي استقرّ فيها الحكم الإسلامي بشكل أكثر تركيزا على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي في العصر الأموي، ورغم الثورات المتعددة الا أنّ النفوذ الأموي استمرّ الى غاية سقوط دولة بني أمية في حدود سنة 132هـ/ م[2]، حيث آل الأمر الى العباسيين الذين انشغلوا بتأسيس دولتهم وترسيخ أركانها فترة من الزمن، وهو ما شجّع الأمبراطورية الصينية على التحرك في الإقليم ومحاولة السيطرة عليه.

ولكنّ العباسيين ما لبثوا ان انتبهوا الى خطورة الأمر، وحصل الصدام بين الدولتين في معركة طلاس في سنة 134هـ/ 752م[3]، والتي كانت نتيجتها لصالح العباسيين محددا للسياسة الإسلامية الجديدة في إقليم ماوراء النهر والتي انبنت على إدماج الأتراك ضمن بنية الدولة الناشئة خصوصا في عهد المعتصم العباسي (218-227هـ/ 833-842م)، والدعم المتواصل لحركاتهم ضد الصينيين[4].

وقد عرف الإقليمان توزع الدول المستقلة فيهما على طول القرون 3و4و5هـ/ 9و10و11م، كالدولة الطاهرية و الصفارية و السامانية و الغزنوية،ثم دخلا تحت حكم السلاجقة الذين بسطوا نفوذهم في المنطقة الى غاية أواخر القرن 6هـ/ 12م، ثم جاءت الحملات المغولية على القادمة من أقصى الشرق ولتي عصفت بمختلف أقاليم الخلافة الشرقية، وأحالتها أثرا بعد عين.

(1) محمد سعد عزب: الحياة الفكرية في خراسان في العصر السلجوقي(429 -558هـ/ 1038 - 1163م)، رسالة دكتوراة، إشراف سامية مصطفى مسعد و محمد عبد العظيم أبو النصر،جامعة الزقازيق، مصر، 1427هـ/ 2006م،ص -ص7 - 22.

(2) ذهبية عاشور قري: إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي(429 - 558هـ/ 1038 - 1163م)، رسالة دكتوراه، إشراف سامية مصطفى مسعد، جامعة الزقازيق، مصر، 1429هـ/ 2008م، ص -ص14 - 34.

(3) أبو يوسف يعقوب الفسوي: المعرفة و التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1393هـ/ 1974م ، ج1، ص351.

(4) ذهبية قري: المرجع السابق، ص39.

ثانيا / علم الحديث وأهل الحديث :

بعد أن استعرضنا باختصار التعريف بالإقليمين محل الدراسة، رأينا أنه من الضرورة العلمية والمنهجية أن نحدد المفاهيم والمصطلحات التي يدور حولها موضوع دراستنا هذه، ولأن دراستنا هي عن نشاط أهل الحديث، وجب علينا أولا ضبط المصطلحات و التي تشمل علم الحديث أولا ثم المشتغلين به ثانيا وهم أهل الحديث مع تبيان المكانة التي كانت تحتلها علوم الحديث في الفترة التاريخية المدروسة على وجه الخصوص.

1: علم الحديث :

لغة تتكون الجملة من كلمتين ((العلم)) و ((الحديث)) :

فالعلم : هو الإدراك، والفرق بينه وبين المعرفة أن العلم يطلق لإدراك الكليات عن دليل، والمعرفة لإدراك الجزئيات.

والحديث : ضد القديم وُيستعمل في اللغة أيضا حقيقة في الخبر، جاء في القاموس المحيط : الحديث: الجديد والخبر[1].

أما في اصطلاح العلماء فالحديث هو ((ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خِلْقِيٍّ أو خُلُقِيٍّ))[2] .

وعلى هذا التعريف لا يدخل ضمنه الحديثُ الموقوفُ، وهو ما أضيف إلى الصحابي، ولا المقطوعُ أي ما أضيف للتابعي وهو مذهب البعض[3] .

ولكنّ الجمهور ذهبوا إلى أنهما من الحديث وسوّوا بين الحديث والخبر،

(1) الفيروزآبادي مجد الدين محمد : القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 1426هـ/ 2005م، ج1، ص 167 .
(2) نور الدين عتر : منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، ط3، 1401هـ/ 1981م، ص 26 .
(3) الكرماني شمس الدين محمد : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1401هـ/ 1981م، ج1، ص 12 .

وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر ((الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث))[1] . فلا فرق إذن عند الجمهور بين الحديث والخبر .

أما الأولون فقد خصوا الخبر بغير النبي للتمييز بينه وبين الحديث، ولذلك قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها الأخباري، ولمن يشتغل بالسنة النبوية محدّث، ومن العلماء من قال ((بين الحديث والخبر عموم وخصوص مطلق، فالخبر أعمّ من الحديث، حيث يصدق على ما جاء عنه ﷺ وعلى ما جاء عن غيره، بخلاف الحديث فإنه يختص بالنبي، فكل حديث خبر وليس كل خبر حديثا))[2].

وهناك لفظ آخر له علاقة بالموضوع وهو لفظ الأثر، فقد خصّه بعضهم بالموقوف اصطلاحا، ومنهم جماعة خصوا المرفوع بالخبر[3]، لكنّ المعتمد الذي عليه المحدثون أن يسمى كل هذا أثرا لأنه مأخوذ من أثرت الحديث أي رويته[4]،

وعموما فالحاصل أنّ هذه الألفاظ الثلاثة : (الحديث) و (الخبر) و (الأثر)، تُطلق عند المحدثين بمعنى واحد هو ((ما أضيف إلى النبي ﷺ قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة خلقية أو خلقية أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي))[5]

وقد قسّم أهل الإصطلاح علم الحديث أو بالأحرى علوم الحديث الى قسمين :

أ/ علوم الحديث رواية : و تشتمل على نقل أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته

(1) ابن حجر العسقلاني شمس الدين أحمد: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، 1421هـ/ 2000م، ص 41 .
(2) نفسه : ص 41 .
(3) يُنسب هذا الرأي الى جماعة من فقهاء خراسان . السيوطي : الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ج1، ص 29 .
(4) نفسه : ج1، ص 29 .
(5) نور الدين عتر : المرجع السابق، ص 29 .

وصفاته وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها، ونزيد في التعريف أو الصحابي أو التابعي، مراعاة للمذهب المشار إليه سابقا، وعليه فموضوع علوم الحديث رواية هو : ما أضيف إلى النبي ﷺ أو الصحابي أو التابعي من أخبار أو أقوال، فإنه يبحث عن روايتها وضبطها ودراسة أسانيدها، ومعرفة حال كل حديث أنه صحيح أو حسن أو ضعيف، كما أنهم يبحثون في هذا العلم عن معنى الحديث، وما يُستنبط منه من الفوائد[1].

وعليه يدخل في هذا المعنى عدة انواع من التصانيف التي صارت علوما لها خصائصها المميزة، مثل :الأجزاء الحديثية و المستخرجات و المستدركات و المشيخات والمعاجم والفهارس و غيرها .

ب/ علوم الحديث دراية : ويُطلق عليه أيضا (مصطلح الحديث) أو (علوم الحديث) أو (أصول الحديث)[2]، ومن أشمل تعاريفها تعريف الحافظ عز الدين ابن جماعة الشافعي (ت767هـ/ 1366م) حيث يقول : ((علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن))[3] .

ويعرّفها أحد المعاصرين بقوله : ((تشمل العلم بأصول وقواعد يُتوصل بها إلى معرفة الصحيح والحسن والضعيف وأقسام كل منها، وما يتصل بذلك من معرفة معنى الرواية وشروطها وأقسامها، وحال الرواة وشروطهم، والجرح والتعديل، وتاريخ الرواة ومواليدهم ووفياتهم، والناسخ والمنسوخ ومختلف الحديث وغريبه، إلى غير ذلك من المباحث والأنواع التي تذكر في كتب هذا الفن))[4].

وبهذا المعنى يمكننا أن نذكر من هذه العلوم: مصطلح الحديث و الجرح

(1) نور الدين عتر : المرجع السابق، ص 31 .
(2) نفسه : ص 32 .
(3) السيوطي : المصدر السابق، ج1، ص 26 .
(4) محمد أبو شهبة : الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، بيروت، ص 25 و26 .

والتعديل و ناسخ الحديث ومنسوخه و مختلف الحديث و غريب الحديث وغيرها.

وقد يستشكل على البعض دقة تحديد الفرق بين العلمين، فيمكننا تحديد الفرق بينهما بقولنا أن علم الحديث دراية يوصل إلى معرفة المقبول من المردود بشكل عام، أي بوضع قواعد عامة، فأما علم رواية الحديث فإنه يبحث في هذا الحديث المعين الذي تريده فيبين بتطبيق تلك القواعد أنه مقبول أو مردود، ويضبط روايته وشرحه، فهو إذن يبحث بحثا جزئيا تطبيقيا، فالفرق بينهما كالفرق بين النحو وبين الإعراب وكالفرق بين أصول الفقه وبين الفقه[1].

2: أهل الحديث :

تحمل عبارة أهل الحديث معان عدة بحسب زاوية النظر إليها والمقصود من دلالتها، فإذا أردنا تعريف أهل الحديث من الجانب العقدي، فهم الملتزمون بعقيدة السلف فيما يخص صفات الباري عز وجل فهم يثبتونها كما هي دون تشبيه أو تكييف فيمرونها كما وردت في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة[2]، وبذلك فقد حملوا عدة أسماء من قبيل السلفية وأهل الأثر وأهل السنةو الحنابلة على اعتبار أن أكثر من اعتقد ذلك الإعتقاد من الطوائف الفقهية كانوا حنابلة، وبالمقابل منهم وجدت طوائف عقدية أخرى اختلفت عنهم بل وناصبتهم العداء مثل الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من طوائف المتكلمين .

هذا من جهة ومن جهة أخرى تحمل عبارة أهل الحديث معنى آخر يخص علم الحديث الشريف الذي حملوا اسمه لفظا ورايته معنى، وهم الذين اشتغلوا بعلم الحديث النبوي الشريف واستفرغوا طاقاتهم لأجله وأفنوا أعمارهم في طلبه سواء من خلال الرحلة الى شيوخه والسعي في سماع رواياته، ثم بعد ذلك في رواية هذه الاحاديث وتبليغها الى المشتغلين به خصوصا أو الى عامة

(1) نور الدين عتر : المرجع السابق، ص 34 .
(2) علال خالد كبير: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، دار الإمام مالك، البليدة، 1426هـ/ 2005م، ص 7 .

الناس إجمالا، ولكن ورغم الفرق الواضح بين التعريفين، إلا أنهما قد يتداخلان في أحايين كثيرة فيصعب التفرق بينهما .

3: مكانة علم الحديث:

ظلّ الإهتمام بالحديث النبوي الشريف وتدريس علومه المختلفة رواية ودراية شغلا شاغلا للعلماء والحكام على حد سواء، فالحديث الشريف بمعية القرآن الكريم هما عماد العلوم النقلية التي مثّلت العمود الفقري في نظام التعليم في المشرق الإسلامي لقرون طويلة، ولم تتغيّر هذه النظرة الى الحديث الشريف رغم اختلاف أماكن التدريس ووسائله من قرن الى قرن، فمنذ أن كانت حلقات الإملاء والرواية تُعقد في الجوامع والمساجد وبيوت العلماء وحوانيتهم، الى أن أستُحدثت المدارس عموما ومدارس الحديث على وجه التحديد، ظلّ الإهتمام موجودا والعناية متوفرة لطالبي الحديث ومدرّسيه .

ولكن فترة القرن السادس للهجرة، الثاني عشر للميلاد(6هـ/ 12م) تميّزت عما سبقها بخصوصيات جديدة يمكن إجمالها في عدة نقاط :

أولا/ أن هذه الفترة وخصوصا النصف الثاني من ق6هـ/ 12م شهدت إنشاء أول دار مخصصة للحديث[1] وهي دار الحديث النورية بدمشق، والتي أرادها السلطان نور الدين محمود زنكي(ت569هـ/ 1174م) مستقرا للمشتغلين بالحديث الشريف وعلومه، كما أراد من خلالها تكريم الحافظ ابن عساكر الدمشقي (ت571هـ/ 1176م) والإستفادة من علمه، وتاريخ انشاء هذه الدار غير معروف بالضبط إلا أن أقدم سماع بها يعود الى سنة 566هـ/ 1177م[2]، مما يعني أنه أُنشأت قبل ذلك .

(1) – هناك فرضية أخرى يرى أصحابها أن إقليم خراسان قد سبق بلد الشام في إنشاء مدارس خاصة بعلم الحديث، ولأصحاب هذا الرأي أدلتهم التاريخية، وسيأتي في قادم الصفحات ما يشير الى ذلك.

(2) – محمد مطيع الحافظ : دور الحديث الشريف بدمشق، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1431هـ/ 2010م، ص 10 .

وإنشاء دار للحديث بكل ما يتصل بذلك من أوقاف وموظفين و شيوخ ومعيدين ومصاريف –بلا شك- يعبّر عن الإهتمام الكبير بهذا الفرع الكبير من فروع العلوم الشرعية، كما يعبّر عن الإدراك العميق لتأثيره ومكانته، وقد انتشرت بعد ذلك عادة بناء دور الحديث في مختلف المدن الإسلامية وصارت تقليدا حرص عليه السلاطين والأمراء وحتى العلماء،

والأمر الآخر هو كثرة أعداد المحدّثين في هذه الفترة في مختلف أقاليم المشرق الإسلامي بما فيهما الإقليمان محل الدراسة-، وهو الأمر الذي يتوضّح بمجرد إلقاء نظرة فاحصة متأنية لبعض كتب التراجم التي تناولت فترة القرن 6هـ/ 12م، وهو في رأينا مؤشر هام نستطيع من خلاله إدراك أهمية علم الحديث وتأثيره في الفترة المذكورة، وسنضرب على ذلك أمثلة للتدليل حسب الأقاليم :

في العراق :

نجد في بغداد عدة محدثين منهم :

ابن الرطبي (ت551هـ/ 1156م) وابن الزاغوني (ت552هـ/ 1157م) وأبو الوقت بن السجزي (ت553هـ/ 1158م) وابن البطي (ت564هـ/ 1168م) ومسندة العراق شهدة بنت الإبري (ت574هـ/ 1178م) وأبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب الحراني ثم البغدادي الحنبلي (ت596هـ/ 1199م) وابن الجوزي (ت597هـ/ 1200م) وأبي طاهر المبارك بن المعطوش البغدادي (ت599هـ/ 1202م)[1] .

وفي الأقاليم الشرقية :

نجد في أصبهان : أبا القاسم اسماعيل بن علي الحمامي (ت551هـ/ 1156م)،

(1) – الذهبي شمس الدين محد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت،1413هـ/ 1993م، ج38، ص 64 و65 و99 و 100 و 113 و 114، و ج39، ص 206 و 207 و 217 و 218، وج40، ص 145 و 146، وج41، ص 155 و 156 و165 و 166 و ج42، ص152 و 153 و 254 و 255 و 287 و 288 و 289 و 417 و 418 .

و الحافظ أبا الخير عبد الرحيم بن محمد الأصبهاني (ت568هـ/ 1172م) والحافظ أبو موسى المديني الاصبهاني(ت581هـ/ 1185م) و أم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر الاصبهانية (ت607هـ/ 1210م)[1] .

و في همذان : أبو زرعة المقدسي ثم الهمذاني (ت566هـ/ 1170م) و الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار (ت569هـ/ 1173م) و الحافظ ابو بكر الحازمي الهمذاني (ت584هـ/ 1188م) و مسند همذان أبو الكرم علي بن عبد الكريم الهمذاني العطار (ت بين 581هـ/ م و590هـ/ م-1185م و1193م) و شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني (ت600هـ/ 1203م)[2].

و في نيسابور: عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي (ت551هـ/ 1156م)، و أبو حفص عمر بن أحمد الصفار النيسابوري(ت553هـ/ 1158م)، و أبو المعالي عبد المنعم بن عبد الله الفراوي النيسابوري (ت587هـ/ 1191م)، و أبو سعد عبد الله بن عمر الصفار النيسابوري (ت600هـ/ 1203م)، و أبو الفتح منصور بن عبد المنعم الفراوي ثم النيسابوري (ت608هـ/ 1211م)[3] .

و في مرو :، الحافظ أبو سعد السمعاني (ت562هـ/ 1166م)، و أبو الفتح مسعود بن محمد المسعودي المروزي (ت568هـ/ 1272م)، و أبو عبد الرحمن محمد بن محمد الكشميهني المروزي الشافعي(ت578هـ/ 1182م)[4].

و في هراة : أبو المحاسن مسعود بن محمد الغانمي الهروي (ت553هـ/ 1158م)،

(1) الذهبي : تاريخ الإسلام، ج38، ص 47 و 48 و 122 و 123 و 308 و ج39، ص 213 و 214 و 319 و 320 و ج41، ص 124 و 125 و ج42، ص 181 و ج43، ص 125 و 126 و 250 و 251 .
(2) نفسه : ج39، ص 246 و 247 و 334 و 335 و ج41، ص 198 و 199 و 401 و 402 و ج42، ص 436 و 437 و ج43، ص 56 و 57 .
(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين، ط3، دار الرسالة، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ج20، ص 16 و 17 و ص 337 و 338، وج21، ص 179 و 180 و ص 403 و 404، و ص 494 و 495 .
(4) نفسه : ج20، ص -ص 465 -463 و ص 513، و ج21، ص 81 و 82 .

و أبو محمد عبد الجليل بن ابي سعد الهروي (ت562هـ/ 1166م) وأبو الفتح نصر بن سيار الهروي الحنفي (ت572هـ/ 1176م)[1]، وغيرهم.

ثالثا/ مظاهر نشاط أهل الحديث في خراسان و ما وراء النهر:

1/ أهم المؤسسات العلمية لأهل الحديث:

تعدّدت المؤسسات العلمية و التعليمية الخاصة بأهل الحديث في إقليمي خراسان و ما وراء النهر في القرن 6هـ/ 12م، وقد كانت في مجملها مشتركة مع أصحاب الطوائف العلمية الأخرى كالفقهاء و النحاة و أراب العلوم الأخرى، بيد أنّ هذا القرن شهد إنشاء أول مدرسة خاصة بالحديث الشريف، وقد أنشئت في دمشق كما ذكرنا سابقا، وإن كان هنا نقاش في الأمر، إذ يرى البعض أسبقية إقليم خراسان في إنشاء مدارس خاصة بالحديث، وسنتناول ذلك في حينه.

أ/ الجوامع و المساجد:

اشتهر اقليم خراسان بكثرة الجوامع والمساجد والتي كان أغلبها حافلا بحلقات الإملاء والتسميع بل ارتبط كثير منها بعلم الحديث الشريف دون سواه من العلوم الاخرى ومنها :

جامع نيسابور الذي عرف مجالس املاء لكبار العلماء لعل اشهرهم مسند خراسان وجيه بن طاهر الشحامي النيسابوريي الشافعي (ت541هـ/ 1149م) الذي كان يملي به كل جمعة[2]، وممن حدّث عنه الحافظ ابن عساكر الدمشقي.[3]

وجامع المنيعي ويسمى أيضا جامع البلد وجامع نيسابور، بناه ابو علي حسان بن سعيد بن حسان بن منيع (ت462هـ/ 1069م) وكان من كبراء نيسابور

(1) الذهبي : السير، ج20، ص 359 و 360 و ص 445 و 446 و ص 451 .
(2) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج20، ص 110.
(3) ابن عساكر : معجم الشيوخ، تحقيق وفاء تقي الدين، دار البشائر، دمشق، 1421هـ/ 2000م، ج2، ص 1203.

وساداتها[1]، وقد ظلّ هذا الجامع طوال تاريخه ملتقى للآلاف من طلبة العلم، خصوصا من أهل الحديث، ومن أشهر من درّس به إمام الحرمين أبي المعالي ابن الجويني (ت 478هـ/ 1085م)[2] .

أما مدينة مرو الشاهجان وهي ثانية حواضر خراسان الكبرى فمن جوامعها:

ا لجامع العتيق الذي يعود بناءه اليى العصر العباسي الاول واشتهر بأنه كان ملتقى أصحاب الحديث[3]، ومنهم الحافظ ابو المظفر السمعاني النيسابوري الحنفي ثم الشافعي (ت489هـ/ 1095م)، والذي أملى به اكثر من مائة وأربعين مجلسا[4] .

وجامع الأحناف الذي أملى به الحافظ الحسن بن مسعود ابن الوزير الدمشقي الحنفي (ت543هـ/ 1148م)[5]

وجامع الشافعية الذي بناه نظام الملك مسعود بن علي وزير خوارزمشاه وقد وُصف بانه كان شديد التعصب لمذهب الشافعي حتى انه بنى هذا الجامع مواجها لجامع الاحناف مما ادى الى حدوث فتنة في البلد وقد قضى شهيدا على يد الإسماعيلية سنة 596هـ/ 1199م[6] .

يضاف الى ذلك جوامع اخرى مثل جامع بني السمعاني وهو منسوب

(1) السمعاني : الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي، مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1382هـ/ 1962م، مج12، ص 469.
(2) السبكي تاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى،تحقيق محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو،ط2، هجر للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة،1413هـ، ج5، ص 181.
(3) ابن حوقل : صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938م، ج 2، ص 434 و435. مع ملاحظة أن ابن حوقل توفي سنة 367هـ/ 978م تقريبا، الا أن كتابه يحوي ملاحظات وإضافات من كاتب متأخر الى حدود القرن 6هـ/ 12م، ولذلك اعتمدنا عليه .
(4) الذهبي : تاريخ الإسلام، ج35، ص 260.
(5) ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن: تاريخ دمشق،تحقيق العمروي،دار الفكر، 1415هـ/ 1995م، ج 13، ص393.
(6) ابن الأثير : الكامل، ج 10، ص172.

الى أسرة بني السمعاني التي اشتهرت بالعلم والحديث[1]، وجامع أسرة بني الصاعدي الحنفية[2] .

وفي مدينة هراة كان مسجدها الجامع عامرا بالفقهاء والمشتغلين وقد كان هذا الجامع مركزا لحلقات الدروس واملاء الحديث والمناظرات بين الطوائف المختلفة[3]، ومن أشهر من حدّث به محمد بن اسماعيل بن الفضيل الأنصاري الهروي الشافعي (ت534هـ/ 1139م) وقد أجاز للسمعاني[4] .

وفي مدينة بلخ كان هناك عدة جوامع ومنها :

الجامع الاقدم وكان يقع في وسط المدينة والأسواق دائرة به[5]، ويعود بناؤه الى عصر النفوذ العباسي في المدينة، وممّن حدّث به أبو بكر محمد ببن محمد الخلمي البلخي الحنفي (ت547هـ/ 1172م) وكان يعرف بدهقان خلم[6]، وقد ذكر االسمعاني أنه حضر مجلسه بالجامع المذكور[7] .

كما كانت هناك جوامع اخرى بالنواحي والقرى القريبة من بلخ مثل

(1) خرج منها أبو المظفر السمعاني وابنه أبو سعد وحفيده أبو المظفر عبد الكريم وكلهم من الحفاظ.
(2) نسبة الى قاضي القضاة صاعد بن محمد بن أحمد الإستوائي الحنفي شيخ نيسابور وفقيهها، توفي سنة 432هـ/ 1040م . القرشي عبد القادر بن محمد: الجواهر المضية في طبقات الحنفية،تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، دار هجر، القاهرة، 1413هـ/ 1993م، ج 1،ص261.
(3) ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة،تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين،مكتبة العبيكان، الرياض،1425هـ/ 2005م، ج 1، ص123 وما بعدها .
(4) الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 36، ص356.
(5) الإدريسي محمد بن محمد : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ، ج1، ص 483 .
(6) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم،تحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/ 1992م، ج 18، ص87 . والقرشي : المصدر السابق، ج 2، ص130.
(7) أبو سعد السمعاني عبد الكريم بن محمد: الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيردآباد، الهند، ج 5، ص165.

المسجد الجامع بالصغانيان والمسجد الجامع بأشفورقان وغيرها[1] .

أما المساجد في اقليم خراسان فهي أكثر من أن تحصى، ويكفي للتدليل على ذلك أن مدينة نيسابور بمجمل قراها ورساتيقها كانت تشتمل على قرابة المائة وعشرين مسجدا[2]، فمابالك بغيرها من مدن خراسان الاخرى، وسنذكرفيما يلي امثلة عن تلك المساجد خصوصا ما اختص منها بعلم الحديث ومنها :

مسجد المطرز وهو منسوب الى محمد بن يحي بن سهل النيسابوري أبو بكر المطرز (ت بعد سنة 300هـ/ 912م)، وكان يقع بخطة المربعة التي اختصت بأهل الحديث[3]، وهو مسجد كبير كان يسع الفي مصلي[4]، ولم تنقطع مجالس العلم به خصوصا الحديث منذ انشاءه ومن اشهر محدثيه الحافظ ابو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي ثم النيسابوريي الشافعي (ت530هـ/ 1135م) الملقب بفقيه الحرم من تلاميذ الجويني[5]، وقد كان له مجلس بالمسجد المذكور يوم الأحد وقد تفرد برواية صحيح مسلم[6]ويذكر بأنه أملى ألف مجلس وما ترك الإملاء الى أن مات[7] .

ومسجد عقيل بنيسابور أيضا وينسب محمد بن عقيل بن خويلد بن معاوية من تابعي التابعين بنيسابور في القرن الرابع هجري / العاشر ميلادي[8]،

(1) إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي : الحياة العلمية في بلخ (205هـ - 617هـ/ 820م - 1220م) رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف مريزن بن سعيد بن مريزن عسيري جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، 1434هـ/ 2013م، ص 195و196.
(2) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/ 1991م، ص 300.
(3) الحاكم النيسابوري : تلخيص تاريخ نيسابور، ترجمة بهمن كريمي، كتابخانة ابن سينا، طهران، ص59.
(4) ابن فندق البيهقي : تاريخ بيهق، دار اقرأ، دمشق، 1425هـ، ص41.
(5) ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1992م، ج 1، ص237.
(6) السمعاني : الأنساب، مقدمة التحقيق، ص18.
(7) ابن الجوزي : المصدر السابق، ج 13، ص319.
(8) الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد: تلخيص تاريخ نيسابور، تحقيق بهمن كريمي، دار ابن سينا، طهران، 1339هـ، ص33.

وتكمن أهمية هذا المسجد في أنه كان مشهورا بأصحاب الحديث منسوبا اليهم، وكان موقعه في محلة سكة حرب بنيسابور[1]، وقد حدّث به حافظ نيسابور ومؤرخها المشهور أبو الحسن عبد الغافر الفارسي الشافعي صاحب كتاب «السياق لتاريخ نيسابور»، الذي توليى خطابة المسجد وأملى به حتى وفاته سنة 529هـ/ 1134 م[2].

وفي مدينة بلخ اشتهر مسجد راعوم، ورغم أن المصادر لا تسعفنا بالكثير من المعلومات عن تاريخ بناءه واسم بانيه، الا أن كثرة وروده في كتب التراجم والطبقات تدل على أهميته، فممن تولى الإمامة والتحديث به الفقيه أبو جعفر محمد بن الحسن البلخي الشافعي (ت 504هـ/ 1110م)[3]، والمحدّث أبو شجاع عمر بن محمد البسطامي ثم البلخي الشافعي (ت562هـ/ 1166)[4].

اضافة الى عشرات المساجد التي كانت متوزعة على قرى ومدن الإقليم كالمسجد الجامع بأبيورد ومساجد طابران ومساجد نوقان وغيرها[5].

ب/ المدارس:

وإذا انتقلنا الى الحديث عن المدارس في اقليم خراسان فإنّه يجدر بنا أن نشير الى نقطة مهمة جدا وهي أن مدينة نيسابور مثلا قد عرفت المدارس المذهبية

(1) نفسه.
(2) ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1900م، ج 3، ص225.
(3) ابن كثير أبو الفدا إسماعيل بن عمر: طبقات الشافعيين،تحقيق أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ/ 1993م، ص532.
(4) الصريفيني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1414هـ، ص407.
(5) محمد الفاجالو : الحياة العلمية في نيسابور (290هـ - 548هـ/ 901م - 1153م)، رسالة دكتوراه، إشراف مريزن سعيد مريزن عسيري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1421هـ/ 2000م، ص227.

قبل أن تظهر فكرة المدارس النظامية على يد الوزير نظام الملك الطوسي[1]، بل إن بعضها قد بني قبل أن يولد نظام الملك أصلا، مثل مدرسة الإمام أبي بكر بن فورك الشافعي (ت406هـ/ 1015م)، فقد بناها له الأمير ناصر الدين أبو الحسن محمد بن سيمجور (ت378هـ/ 988م)[2] .

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نحصي قرابة العشرين مدرسة[3] قبل بناء المدرسة النظامية بنيسابور والذي تم بعد سنة 456هـ/ 1063م تقريبا،والتي بُنيت لأجل الإمام ابن الجويني الشافعي (ت478هـ/ 1085م)[4] .

ومن هذه المدارس :

مدرسة حسان القرشي نسبة الى أبي الوليد حسان بن محمد القرشي النيسابوري الشافعي (ت349هـ/ 960م) وقد كان إمام اهل الحديث في عصره[5] ملازما مدرسته[6] .

و مدرسة أخرى تسمي باسم ابن حمشاد نسبة الى أبي منصور محمد بن عبد الله بن حمشاد الشافعي (ت388هـ/ 998م)[7] .

وعموما فقد احصينا في مدينة نيسابور الى نهاية القرن 6هـ/ 12م قرابة ست

(1) هذا الرأي شائع وله أنصار من القدماء والمحدثين ومنهم المقريزي في كتابه الخطط، كما أن للباحث ناجي معروف دراسة ماتعة بعنوان: مدارس قبل النظامية وهي منشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي في العدد 22 لسنة 1392هـ/ 1973م.
(2) السبكي : المصدر السابق، ج 4، ص128. و ابن خلكان : المصدر السابق، ج 4، ص272.
(3) سنذكر المصادر عند إعطاء الأمثلة مفصلة .
(4) غير معروف تاريخ إنشاءها تدقيقا ولكننا قدرناه اعتمادا على تاريخ استوزار نظام الملك سنة 456هـ/ 1063م . أنظر الذهبي : تاريخ الإسلام، ج 30، ص284.
(5) الحاكم النيسابوري، ص87. وابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، تحقيق عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت،1407هـ، ج 1، ص126.
(6) السمعاني : الأنساب، ج 10،ص95.
(7) السبكي : المصدر السابق، ج 3، ص180.

وعشرين مدرسة مذهبية[1] منها ست عشرة مدرسة شافعية وستا حنفية و واحدة مالكية وثلاث غير معروفة المذهب .

إضافة الى ذلك فقد وجد في نيسابور ايضا ثلاث مدارس للحديث الشريف وهي:

مدرسة الصبغي أو دار السنة وقد أسسها الإمام أبو بكر احمد بن اسحاق الصبغي الشافعي (ت342هـ/ 953م) عالم نيسابور ومحدثها في عصره[2]، ومن أشهر تلاميذه الحاكم النيسابوري الذي تولى أمور مدرسته وأوقافه من بعده[3] .

ومدرسة البستي نسبة االى الإمام أبي حاتم ابن حبان البستي (ت 354هـ/ 965م)[4].

ومدرسة البسطامي التتي أنشأها أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الرئيس البسطامي، وقد ترجم له الحاكم النيسابوري (ت405هـ/ 1014م) فذكر انه بنى مدرسة لأهل الحديث[5] ولم يذكر تاريخ بناءها ولا تاريخ وفاته، ولكننا نقدر تاريخ بنائها خلال النصف الثاني من القرن 4هـ/ 10م .

وفي مدينة مرو فقد كان هناك قرابة العشر مدارس منها :

المدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك السلجوقي حوالي سنة 468هـ/ 1075م والتي نرجح أنه بناها لأبي المظفر السمعاني بعد تحوله من المذهب الحنفي الى المذهب الشافعي، وذلك بناء على أن تاريخ انشاءها هو نفسه تاريخ تحول الرجل الى المذهب الشافعي، إضافة الى ما عرف عن نظام الملك من استماتة في الدفاع عن مذهب الشافعي ونصرة شيوخه، ويضاف الى

(1) المصادر التي اعتمدنا عليها سيرد ذكرها عند التفصيل في أمثلة المدارس .
(2) السبكي : طبقات الشافعية ، ج4، ص159.
(3) نفسه : ج 4، ص159. والصريفيني: المصدر السابق، ص16.
(4) السمعاني : الأنساب، ج 2، ص208. وياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 1، ص418.
(5) الحاكم النيسابوري : المصدر السابق، ص64.

ذلك الإشارات التي نجدها في المصادر التاريخية والتي تربط بين الأمرين دون تأكيد لذلك[1] .

و المدرسة العميدية التي بناها الأمير محمد بن منصور النسوي المعروف بعميد خراسان (ت494هـ/ 1100م) للإمام محمد بن منصور ابوبكر التميمي السمعاني (509هـ/ 1115م)[2]، وقد بقيت هذه المدرسة في يد بني السمعاني حتى تولاها الحافظ أبو سعد السمعاني الشافعي (ت562هـ/ 1166م)[3].

و منها المدرسة الحنفية وقد بناها الوزير محمد بن منصور ابو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك، وقد عرف عنه التعصب لأصحاب أبي حنيفة، وهو الذي بنى القبة على قبر أبي حنيفة ببغداد[4]، كما وقف على مدرسته المذكورة كتبا نفيسة[5] .

و في مدن خراسان الاخرى عرفت بعض المدارس المهمة :

ففي بلخ كانت المدرسة النظامية الشافعية[6] والمدرسة الخليلية الحنفية[7]،وفي مرو الروذ المدرسة الشافعية الكبيرة التي بناها الفقيه أحمد بن عبد الرازق بن حسان المنيعي المروزي الشافعي (ت بعد 510هـ/ 1116م)[8]. والمدرسة النظامية في مدينة هرات والتي درّس فيها شيخ الشافعية في عصره أبو

(1) ومنها : الذهبي : السير، ج 19، ص116. و الصريفيني : المصدر السابق، ص483. و ابن كثير : طبقات الشافعيين، ص489. و ابن الملقن : العقد المذهّب في طبقات حملة المذهب، تحقيق أيمن نصر الأزهري و سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ص106. وغيرها .
(2) ابن الجوزي : المصدر السابق، ج 17، ص72 و73.
(3) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، 1395هـ/ 1975م، ج1 ص79و ج 2، ص129.
(4) ابن الجوزي : المصدر السابق، ج 17، ص72.
(5) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/ 1993م، ج 7، ص2894.
(6) السبكي : طبقات الشافعية، ج 5، ص63.
(7) إيمان بنت سعود القرشي: المرجع السابق، ص219.
(8) السبكي : طبقات الشافعية، ج 6، ص66.

بكر الشاشي الشافعي (ت485هـ/ 1092م)[1] ودرّس بها أيضا أبو سعيد محي الدين النيسابوري الشافعي (ت548هـ/ 1153م)[2].

2/ مجالس الحديث:

حفلت مدنإقليم خراسان بالمجالس الحديثية الكثيرة ومنها :

مدينة مرو فمن مجالسها :

أولا: مجلس الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن الحسين الزاغولي المروزي (ت559هـ/ 1163م)، حدّث بمرو وسمع منه السمعاني وروى عنه[3] .

و ثانيا: مجلس الحافظ الكبير محدّث خراسان أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي الشافعي (ت562هـ/ 1166م)، وقد كان له مجلسان أحدهما بجامع مرو وثانيهما بالمدسة العميدية الشافعية بمرو أيضا[4] .

و ثالثا: مجلس الإمام أبو عبد الرحمن محمد بن محمد الكشميهني المروزي الشافعي (ت578هـ/ 1182م)، الذي حدّث بصحيح مسلم ورُحل إليه لأجله[5] .

و رابعا: الشيخ أبو الفتح فخر الدين إسماعيل بن محمد الفاشاني (ت599هـ/ 1202م أو 600هـ/ 1203م)، وقد حدّث بجامع مرو حيث كان خطيبا له[6] .

(1) نفسه : ج 4، ص190. والذهبي :تاريخ الإسلام، ج 5، ص365.
(2) ابن خلكان : المصدر السابق، ج 4، ص223.
(3) ابن كثير : طبقات الشافعيين، ج1، ص 648 .
(4) السبكي : المصدر السابق، ج7، ص 181 و 182 . والصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،1420هـ/ 2000م، ج19، ص 61 .
(5) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج21، ص 81 و 82 .
(6) ابن الفوطي كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد : مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي، طهران، ج2، ص 564 و 565 . والذهبي : تاريخ الإسلام، ج42، ص 383 .

وفي **مدينة نيسابور** نجد :

أولا: مجلس المحدّث أبي حفص عمر بن أحمد بن الصفار النيسابوري (ت553هـ/ 1158م)، ومن مروياته التي اشتهر بها مسند الشافعي[1] .

و ثانيا: مجلس المحدّث أبي علي الحسين بن علي الأنصاري البطليوسي الأندلسي (ت568هـ/ 1172م)، الذي طاف المشرق وحدّث بمدنه ومنها مدينة نيسابور، التي حدّث بها بصحيح البخاري وسنن أبي داود[2] .

و ثالثا: مجلس المسند أبي بكر محمد بن علي الطوسي الشافعي الملقب بناصح المسلمين (ت570هـ/ 1174م)، وكان أسند من بقي في نيسابور[3] .

و رابعا: مجلس المسند أبي المعالي عبد المنعم بن عبد الله الفراوي الصاعدي النيسابوري الشافعي (ت587هـ/ 1191م)، انتهى اليه علو الإسناد وهو من بيت الرواية[4] .

و خامسا: مجلس الشيخ الحسن بن أبي المحاسن القشيري النيسابوري (ت600هـ/ 1203م)، ومن مروياته صحيح مسلم[5] .

ومن مجالس **مدينة بلخ** :

أولا: مجلس المحدّث أبي الفتح محمد بن عمر الدهاسي المطيعي البلخي الحنفي (ت552هـ/ 1157م)، وكان يعقد محالس إملاء الحديث بمسجد منسوب اليه ببلخ، وقد سمع منه الحافظ السمعاني وذكره في معجم التحبير[6] .

(1) الذهبي : تاريخ الإسلام، ج38، ص 128 .
(2) ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد : بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق سهيل زكار،دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت،ب ت، ج5، ص 2505 .
(3) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج21، ص 65 .
(4) الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد: العبر في خبر من غبر،تحقيق أبو هاجر محمد السعيد،دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/ 1985م، ج3، ص 94 . و سير أعلام النبلاء، ج21، ص 179 و 180 .
(5) الذهبي : تاريخ الإسلام، ج42، ص 432 .
(6) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير، ج2، ص 169 .

و ثانيا: مجلس المسند أبي شجاع عمر بن محمد البسطامي ثم البلخي (ت562هـ/ 1166م)، كان إمام جامع راعوم ببلخ، وفيه كان يعقد مجالس الإملاء، وقد حدّث أيضا بهراة وبخارى وسمرقند وغيرها من مدن تلك الأقاليم[1].

و ثالثا: مجلس الحافظ أبي بكر محمد بن علي ابن ياسر الجياني الأندلسي (ت563هـ/ 1167م)، وهو محدّث رحال مشهور، دخل خراسان واستوطن بلخ مدة وحدّث بها، ثم رحل الى الشام ومات في حلب[2].

وفي **مدينة هراة** نجد:

أولا: مجلس المسند أبي الحسن علي بن حمزة العلوي الموسوي (ت 559هـ/ 1163م)[3].

و ثانيا: مجلس المحدّث أبي محمد عبد الجليل بن أبي سعد الهروي (ت562هـ/ 1166م)، وممّن سمع منه الحافظ عبد القادر الرهاوي[4].

و ثالثا: مجلس المحدّث الفقيه شرف الدين أبي الفتح نصر بن سيار بن صاعد الحنفي الهروي القاضي (ت572هـ/ 1186م)، ومن جملة ما كان يرويه جامع الترمذي وهو آخر من حدّث به عاليا[5].

و رابعا: مجلس المحدّث مجد الدين أبي الفضائل عبد الوهاب بن عبد الله البغوي (ت594هـ/ 1197م)[6]

(1) الذهبي : سير اعلام النبلاء، ج20، ص 453 452 .
(2) نفسه :ج20، ص 509 .
(3) ابن العماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/ 1986م،ج6، ص 312 .
(4) الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج3، ص 37 .
(5) ابن نقطة محمد بن عبد الغني البغدادي: إكمال الإكمال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1408هـ/ 1987م، ج3، ص 232 .
(6) ابن الفوطي : المصدر السابق، ج4، ص 462 .

رابعا/ نماذج عن شيوخ الحديث في الإقليمين:

1 - في خراسان:

كانت خراسان طوال تاريخها دار رحلة في طلب الحديث و الأسانيد، وذلك لكثرة شيوخها و علو أسانيدهم، فقد كانت كل مدينة من مدن الإقليم سواء مرو او هراة او بلخ او نيسابور حافلة بمجالس المحدّثين و الحفاظ، ومن أشهرهم :

أبو سعد السمعاني : وهوينتمي الى أسرة السمعاني التي تخصص أفرادها في علم الحديث رواية و دراية، بدءا بالجد أبي المظفر السمعاني (ت489هـ/ 1095م)، ثم ابنه أبو سعد المذكور، وقد اشتهر الرجل بكثرة مروياته، حيث كان له مجلسان حافلان أحدهما بجامع مرو، و الثاني بالمدرسة العميدية في المدينة نفسها[1].

وقد اشتهر الرجل بكثرة تصانيفه الحديثية في الرواية و الدراية، والتي فاق عددها التسعين مصنفا (90)، مما يدل على تبحر الرجل في علوم الحديث المختلفة.

ومن تلك الكتب على سبيل المثال : «الأمالي الخمسمائة» و «الأمالي» و«المساواة والمصافحة» و «الأربعون من جامع الترمذي» و «التبصرة والتذكرة» و «المناسك و «صلاة الضحى» و «تحفة المسافر» وغيرها[2] .

ومنها أيضا معاجم ومشيخات له أو تخريجا لغيره إضافة الى ذيول ومنتخبات من كتب التراجم والرجال ومنها : «معجم الشيوخ»و «انتخاب من طبقات أهل فارس وشيراز للحافظ الشيرازي القصار» و «تاريخ مرو» و«الذيل على تاريخ الخطيب» و«المنتخب من ذيل تاريخ واسط» و «المنتخب من القند في ذكر علماء سمرقند« و «معجم البلدان» و «الإملاء والإستملاء» و «أسانيد المسانيد» و «الأنساب» و «المنتخب من كتاب شمائل أصحاب الحديث» و

(1) السبكي: المصدر السابق، ج7، ص181و182. والصفدي : المصدر السابق، ج19، ص61.
(2) الذهبي : تاريخ الإسلام، ج37، ص 407 .

«التحبير في المعجم الكبير» و«المنتخب من شيوخ السمعاني»[1].

والكتاب الأخير أي «المنتخب من شيوخ السمعاني» يعتبر من أهم كتب الرجل وأشهرها، وذلك لأنه انتخبه من معجم شيوخه والذي لا يزال مفقودا، وبالتالي فهذا الكتاب ويضاف اليه كتاب «التحبير في المعجم الكبير» حفظا لنا الكثير من المعطيات عن معجم الشيوخ للرجل، والذي تذكر المصادر أنه قد بلغ أربعة آلاف رجلوالبعض يوصلها الى سبعة آلاف، ومهما كان الرقم الصحيح فالثابت أن السمعاني قد رحل كثيرا ودخل المدن والأمصار الكثيرة فلا ريب أن شيوخه كانوا كثيرين[2] .

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يدل دلالة واضحة على سعة رحلة الرجل، وأيضا رحلات بعض الشيوخ الذين سمع منهم، كما أنه يعتبر مصدرا مهما لكثير من مظاهر الحياة العلمية من قبيل مذاهب الشيوخ وأسماء المؤسسات العلمية والتعليمية التي درّسوا بها، وهي ملامح مهمة للحياة العلمية في المشرق الإسلامي خلال القرنين الخامس والسادي هجريين (5و 6هـ/ 11و12م).

كما جمع الكتاب أسماء العديد من المصادر والموارد التي اعتمد عليها الرجل أو ذكره في سياق تراجم شيوخه، وبعض هذه المصادر في حكم الضائع أو المفقود، و بذلك فكتاب المنتخب هو ثروة مهمة للعديد من مصادر العصر[3] .

ومن صور أهمية الكتاب أيضا أن العديد من المحدثين والمؤرخين الذين عاصروا السمعاني أو جاءوا بعدة، قد اعتمدوا عليه في مصنفاتهم فأفادوا من

(1) ابن الدمياطي أحمد بن أيبك، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي، بيروت، ب ت، مج18، ص 173

(2) عن رحلته انظر ابن خلكان : المصدر السابق، ج3، ص 209 . و السبكي : طبقات الشافعية، ج7، ص 181 . و ابن نقطة : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1987م، ص 368 . وابن كثير : طبقات الشافعيين، ص 664 . وغيرها .

(3) السمعاني: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني،تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض،1417هـ/ 1996م، ص –ص 73 – 82 .

تراجمه وتواريخه ومنهم على سبيل المثال، ابن الجوزي –برغم خصومته مع الرجل–، و الحافظ ابن نقطة الحنبلي (ت629هـ/ 1231م)، وياقوت الحموي (ت626هـ/ 1228م)، وابن الصلاح الشهرزوري الشافعي(ت643هـ/ 1245م) والحافظ الذهبي (ت748هـ/ 1347م) والصفدي (ت764هـ/ 1362م) وغيرهم كثير[1].

والصورة الأخيرة لأهمية الكتاب أن السمعاني قد تعاصر مع الحافظ ابن عساكر، وكانت بينهما مودة أكيدة، تعكسها عدم أمور منها الكتاب الذي صنّفه السمعاني وأرسله الى ابن عساكر بعنوان «فرط الغرام الى ساكني الشام» وضمنه أحاديث في فضل الشام وفضل صاحبه ابن عساكر، يُضاف الى ذلك أن الرجلين قد اشتركا في الرواية عن بعض الشيوخ، بل و سمع كل واحد من الآخر ما ليس عنده[2]، ثم إن السمعاني قد اعترف في كتابه أنه اعتمد على «معجم شيوخ ابن عساكر» وأفاد منه[3]، وبذلك فالكتابان رغم الفروق البسيطة في منهجيهما، كانا مكمّلين لبعضيهما في تبيين عناصر بعض التراجم للشيوخ وبعض مروياتهم أحيانا.

ومن محدّثي أقاليم خراسان الأخرى :أبو الفتح الكشميهني وهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد المروزي ثم الكشميهني الخطيب (ت548هـ/ 1145م)، كان شيخ الصوفية في بلده، وقد جمع بين التصوف ورواية الحديث الشريف، واشتهر برواية صحيح البخاري وقال: قَالَ عنه أبوسعد السمعاني : كَانَ شيخ مَرْو في عصره، لم أر في شيوخ الصُّوفيَّة مثله. وكان لي مثل الوالد للمودَّة الأكيدة. سَمِعَ من الجدّ،ومن غيره، سمعتُ منه الكثير، وأضرّ في الآخر،إلى أن قَالَ كَانَ عالما، حسَن السّيرة، جميل الأمر، سخيّا، مُكْرِمًا للغُرباء[4].

(1) نفسه : ص 85 .
(2) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ج36، ص 447 و448 .
(3) السمعاني : المنتخب، ص 812 وص830 و ص 1060 و ص 1149 وغيرها .
(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج37، ص327.

و الذي يجعل هذا الرجل صاحب مكانة كبيرة في رواية الحديث، وخصوصا صحيح البخاري، أنّ أي متصفح لتراجم رجال الحديث في القرن 6هـ/ 12م يلاحظ أنّ أغلب رجال العصر من مختلف الأمصار، قد رحلوا الى الرجل لسماع الصحيح منه، وذلك لعلو إسناده جودة سماعه و وروايته، ومن هؤلاء كما سبق أبو سعد السمعاني و ابنه الحافظ عبد الرحيم (ت617هـ/ م)، وقاضي القضاة محي الدين بن الزكي الدمشقي الشافعي (ت598هـ/ م)، و غيرهم كثير[1] .

وفي هراة اشتهر أبو النصر الفامي الهروي وهو عبد الرحمن بن عبد الجبار الحافظ أبو النصر الهروي (ت546هـ/ م)، وُلِدسنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بهَرَاة.

قَالَ أبوسعد السّمعانيّ: كَانَ حسن السّيرة، جميل الطّريقة، دمِث الأخلاق، كثيرالصّدقة، والصّلاة، دائم الذّكْر، متودّدا، متواضعا، لَهُ معرفة بالحديث والأدب، يُكرم الغُرباء، ويفيدهم عَن الشّيوخ. كتبتُ عَنْهُ بهَرَاة ونواحيها. وكان ثقة، مأمونا. مات في الخامس والعشرين من ذي الحجَّة. قلت: وروي عَنْهُ الحافظ ابن عساكر، وأبو رَوْح الهَرَويّ، وجماعة.وجمع «تاريخ هَرَاة»[2] .

و في نيسابور ذاع صيت الأخوين المحدّثين زاهر و وجيه ابني طاهر الشحامي:

أما الأخ الأكبر فهو زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي النيسابوري (ت 533هـ/ 1138مـ)، وأخوه وجيه بن طاهر الشحامي (ت541هـ/ 1146م)، وهما من بيت اشتهر بالعلم و الحديث في نيسابور، وقد خرج منه الكثير من رواة الحديث رجالا و نساء.

سمع زاهر الكثير، وحدَّث بنَيْسابور، وبغداد، وهَرَاة، وهَمَذَان، وأصبهان، والرَّيّ، والحجاز. واستملى بعد أبيه على شيوخ نَيْسابور كأبي بكر بن خَلَف الشّيرازيّ فمَن بَعْده، وأملى بنَيْسابور قريبًا من ألف مجلس، وصار له أنسب

(1) نفسه.
(2) نفسه: ج37، ص246.

الحديث، وكان ذا همّة في تسميع حديثه، رحل في بذْله كما يرحل غيره في طلب الحديث، وكان لَا يضجر من القراءة[1].

وكذلك كان أخوه وجيه ، قَالَ ابن السَّمْعانيّ: كتبت عَنْهُ الكثير، وكان يُمْلي في الجامع الجديد، بنَيْسابور كلّ جمعة في مكان أخيه زاهر، وكان كخير الرجال، متواضعا، أَلُوفًا، متودّدا، دائم الذِّكْر، كثير التّلاوة، وصُولًا للرحِم، تفرَّد في عصره بأشياء[2].

2- في ما وراء النهر:

لم تخل مدينة أو إقليم من أقاليم ماوراء النهر طوال تاريخيها من مجالس لطلب الحديث و تدريسه، حيث كان الاهتمام بعلوم الحديث الشريف رواية ودراية مقصدا عزيزا، بذل من أجله علماء الإقليم الكثير من خلال رحلات الطلب الى مختلف مدن و أمصار المشرق الإسلامي، ومن ثم العودة الى بلادهم و الجلوس لإسماع ما تجشموا الكثير في سماعه و تجميعه من أفواه الرجال، ومن الأمثلة على رجال الحديث في بلاد ما وراء النهر :

ففي إقليم خوارزم اشتهر الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي النيسابوري (ت529هـ/ 1134م)، و الرجل وإن كان من نيسابور، الا أنّ استقرّ ردحا من الزمن في خوارزم يسمع الحديث الشريف، كما صنّف في شرح صحيح مسلم كتابا سماه «المفهم في شرح مسلم»، وقد علا شأنه هناك حتى صار من أئمة الحديث المعدودين[3].

ومن محدّثي خوارزم أيضا أبو الجنّاب أحمد بن عمر نجم الدين الكبرى الخيوقي، وقد كان زاهدا عابدا جمع بين العلم و العمل، طاف البلاد وسمع

(1) الذهبي:تاريخ الإسلام،ج36،ص318.
(2) نفسه: ج37، ص93.
(3) الذهبي : تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث، بيروت، ب ت، ج4، ص1275.

الكثير، ثم استقرّ في بلاده يحدّث ويسمع حت صار إمام تلك الناحية، وقد روى عنه الكثيرون، ثم رُزق الشهادة في آخر عمره إثر الحملة المغولية على خوارزم حيث كان ممن واجههم على أبواب خوارزم مقبلا غير مدبر[1].

ومن محدّثي سمرقند نجم الدين أبو حفص عمر بن أحمد النسفي السمرقندي (ت537هـ/ 1142م)، الذي كان من أهل الحديث المشتغلين به، حيث صنّف أكثر من مائة مصنّف، وشرح صحيح البخاري وخرّج الكثير، وكان من المشار اليهم في هذا الشأن، روى عنه السمعاني و أشاد به[2].

ومنهم أيضا أبو ثابت الحسن بن علي النسفي (ت557هـ/ 1161م)، وفي سمرقند أيضا حدّث أبو الفضائل محمد بن عبد الله النسفي (ت606هـ/ 1164م)، وكان من بيت علم ورواية[3].

و في إقليم الصغد اشتهر جماعة بالحديث و الرواية منهم : أبو نصر شعيب بن الحسن السمرقندي (ت592هـ/ 1195م)[4]، و الشيخ أبو محمد إسماعيل بن الحسين الشهير بابن اللباد السمرقندي (ت619هـ/ 1222م)[5].

و في فرغانة أيضا كان لمجالس الحديث أكبر الأثر في الحياة العلمية في القرن 6هـ/ 12م، ومن محدّثيها: محمد بن أحمد بن علي الأوشي الفرغاني (ت؟) الذي حدّث بأوش و بخارى و غيرها، ومنهم أيضا علي بن عثمان الأوشي الفرغاني (ت611هـ/ 1214م)[6].

(1) الذهبي : تاريخ الإسلام، ج44، ص392و393.
(2) ابن العماد: المصدر السابق،ج4،ص115.
(3) السمعاني: الانساب، ج4، ص138.
(4) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج42، ص91.
(5) نفسه: ج42، ص394.
(6) أمينة سالم جمعة العمامي:الحياة الفكرية في إقليم ماوراء النهر في العصرين السلجوقي و الخوارزمي (460 – 622هـ/ 1067 – 1221م)، رسالة ماجستير، إشراف محمد عبد العظيم أبو النصر، كلية الآداب، جامعة بنغازي، 2017م، ص299.

وبرز أيضا المحدّث أبو الفضل عبد القادر بن عبد الخاق النقادي، ونقاد من قرى فرغانة، الذي رحل في طلب الحديث الى بخارى ومكة و غيرها، ثم عاد الى بلاده وجلس لإسماع الحديث الى أن مات في سنة 527هـ/ 1132م، وقد استفاد منه طلبة الحديث الكثير[1].

ومنهم أيضا الإمام أبو بكر عبد الله بن علي الفرغاني الخطيب (ت616هـ/ 1219م)، سمع الكثير و رحل في ذلك، كما حدّث في بغداد وبلاده فرغانة، وخرّج لنفسه أربعين حديثا،وقد مات شهيدا عند غزو التتار لبلاده سمرقند[2].

و في بخارى كان هناك محدثون كُثر ومنهم :

أبو عمر عثمان بن علي البيكندي البخاري (ت552هـ/ 1157م) مسند أهل بخارى،سمع و روى، وكان إماما كبيرا ثقة صالحا، روى عن جماعة وسمع منه كثيرون[3].

ومنهم أيضا الإمام أبو محمد عمر بن محمد الأنصاري البخاري الحنفي (ت596هـ/ 1200م)، حدّث بمكة وبغداد، وقد روى عنه الكثير من العلماء و الفضلاء[4].

وعلى العموم فإنّ محدّثي خراسان و ما وراء النهر كثيرون جدا، وقد حفلت كتب التاريخ والتراجم والطبقات بأخبارهم وسيرهم، وإنما كان المقصود هنا هو التعريف ببعض أعلامهم، ممن كان لهم الأثر البارز في رواية الحديث الشريف وخدمته.

(1) نفسه.
(2) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص295و296.
(3) الذهبي:تاريخ الإسلام، ج38، ص91.
(4) نفسه: ج42، ص259.

الخاتمة:

اشتملت هذه الدراسة على رصد عام لمظاهر نشاط أهل الحديث في إقليمي خراسان وماوراء النهر، في القرن السادس للهجرة الموافق للقرن الثاني عشر للميلاد (6هـ/ 12م)، و قد أمكننا استخلاص مجموعة من النتائج العامة ومنها :

أولا / تميز إقليمي خراسان و ما وراء النهر جغرافيا، بكونهما الجناح الشرقي للمشرق الإسلامي، وهذا ما منحه مجموعة من المميزات الطبيعية التي سهّلت نشوء الدول و الإمارات المختلفة، من ثم تطور الحضارة بشقيها المادي و الفكري.

ثانيا/ خصوصية القرن 6هـ/ 12م بالنسبة الى علوم الحديث الشريف، ليس من حيث الرواية و الدراية أو من حيث التصنيف و الاهتمام، بل من حيث اعتبار الحديث الشريف أداة مهمة في مواجهة مشاريع الباطنيين، وكذا ضد العدو الصليبي الغازي بقصد إذكاء جذوة الجهاد، وخدمة مشروع الإسترداد.

ثالثا/ اعتبار خراسان و ما وراء النهر دار رحلة في طلب الحديث و تحصيل عوالي إسناده، وذلك لأن هذين الاقليمين قد حفلا بمجموعة كبيرة من كبار حفاظ العصر و محديثه، ذوي السمعة الكبيرة ليس على مستوى الإقليمين فحسب بل على مستوى المشرق برمته.

رابعا/ تعدد المؤسسات العلمية و التعليمية التي كانت مستقرا لمجالس الحديث و الإملاء، وتنوع علوم الحديث على مستوى التلقي و الآداء معا.

خامسا تنوع مظاهر نشاط أهل الحديث، سواء بالرحلة العلمية، أو تدريس الحديث وإملاءه، أو بناء المؤسسات و الإنفاق عليها، وكذا تصنيف الكتب و المؤلفات و نشرها بين المهتمين بالحديث و علومه، أو حتى في مجالس العامة.

و أخيرا وليس آخرا نشاط الحركة العلمية بشكل عام في مختلف العلوم الشرعية و الوضعية، و تعزيز المنافسة بين مختلف الفاعلين بشكل ساهم كثيرا في تطور الحياة العلمية و تنوعها.

قائمة المصادر و المراجع:

أولا/ المصادر:

1/ ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد : الكامل في التاريخ،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي، بيروت،1417هـ/ 1997م.

2/ ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،1412هـ/ 1992م.

3/ ابن حجر العسقلاني شمس الدين أحمد: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، 1421هـ/ 2000م.

4/ ابن حوقل : صورة الأرض، دار صادر، بيروت، 1938م.

5/ ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت،1900م.

5/ ابن الدمياطي أحمد بن أيبك، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق قيصر أبو فرح، دار الكتاب العربي، بيروت، ب ت.

6/ ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة،تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين،مكتبة العبيكان،الرياض،1425هـ/ 2005م.

7/ ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1992م.

8/ ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد : بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق سهيل زكار،دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت،ب ت.

9/ ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن: تاريخ دمشق،تحقيق العمروي،دار الفكر،1415هـ/ 1995م.

10/ ******* : معجم الشيوخ، تحقيق وفاء تقي الدين، دار البشائر، دمشق، 1421ه/ 2000م.

11/ ابن العماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط،دار ابن كثير،دمشق،1406هـ/ 1986م.

12/ ابن فندق البيهقي : تاريخ بيهق، دار اقرأ، دمشق، 1425هـ.

13/ ابن الفوطي كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد : مجمع الآداب في معجم الألقاب،تحقيق محمد الكاظم،وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي،طهران.

14/ ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية،تحقيق عبد العليم خان،عالم الكتب،بيروت، 1407هـ.

15/ ابن كثير أبو الفدا إسماعيل بن عمر: طبقات الشافعيين،تحقيق أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب،مكتبة الثقافة الدينية،1413هـ/ 1993م.

16/ ابن الملقن : العقد المذهّب في طبقات حملة المذهب، تحقيق أيمن نصر الأزهري و سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/ 1997م.

17/ ابن نقطة محمد بن عبد الغني البغدادي: إكمال الإكمال،تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي،جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1408هـ/ 1987م.

18/ ******* : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/ 1987م.

19/ أبو سعد السمعاني عبد الكريم بن محمد: الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيردآباد، الهند.

20/ **********: التحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، 1395هـ/ 1975م.

21/ **********: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني،تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض،1417هـ/ 1996م.

22/ أبويوسفيعقوبالفسوي: المعرفةوالتاريخ،تحقيقأكرمضياءالعمري،مطبعةال إرشاد،بغداد،1393هـ/ 1974م.

23/ الإدريسي محمد بن محمد : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ.

24/ الإصطخري: المسالك والممالك، دار صادر،بيروت،2004م.

25/ الحاكم النيسابوري : تلخيص تاريخ نيسابور، ترجمة بهمن كريمي، كتابخانة ابن سينا، طهران..

26/ الذهبي شمس الدين محد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ/ 1993م.

27/ :تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث، بيروت، ب ت.

28/ سير أعلام النبلاء،تحقيق محموعة من المحققين،ط3،دار الرسالة،بيروت، 1405هـ/ 1985م.

29/ : العبر في خبر من غبر،تحقيق أبو هاجر محمد السعيد،دار الكتب العلمية،بيروت،1405هـ/ 1985م.

30/ السبكي تاج الدين عبد الوهاب: طبقات الشافعية الكبرى،تحقيق محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو،ط2، هجر للطباعة و النشر

والتوزيع، القاهرة،1413هـ.

31/ السيوطي : الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

32/ الصريفيني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1414هـ.

33/ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات،تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،دار إحياء التراث، بيروت،1420هـ/ 2000م.

34/ الفيروزآبادي مجد الدين محمد : القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 1426هـ/ 2005م.

35/ القرشي عبد القادر بن محمد: الجواهر المضية في طبقات الحنفية،تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو،ط2،دار هجر،القاهرة،1413هـ/ 1993م.

36/ الكرماني شمس الدين محمد : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1401هـ/ 1981م.

37/ مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق الى المغرب،ترجمة السيد يوسف الهادي،الدار الثقافية للنشر، القاهرة،1433هـ.

38/ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/ 1991م.

39/ ياقوت الحموي : معجم البلدان،ط2،دار صادر،بيروت،1995م.

40/ ياقوت الحموي : معجم الأدباء،تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1414هـ/ 1993م.

المراجع:

1/ الكتب المطبوعة:

1/ علال خالد كبير: الأزمةالعقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث، دارالإمام مالك، البليدة، 1426هـ/ 2005م.

2/ غي لسترينج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ت.

3/ محمد أبو شهبة : الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، بيروت.

4/ محمد مطيع الحافظ : دور الحديث الشريف بدمشق، دارالمكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1431هـ/ 2010م.

5/ نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث، دارالفكر، دمشق، ط3، 1401هـ/ 1981م.

2/ الرسائل الجامعية:

1/ أمينة سالم جمعة العمامي: الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر في العصرين السلجوقي والخوارزمي (460-622هـ/ 1067-1221م)، رسالة ماجستير، إشراف محمد عبد العظيم أبو النصر، كلية الآداب، جامعة بنغازي، 2017م.

2/ إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي: الحياة العلمية في بلخ (205هـ-617هـ/ 820م- 1220م) رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف مريزن بن سعيد بن مريزن عسيري جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، 1434هـ/ 2013م.

3/ ذهبية عاشور قري: إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي (429-558هـ/ 1038-1163م)، رسالة دكتوراه، إشراف سامية مصطفى مسعد، جامعة الزقازيق، مصر، 1429هـ/ 2008م.

4/ محمد ألفاجالو : الحياة العلمية في نيسابور (290هـ - 548هـ/ 901م - 1153م)، رسالة دكتوراه، إشراف مريزن سعيد مريزن عسيري، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1421هـ/ 2000م.

5/ محمد سعد عزب: الحياة الفكرية في خراسان في العصر السلجوقي (429-558هـ/ 1038-1163م)، رسالة دكتوراة، إشراف سامية مصطفى مسعد ومحمد عبد العظيم أبو النصر، جامعة الزقازيق، مصر، 1427هـ/ 2006م.

❊❊❊

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

علماء فيما وراء النهر « البيروني أنموذجا »

Transoxiana scholars Al-buruni, s a mode

الاسم واللقب[1]* مصطفى صمراني، جامعة الجزائر 2 أبوالقاسم سعد الله، (الجزائر)،

الإيميل: Gmail : mustapha.semrani@univ-alger2.dz

الملخص:

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (351 – 363هـ/ 430 – 440هـ)، الذي ولد وترعرع في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من بحيرة آرال التي سميت خوارزم ثم سميت بيرون، وهناك من العلماء والمؤرخين من يقول أن نسبه غير معروف « مجهول النسب تماما، فكان في تلك الحقبة من أفقه وأعلم علماء عصره، فخرج شتاءً 994م من مدينة كاث عاصمة خوارزم مرتحلا لطلب العلم إلى المدن المجاورة نذكر منها: مدينة الرّي ثم طهران عاصمة إيران وبخارى وجرجان في إيران ثم عودته إلى خوارزم ثم غزنة من الهند، أما علماء عصره نذكر منهم: محمد بن موسى الخوارزمي، وأبو نصر الفارابي وأبو بكر الرازين، وابن سينا وغيرهم، وهناك العديد من مؤلفاته منها: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة والأثار الباقية في القرون الخالية، الجماهير في معرفة الجواهر وكتاب الصيدنة والقانون المسعودي وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: بلاد ما وراء النهر، الصين، خوارزم، الصيدنة، البيروني.

Abstract Abu Rayhan Muhammad Ibn Ahmad Alberuni (363_351 AH/ /430_440 AH) Was born and grown up in the region which is situated in the south of

Aral's lake which was labeled Khorezm , and then Berun.Some scientists and historians claim that his lineage is completely unknown.At that era , he was one of the brightest and most reliable scientists of his time. In 994's winter, he traveled seeking knowledge. He started from Cath city, the capital of Khorezm heading to neighbor cities like Shahr-e-Rey, Tehran the capital of Iran,Bukhara and Gorgan.As for scientists who lived through that time, we mention : Muhammad Ibn Moussa Al Khawarizmi,Abu Nasr Al Farabi, Abu Bakr Al Razi, Ibn Sina,etc. Al-Beruni has so many works such as : Kitab ul-Hind, Tahqiq Ma lil-Hind, The remaining Signs,Qanun Al Massaoudi ,Kitab Al-Saidana, and so many other precious works.

Keywords: Transoxiana, China, Khorezm, Berun, Pharmacy.

1: مقدمة

يعتبر العصر الوسيط من أنور وأزهى العصور، حيث تميز هذا العصر بالعلم والمؤرخين والعلماء، في المغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي عامة وفي بلاد ما وراء النهر خوارزم خاصة، فهذه البلاد ازدهرت بالعلم والعلماء سواء من المدن المجاورة أو الرحالة الذين استقطبوا البلاد من كل البلدان الأخرى حتى من إفريقيا وأوروبا، الذين ساهموا في النهضة العلمية في عصر الشيخ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الذي سيكون نقطة بحثنا من حيث تاريخه وحياته العلمية، ونذكر بعض المؤرخين منهم: سخاو الذي ترجم الهند إلى الانجليزية، وأبو نصر الفرابي، وابن سينا، محمد بن محمد الخوارزمي، أبو بكر الرازي، أبو سهل عيس بن يحي المسيحي، الحسن بن الهيثم، والبيروني الذي ولد في سبتمبر 973 م، بظاهر مدينة خوارزم (بيرون، فارس، ظاهر)، من مدينة كاث، قريبة من نهر أمودايا الذي كان يعرف بأكسوس، وفي بعض الاحيان كان يسمى بالأستاذ الذي ألف كتاب الصيدلة في الطب.

وكانت مدينة خوارزم بها العديد القصور والمساجد والمعاهد الدينية، وتعاقبت عليها الحضارات منها يونانية وفارسية وهندية وصينية، الذي عارض فكر أريسطوا وترجمة اليهود صمويل بن طابون ويهود سالمون وموسى بن طبون والكاهن الطليطلي بالنشر إلى العبرية، وله العديد من المؤلفات، وكذلك تحدث عن نحل وعقائد الهند، وهو أبو الصيدلة العربية في العالم الاسلامي، وفيلسوف عقلاني ومؤرخا وجغرافيا وفلكيا .

الدراسات السابقة التي تناولت علماء فيما وراء النهر في العصر الوسيط عموما محدودة جداً.

إن هذا الموضوع يطرح إشكالات عديدة لأن له تأثير على الحياة الثقافية والإجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية في تلك الحقبة التاريخية، فمن هذا توصلنا لطرح الإشاكل الأتي:

ما مدى تأثير البيروني وعلماء عصره على الحيات الثقافية والحضارية ؟

لذلك إفترضنا بعض **الفرضيات منها**:

ربما عاش البيرون بعض الأحيان في أحوال جيدة وبعض الأحيان متوترة.

ربما عاش البيروني وعلماءه في البحث والتنقيب عن العلوم والتدوين.

ربما خلف البيروني وعلماء عصره تراثا علميا ظخما .

أهداف البحث والمنهجية:

البحث التاريخي الثقافي لمعرفة البيروني وعلماء عصره.

كيفية معاملة المجتمع لهذه النخبة.

كيف ساهمت هذه النخبة في توعية المجتمع الإنتاج الثقافي الهائل.

2: حياة البيروني:

1.2: نسبه:

هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الذي يقول عنه بعض العلماء والمؤرخين أن نسبه غير معروف « مجهول النسب تماما، أما اسمه محمد بن أحمد لا يفيد شيئًا، وقد جارت العادة على استعمال هذه الأسماء الحقيقية غير معروفة «، كما ظهر في بعض الكتابات التي استدل بها الباحث حمادي السايح: « شاعرا يدعى (أبا الحسن)، مدح أبا الريحان بقصيدة عدد فيها مآثر أجداده السادة. فرد عليه البيروني بقصيدة يشك الأستاذ عبد الحميد الحمد أن تكون نضمه.

يا ذاكرا في قوافي شعره حسبي ... ولست والله حقًا عارفًا نسبي

إذ لست أعرف جدي حق معرفة ... وكيف أعرف جدي إذا جهلت أبي

إني أبو لهب شيخ بلاد أدب ... نعم و والدتي حمالة الحطب

المدح والذم عندي يا أبا الحسن ... سيان مثل استواء الجد واللعب»[1]

وتضح لنا من القول أن البيروني رجل حكيم لا يقوم بالمدح والذم في نفس الوقت، ثم أشار من منطق آخر أن البيروني عاش وتربى في بيرون «كان أبوه تاجراً صغيراً، لكنه لم يضن على ولده بالرعاية وحسن التربية، غير أن الموت عاجله وبنه محمد مازال صبيًا يافعًا، فانتقلت أعباء تربيته إلى أمه»، فإن أبا الريحان الخلوق الكريم حتى وصف بثمار الأشجار الطازجة كما تحدث عنه الياقوت الحموي «كان حسن المعاشرة، طيب العشرة، ضليعًا في ألفاظه عفيفًا في أفعاله لم يأتي الزمان بمثله علْمًا وفهما»، وبعض الباحثين مثل صلاح الدين الصفدي

(1) حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، إشراف الدكتور بوكرلدة زواوي، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، سنة 20012 / 2013 م، ص 20 .

أن كل من يأتي من بيرون فيدعى بالبيروني «بيرون التي ينتسب إليها ابو الريحان تسمية لخارج خوارزم مدينة البيروني، وتطلق على كل من يكون من خارج البلد ولا يكون من نفسها يقال عنه فلان براني»[1].

2.2: مولده :

اختلف المؤرخون والفقهاء في تحديد ملاد البيروني « فقد جاء في قسم منها أنها كانت (363هـ)، على أن السيد محمد مسعود في تعليقه على مقال البيروني في دائرة المعارف الإسلامية جعل ولادته (سنة 351هـ)»، فذكر حمادي السايح أما المستشرق الألماني (سخاو) الذي نشر في تأليفه الأثار الباقية « أن مولد هذا الشخص العجيب النادر والبحر العميق الزاجر والبدر المنير الباهر الإمام الشيخ الأستاذ الرئيس الحكيم برهان الحق أبي الريحان محمد بن احمد البيروني أنار الله برهانه وأسكنه جنانه ورضي عنه وأرضاه وجعل أعلى العليين مثواه، كان بمدينة خوارزم صبيحة يوم الخميس ثالث ذي الحجة (سنة 363ه)»[2]، أما الدكتور أحمد سعيد الدمرّداش قال: أنه ولد ونشأ في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من بحيرة آرال التي سميت خوارزم ثم سميت بيرون[3].

3.2: وفاته :

مثلما كان الاختلاف في ميلاده من الممكن سنجد اختلاف في تاريخ وفاته مثلما رأيناه في تاريخ كتاب الصيدنة الذي ذكر فيه «الإنافة على الثمانين أفسدت من المتخيلة قوتيها العمليتين أعني المدح والمسمع ومع ذلك لم يتوقف عن العمل أبداً ونهايته كما يقول: (كارادوفو) تشبه نهايته العالم الرياضي (أولر)

(1) حمادي السايح، نفسه، ص 21 .
(2) الأثار الباقية، القسم الألماني، ص 16، نقلا عن حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 22 .
(3) د. دكتور أحمد سعيد الدمرداش، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، سلسلة أعلام الإسلام(2)، د ط، د ج، دار المعارف، 1119 كورنيش النبل، القاهرة ج . م . ع، سنة 1980، ص 17 .

الذي توفي وهو يحسب «[1].

أما مثل ما قال ياقوت الحموي (574 / 626هـ) في معجم الأدباء عن القاضي (كثير بن يعقوب البغدادي) النحوي عن العالم (علي بن عيسى الولوالجي) قال: « دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه، وقد حشرج نفسه وضاق به صدره فقال لي وهو في تلك الحالة : كيف قلت لي يما حساب الجدات الفاسدة؟ (وهو علم يتعلق بعلم الفرائض) فقلت له إشفاقا عليه: أفي هذه الحالة؟ قال لي يا هذا، أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها، فأعددت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده وأنا في الطريق، فسمعت الصراخ «[2]، هذا الحدث قد كان في غزنة للاستدلال من الأثار الباقية للقسم الألماني « في الثالث من رجب سنة (440هـ) استنادا إلى قول(إبراهيم التبريزي) المعروف بغضنفر الذي نسخ كتابه الصيدنة».

فكذلك نجد عند (سخاو) رسالة منشورة في الأثار الباقية التي كتبها أحد طلابه وهو أبي الفضل السرخيسي صاحب تأليف جوامع التعاليم « توفي الشيخ العالم رحمه الله بعد العتمة في ليلة الجمعة في الثاني من رجب سنة (440هـ)»، وكذلك « كان عمر أبي الريحان البيروني برَّدَ الله مضجعه سبعًا وسبعين أشهر قمرية»، أما ابن أصبعية قال توفي سنة 430هـ، « أن السلطان محمود بن سبكتكين مات سنة 422ه وأبو الريحان حي بغزنة، ثم عاد مرةً أخرى ليقول ثم أقام بغزنة حتى مات فيها أرى في حدود سنة 403هـ عن سن عالية»[3].

(1) حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 22 .

(2) زهير الكتبي، محمد بن أحمد البيروني، د ج، د ط، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، سنة 1992م، ص 09 .

(3) الأثار الباقية، القسم الألماني، ص16، نقلا عن حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 23 .

وهكذا تبقى جل المصادر والمراجع الأخرى متفق على أن وفات الشيخ الإمام العلامة أبو الريحان البيروني سنة 440هـ، لذلك نتبع أراء المؤرخين والطلبة الذين عاشوا في نفس الفترة الزمنية التي عاشها الشيخ الإمام أبو الريحان البيروني، ثم نسلط الضوء عليها حتى أن نصل إلى الحقيقة التاريخية.

3: حياته العلمية :

تضاربت الأحداث ومن هذه الأحداث نستطيع القول أن الشيخ البيروني بدأ وتمكن من بداية الحياة العلمية في سن مبكر من مدينة (كاث **kath**) التي كانت أنا ذاك عاصمة الدولة الخوارزمية مثل ما قال: « جاءنا في شتاءِ (994م) رجل رومي، وقد حظيت منذ ولادتي بفرط الحرص على اقتناء المعارف بحسب السن والحال، ويكفي شاهداً أن روميا – رجل يوناني – حل أرضنا فكنت أجيء بالحبوب والبذور وثمار والنبات وغيرها، وأسأله عن أسمائها بلغته وأحررها «، فاستنتجت من هذا أن تعلم البيروني للغة اليونانية وكذلك الصعبات التي كان يتلقاها في الرحلات لطلب العلم في مناطك كثيرة بعيدة المسافة عن بيرون[1].

وإذا عدنا لتحدث عن الأحداث التي كانت سائدة في فترة البيروني لطلب علمه، من انتشار الجوائح الطبيعية والبشرية منها: خلال سفره يتعرض إلى الثلوج والأمطار والرياح والاعاصير والصقيع والبرد والحرارة حتي الزلازل والأوبئة المنتشرة في كل أماكن بقاع الأرض، فدائماً كلما واجهنا جوائح طبيعية سنواجه منها جوائح بشرية التي تتمثل: تعسف السياسة والحروب المتكررة من فترة إلى أخرى، وتذبذب الاقتصاد وتعكر الأجواء وانتشار الفساد والقتل والحرابة أي السرقة ...الخ، ولهذا كان أهل عراق الذين ينحدرون من نسل ملوك خوارزم القدامة قبل الإسلام، فحكموا الدولة الخوارزمية القديمة التي اتخذت كاث عاصمةً لهم، فقربوا أهل العلم والعلماء إليهم مثل ما علموا أبا الريحان

(1) الأثار الباقية، القسم الألماني، ص16، نقلا عن حمادي السايح، نفسه، ص 23 .

الذي كانت أمه قريبة منهم، حتى أن تعلم جل العلوم على يد أبو نصر منصور بن عراق ت 425ه، حتى أن تعلم الهندسة والرياضيات والفلك، حتى أن أصبح من مشاهير العلماء وكان في بعض الأحيان يلقب بالأستاذ[1].

الذي توغل في طلب العلم وتعلم جل العلوم مثل ما جاء في كتاب القانون المسعودي « إن رؤية الكواكب منوط بدائرة الضياء والاقتراب منها والتباعد عنها، وقياس جرم الكواكب وعضمه ومكوثه فوق الأرض قبل طلوع الشمس أو مغيبها ... هذا وتختلف البقاع باختلاف أهويتها في فصول السنة. ولإتقان التجارب لابد من الرجوع إلى بطليموس إمام الصناعة والذي لم يدرك شأوه فيها أحد من الجماعة وأهل الإسلام إلا (محمد بن جابر البتاني 850هـ/ 929هـ)»[2]،

1.3: رحلتــــه:

نستطيع القول أن الشيخ أبا الريحان البيروني الذي سمي في كتب التاريخ بالرحالة، فبفضل الرحلات التي كان يقوم بها ساهمت في مكتسباته العلمية أو تحصيله العلمي الذي جعله يمتاز على باقي العلماء والمؤرخين، وهذا على حساب ما جاء في الكتابات التاريخية وتقديرهم لجهود هذا العالم الفذ.

1.1.3: رحلة البيروني إلى مدينة الرَّي: (التي توجد حاليا قرب طهران عاصمة إيران):

كما ذكرنا سابقًا أن البيروني في عصره كانت بعض الأزمات السياسية والحربية التي هاجم فيها الأمير الجرجانية سيده صاحب كاث حتى أن قتله، فارتحل إلى مدينة الرَّي فوجد فيها سنة 995م من أجل الاستقرار فيها، فحرم الكثير من الحاجيات وراء الظلم منهم، حيث ما ذكره في قصته مع العالم الذي ألتقى به وحاوره حول صناعة النجوم مثل مقال: « فأعلمته أن الصواب في خلاف

(1) الأثار الباقية، القسم الألماني، ص16، نقلا عن حمادي السايح، نفسه، ص 24 .
(2) القانون المسعودي، نقلا عن حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 25 .

ما يعمله ... فكذَّب قولي وجبهني واستطال عليَّ لماَ كان من تفاضل الغنى والفقر الذي يستحيل معه المناقب مثالب وتصير المفاخر معايب فإني كنت في ذلك الوقت ممتحنا من جميع الجهات مُخْتَلَّ الحال ثم صادقني بعد ذلك لما زالت المحن بعض الزوال «[1].

فأخذ عن مجموعة من العلماء لحبه وطلاعه على العلوم، فطلع على الفلسفة اليونانية والإسلامية، وكذلك درس كتب رسائل (أبي بكر الرازي 251هـ – 313هـ أو 320هـ)، وأخذ بتعاليم (أفلاطون 427ق.م – 348ق.م) و (أبيقور 341ق.م – 270ق.م)، وكذلك قرأ عن مذهب المعتزلة لي بن عباد (936م – 995م)، فهو وزير محب للعلم والعلماء حيث كان يجمع الكتب ومجلسه دائما من العلماء والشعراء والأدباء مثل: (أبي حيان التوحيدي الفيلسوف 310هـ – 414هـ)، و (أبي الوفاء البوزجاني 328هـ – 388هـ)، وابن زرعه، وابن عبيد، وابن مسكويه[2].

2.1.3: البيروني في مدينة بخاري :

بخارى من دول آسيا الوسطى وتعد من أكبر مدن ما وراء النهر، فتحها عبد الله بن زياد بأمر من معاوية ابن أبي سفيان سنة 54ه، فانتقل إليها البيروني سنة 387هـ للقول: « إثر تولي منصور بن نوح الساماني الحكم ما بين(350هـ – 365هـ)، فتقدم إليه أبو الريحان ومدحه بقصيدة عربية نال رضاه وإعجابه فاكرمه، وكان هذا الأمير محباً للعلم والعلماء «، فكان هذا الأمير يحترمه ويقدره حق القدري حتى أن تعرف في هذا البلاط على الأمير الشاعر (شمس المعالي

(1) البيروني، الأثار الباقية، دار صادر بيروت، ص 338 .نقلا عن حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 25.

(2) حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 26.

قأبوس بن وشمكير ت 403هـ)، الذي طلب المساعدة من السلطان منصور الثاني حتى أعانه وعاد منتصراً إلى مدينته جرجان، في عهد حكم السامانيين الذين ساهموا في ازدهار العلوم وظهور الديانات منها: الماجوسية والمانوية المتبنيا الزهد والتقشف في ضل الإسلام من أجل جذب الناس[1].

أما الجانب الاقتصادي في بخارى كان سائد ومتميز عن المدن الأخرى فيما كان شعوب المنطقة يعتمدون على الزراعة المروية التي كانت تسقى من نهر الصغدى الذي تمتد حولة الأراضي الزراعية والبساتين والفواكه والرياحين، حتى أن أوجدوا دوان للمياه، فكانت هذه الزراعة منتشرة كثيراً في مناطق منها: الصغد وأشر وسنة وفرغانة والشاش وكذلك الجبال، وكذلك كانت الدولة تعتمد على المنسوجات وصناعة الورق وصناعة الخزف والمعادن والدهون والعطور والصابون ثم تباع خارج البلاد حتى أن تجوب البحار إلى شمال أوروبا[2].

3.1.3: رحلة البيروني غلى مدينة جرجان (في إيران):

كان البيروني سريع الترحال فعندما رأى الفتن وتدهر الأوضاع في مدينة بخارى، فانتقل إلى مدينة جرجان التي كان يحكمها الأمير شمس المعالي وتولى الحكم فيها سنة 371هـ، الذي تعرف عليه من قبل في بخارى فنزل عنده بالرحب والسعادة، مثل ما مدحه قال:

«وشمس المعالي كان يرتاد خدمتي على نفرةٍ مني وقد كان كاسيًا»

حتى أن أتمم البيروني كتابه الأثار الباقية الذي هداه إلى الأمير (قأْبوس)، وكان يقوم بالمناظرات مع علماء المدينة مثل مناظرته مع ابن سينا وغيره، فوصفه المقريزي (764هـ – 845هـ): «مدينة عجيبة إذ كل أهلها أجناد حتى

(1) زهير الكتبي، محمد بن أحمد البيروني، د ج، د ط، المرجع السابق، ص 28 .
(2) عفاف صبرة، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسات سياسية حضارية، الدكتورة نجوى كيرة، ط 01، د ج، الناشر زهراء الشرق، 116 شارع محمد فريد، جمهورية مصر العربية، القاهرة، سنة 2009م، ص 353 - 358 .

البقال والقصاب والخباز والحائل وأهلها أهل الصناعات الدقيقة يغلب عليهم ممارسة علم الكلام في الأسواق والدروب يناظرون بلا تعصب وينكرون من أحد ذلك قائلين: ليس لك إلا الغلبة بالحجة»[1].

4.1.3: عودة البيروني إلى بلده خوارزم:

ذكر لنا الباحث حمادي السايح على لسان ياقوت الحموي: « أهلها علماء فقهاء، أذكياء، أغنياء، فهي لعمري بلاد طيبة فيهم جلَّدَ وقوة غالب عليهم الطول والضخامة، وفي رِوسهم عرض، ولهم جبهات واسعة مرنوا على القناعة بالشيء اليسير، والمترفون مثل الفقراء، فبقي البيروني عشرة سنوات في مدينة جرجان فعاد إلى بلده خوارزم وتعايش في أوضاعها حتى إن استولى السلطان محمود الغزنوي (998م – 1030م) على كاث مدينة خوارزم سنة 407هـ، وللقضاء على دولة المأمونيين، حتى أن أصبحت غزنة التي ذهب إليها البيروني عاصمة للدولة الغزنوية، مثل مقال ياقوت الحموي (574هـ – 622هـ) في معجم الأدباء «حدثني أهل بعض الفضل أن السبب في مصيره إلى غزنة أن السلطان محمودا لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى أستاذه عبد الصمد الحكيم واتهمه بالقرامطة والكفر فأذاقه الحمام وهم أن يلحق به أبا الريحان، فساعدته فسحة الأجل بسبب خلصه من الموت، وقيل له: إنه إمام وقته في علم النجوم وأن الملوك لا يستغنون عن مثله»[2].

5.1.3: رحلة البيروني من غزنة إلى الهند:

اتجه محمود الغزنوي بعد استلائه على مدينة خوارزم إلى الهند برفقته البيروني الذي كان يشك به ولا يثق فيه، وكان البيروني يعيش في مراحل مزرية

(1) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة، د ج، ط 02، عالم الكتب، بيروت، سنة 1983م، ص 07.

(2) عفاف صبرة، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسات سياسية حضارية، الدكتورة نجوى كيرة، المرجع السابق، ص 54 - 55 .

وقلة الرعاية، لاكن وجدها فرسة للبحث في العلوم والعلماء في بلاد الهند، ودوره نقل إليها العلوم والحكمة الإسلامية والفلسفة اليونانية، فجاء البيروني بأخبار الهند: أنها بلاد مزدهرة اقتصاديا وتجاريًا واستقراراً، وهذه الأسباب تعود إلى الموقع الجغرافي الممتاز، والمياه الوفيرة والتربة الخصبة والحرف الكثيرة والأمن الذي كان سائد في المنطقة، كذلك كانت هذه المنطقة تجذب السياح والعلماء والأساتذة حتى أن أصبحت المنطقة من أكبر المناطق المزدهرة بالعلوم والعلماء والفقهاء، ورغم كل هذا أصبحت المنطقة مركز الديانات والعلوم والمذاهب والمحاضرات والثقافات[1].

4: عصره:

من خلال دراستنا لهذه الشخصية أنه كان عالم ومفكر وفيلسوف عصره الذي كانت له العديد من المناظرات التي جارت بينه وبين العلماء الأخرون في كل المناطق التي كان يرتحل إليها، فكان يبحث في النظريات والأفكار التي لا تكون في «عقل العالم أو المفكر أو الفيلسوف، إنما يكون في أحشاء المرحلة التاريخية التي عاشها وأبدع فيها فكره أو مذهبه أو نظريته». الذي استطاع أن يجمع بين الثقافات الإيرانية واليونانية والهندية في أنواع العلوم كلها [2].

وبعد الفتح الإسلامي شهدت المنطقة تعايش علمي واستقرار الأمن، ثم تهاون الخلفاء على تلق المناطق فانقسمت من جديد إلى دويلات جديدة، التي أصبحت كل دولة تجمع العلماء والفقهاء والعلم والحكمة والأدب والفلسفة، فكان الحكام والولاة يشجعون ويبذلون لاكتساب العلم والعلماء، والدليل على هذا: « كان الزمان في القرن الرابع الهجري زمان أرستقراطية حتى أدى الحال

(1) عفاف صبرة، نفسه، ص 57 – 58 .

(2) محمود عودة، تاريخ علم الاجتماع، د ط، ج 1، مرحلة الرواد، دار النهضة للطباعة والنشر بيروت، ص 07 . نقلا عن : حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 30.

إلى نشوء جيل لكل طائفة وأبناء الوزراء أيضا وكذلك الأمر بالنسبة للتجار والزراع والصناع والشعراء والموسيقيين، وكان العلماء يتميزون عن غيرهم. أما مجالس العلم فتعقد في قصور الخلفاء والوزراء والأمراء وفي المكتبات والمساجد والمدارس[1].

أما آسيا الوسطى التي عاشت في ظل الفتن الاضطهاد خلال القرن (10 – 11م / 05 – 06هـ) على الجانب العلمي والثقافي وكذلك اضطهاد الاقتصاديين من الرجال القائمين على النشاط الفلاحي من زراعة وصناعة وتجارة، فازدهرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر ابا الريحان البيروني من تركيز الإقطاعيين في كل الميادين في بلاد ما وراء النهر، حتى أصبحوا يمارسون النشاط الزراعي بي طريقة الري وتطبيق عليها الرياضيات والفلك والمساحات التطبيقية والطب[2].

1.4: أهم علماء عصر البيروني:

تميز عصر البيروني بازدهار العلم والعلماء الذين كان يأتون من مناطق بعيدة إلى بلاد خوارزم، حتى أن أصبحت تعج بالعلم والعلماء من إنتاج علمي وفلسفي وعلمي، ونذكر من بين العلماء الذين ساهموا في الإنتاج:

1.1.4: محمد بن موسى الخوارزمي (ولد حوالي 361هـ / 232م):

هو عالم برع في الفلك والرياضيات «فهو أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفي قالب منطقي علمي، كما أنه أول من استعمل كلمة الجبر للعلم المعروف بهذا الاسم ... الذي يكون قد علَّمه وعلَّم الحساب للناس أجمعين»، الذي اهتم به المأمون حتى أن نصبه على بيت الحكمة الذي

(1) عفاف صبرة، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسات سياسية حضارية، الدكتورة نجوى كيرة، المرجع السابق، ص 353 – 364 .
(2) حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 31.

ألف: كتاب المختصر عن حساب الجبر والمقابلة[1].

2.1.4: أبو نصر الفارابي (062 – 933 هـ):

هو أبو نصر الفارابي الفيلسوف الذي قام بتطوير الحياة الروحية في ذلك العصر حتى لقب بالمعلم الثاني لأنه جمع مؤلفات أرسطو، أما (أرسطو 384ق.م – 322ق.م) كان يلقب بالمعلم الأول لجمعه ما تفرق من مباحث المنطق ومسائله، ومن مؤلفاته: الجمع بين رأي الحكيمين الذي برهن فيه على اتفاق أفلاطون وأرسطو واختلافهم في المنهج والأسلوب، أما الفارابي كان يدرس دراسة شاملة ولا يقف على الجزئيات[2].

أما العلماء والفلاسفة الذين عاصروا أبا الريحان البيروني سواءً في خوارزم أو ما وراء النهر، والذين ياء من مناطق أخرى:

3.1.4: أبو بكر الرازي (052 – 113هـ):

الذي برع في الطب والكيمياء مثلما تحدث عنه صاحب الفهرست فكان من علماء عصر وجمع بين طب القدماء، قال جورج سارطون: « إن الرازي طبيب عبقري ... من أوائل الأطباء الذين استخدموا معلوماتهم الكيميائية في الطب، وهو بدون شك أعظم طبيب أنجبته الحضارة الإسلامية «، حتى أن زكاه البيروني بمواهبه العلمية، حتى أثنا عليه العلماء الغربيون وعلماء امريكا الذين جسدوا له مأثر من أعلام الخالدة لرازي[3].

4.1.4: أبو سهل عيسى بن يحي المسيحي (ت 983هـ):

« عالم بالطب وبعلوم المنطق، حصل على منزلة رفيعة لدى سلطانها. مات في كمال الأربعين من عمره، له كناش عرف باسم الماءة مقالة» كذلك تقابل مع

(1) حمادي السايح، نفسه، ص 33.
(2) حمادي السايح، نفسه، ص 33.
(3) حمادي السايح، نفسه، ص 34.

البيروني في بلاط الأمير (قابوس) فتتلمذ عليه[1].

5.1.4: ابن يونس علي بن عبد الرحمان (ت 933هـ):

هو عالم رياضي فلكي، الذي قضى وقته في البحث لعلم الفلك وعلم النجوم وحركة الكواكب الذي اخترع الرقاس لمعرفة الفترات الزمنية في رصد الكواكب وكذلك رقاص لساعة لعرفة الوقت.

6.1.4: ابن سينا (073هـ – 824هـ):

الذي كان يدعى الطبيب والفيلسوف المفكر عالم عصره من عظماء العلماء، فناظر البيروني في بلاط الأمير قابوس في مسائل منها: « فيما جار بيني وبين الفتى أبي على من المذاكرة في هذا الباب، والمألة هي: أن الجسم المماس لباطن الفلك هو النار، زعموا أنه أصلي طبيعي كالأرض والماء والهواء. وأن شكله كروي. وعندنا أنه حاصل عند احتدام الهواء باحتكاك الشكل الهلالي على وتره، وذلك مطرد على ما يذهب إليه، من أنه ليس واحد من الأجسام الموجودة كائن في موضعه الطبيعي، وإن كون جميعها حيث وجدت إنما هو بالقسر والقسر لا يمكن أن يكون أزلية[2].

7.1.4: الحسن بن الهيثم (453هـ – 034هـ):

السيد الحسن بن الهيثم هو من علماء عصره الذي كان مفكر وفلسفي وعمل على التشريح والفلك والهندسة والطب والرياضيات والبصريات والفيزياء وعاش في العصر الذي عاش فيه البيروني وهذا العصر ازدهر بالعلوم وتطور المعارف بفضل الجو المناسب للبحث في العلوم و «حركة فكرية متجددة ومزدهرة بشتى الآراء في المعتقدات والمذاهب والشريعة، في اللغة والأدب، في الفلسفة والعلوم»،

(1) حمادي السايح، نفسه، ص 34.
(2) حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 35.

وكذلك اشتغل في دوان الخليفة واعتزل العمل لمدة قصيرة[1].

5: مؤلفات البيروني:

يصنف أبا الريحان البيروني من العلماء الذين صنعوا ثورة علمية في العصر القديم والوسيط في ما وراء النهر أسيا الصغرى عامة و خوارزم كاث خاصة، فهذا الرجل العالم ساهم في تطوير العلوم وازدهارها خلال القرن الثالث والرابع هجري، فكان فيلسوفاً ومؤرخاً وجغرافياً ولغوياً ورياضياً وفلكياً وشاعراً وعالماً وطبيعياً، حتى استطاع أن يخلف إنتاج علمي حضاري ضخماً من طلبة ومؤلفات .

1.5: الآثار الباقية عن القرون الخالية:

هذا الكتاب من إنتاج الفكري للشيخ البيروني العالم الفذ الذي يتحدث فيه عن التقاويم الشعوب الماضية، فهذا الكتاب الذي اهتداه إلى أمير جرجان المسمى شمس المعالي، حيث اعتمد فيه على النقد العلمي الموضوعي والتحليل والمقارنة الوصفية لحقب تاريخية مختلفة[2]، التي حققها المستشرق سخاو ونشرها في ليبزج سنة 1878م[3].

2.5: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة:

يعتبر هذا التأليف محتوى شامل للثقافة الهندية القديمة من تاريخ وجغرافيا ودين وعادات وطقوس ومعتقداتهم وتقاليد وأدب وفلك وقوانين وفلسفة وكانوا يجهلون اللغة السائدة وهي السنسكريتية[4] لذلك قال: « ونرى فيما قصصناه كفاية لمن أراد مداخلة الهند فخاطبهم في المطالب بحقيقة ما هم عليه، فلنقطع الكلام الذي أملَّ بطوله وعرضه. ونستغفر الله في الحكايات إلا عن حق، ونستوقفه للاعتصام

(1) زهير الكتبي، محمد بن أحمد البيروني، د ج، د ط، المرجع السابق، ص 35 .
(2) زهير الكتبي، نفسه، ص 36 .
(3) د. دكتور أحمد سعيد الدمرداش، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، المرجع السابق، ص 12 .
(4) د. دكتور أحمد سعيد الدمرداش، نفسه، ص 10 .

بما يرضيه، ونسترشده إلى الوقوف على الباطل لنتقّيه، إنَّ الخير من عنده، وهو الرؤوف بعبيده، الحمد لله ربي العالمين وصلواته على النبي محمد وآله أجمعين».

الذي وصف بالوصف الجميل أن لا مثيل له في الأدب والعلم القديم بنضرة الفيلسوف والرياضي، والذي حبذه جل العلماء ووصفهم له بعالم عصره[1].

3.5: الجماهير في معرفة الجواهر:

هذا من تأليف البيروني الذي قدمه إلى (أبي الفتح مودود) سنة 439ه، الذي تحدث فيه عن «الجواهر في عهده ويعرض لمعادنها وخواصها والغريب منها ولما ورد في أشعار العرب عنها»، وكذلك ذكر فيه منع الغش مثل الغلو في غش الذهب والفضة من حيث المعدن والاعتبار الذي كان في عهد الأمويين والعباسيين إشارة للفتح الإسلامي[2].

4.5: كتاب الصيدنة (الصيدلة):

يعتبر كتاب الصيدنة أخر مؤلفاته قبل وفاته « نشره ماكس مايرهوف من مخطوطة فريدة بمدينة بروسة بتركيا « وكل المعلومات التي كانت به علمها بعض الجغرافيين المتأخرين مثل: ياقوت الحموى وأبي الفدى والمقريزي والخوارزمي والرازي[3]، مثل مقال حكيم محمد سعيد: بحثت عنه حتى علمت أن توجد أربع مخطوطات في العلم كله، وأماكنهم في طهران والقاهرة وإسطنبول وموسكو، حتى أن تحصلت على ثلاثة نسخ فقط، مما جاء فيهم مفردات الأدوية والأعشاب والعقاقير حتى أن يعتبر موسوعة الطبية الصيدلانية والنباتية، وذا الكتاب له أهمية تاريخية أثرية كبيرة الذي افادنا كثيراً من الجانب العلمي « العقاقير وأدبياتها عند

(1) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة، المصدر السابق، ص 05 .
(2) د. رياض حمودة حاج ياسين، أبو الريحان البيروني ونظرته إلى التاريخ، محاضرة غير متفرغ – جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا، جامعة بنها، مجلة كلية الأدب، سنة يناير 2015 ، ص 459 . .
(3) د. دكتور أحمد سعيد الدمرداش، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، المرجع السابق، ص 10 .

الأمـم المختلفـة» [1].

5.5: القانون المسعودي:

مـن بيـن المؤلفـات التـي أنتجهـا البيـروني سـنة 421ه، التـي قدمهـا للسـلطان مسعود الغزنـوي، الـذي تحـدث فيه الهيئـة والنجوم والفلـك فقدم فيه 12 بابـاً «موجزاً لعلـم الفلـك كلـه مـع حسـاب التوقيـت وحسـاب المثلثـات والرياضيـات والجغرافيـاَ والتنجيـم، ويسـتند إلـى الأثـار السـابقة كمـا يعتمـد أيضـاً على أرصـاد جديـدة»[2]، مـن اهتمامـه الكبيـر بالأرصـاد الفلكيـة والجغرافيـا حـدد الأماكـن ومسـافات المسـاكن مثـل مـا بيـن بغـداد والرقـة في الأطـوال وكذلـك مـا بيـن شيـراز وبيـن زرنـج[3].

6.5: كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم:

فهـذا الكتـاب عنوانـه ليـس لـه علاقـة بموضوعـه، فعنوانـه يتحـدث عـن التنجيـم، وإذا عدنـا إلـى محتـواه نجـده يتحـدث عـن التنجيـم وأسـئلة وأجوبـة التـي تتحـدث عـن المصطلحـات الهندسـة والحسـاب والفلـك والجغرافيـا وحسـاب الأوقـات ووصفـاً للأجهـزة الفلكيـة الـذي قدمه إلى السـيدة ريحانة بنت الحسـن الخوارزمية سـنة 421هـ[4]، فـكان البيـروني معارضـاً فيـه للفكـر العلمـي المتواتر مع أرسـطو الـذي أوضحه في الأسـئلة والأجوبـة التـي كانـت بينـه وبيـن غبـن سـينا لذلـك سـار إلـى مناهـج الأرسطاطاليسـية [5].

7.5: تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن:

يـدور حـول تحديـد العروض الجغرافيـا والاختلافات في تحديد أطـوال المواضيع وقـد تـم وضعـه في عـام 416هـ، على مـا ورد في المخطوطـة الفريـدة التي يضن أنـه كتبها

(1) د. رياض حمودة حاج ياسين، أبو الريحان البيروني ونظرته إلى التاريخ، محاضرة غير متفرغ – جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا، جامعة بنها، مجلة كلية الأدب، سنة يناير 2015، ص 458 .
(2) زهير الكتبي، محمد بن أحمد البيروني، د ج، د ط، المصدر السابق، ص 39 .
(3) د. دكتور أحمد سعيد الدمرداش، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، المرجع السابق، ص 10 .
(4) زهير الكتبي، محمد بن أحمد البيروني، د ج، د ط، المصدر السابق، ص 35 .
(5) د. دكتور أحمد سعيد الدمرداش، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، المرجع السابق، ص 11 .

بخط يده والتي ما زالت محفوظة في مكتبة فاتح بإسطنبول تحت رقم 3386 [1].

8.5: ترجمة كتاب باتنجالي في الخلاصة من الارتباك:

تحدث عنه البيروني في تأليفه تحقيق ما للهند «وكنت نقلت إلى العربي كتابين أحدهما في المبادئ وصفة الموجودات، واسمه (سانك) و الآخر في تخليص النفس من رباط البدن ويعرف (بياتنجل) وفيهما أكثر الأصول التي عليها مدار اعتقادهم دون فرع شرائعهم (أي الهنود)، وأرجو أنَّ هذا ينوب عنها وعن غيرهما في التقرير ويؤدي إلى الإحاطة بالمطلوب بمشيئة الله»[2].

الموضوع	عدد المؤلفات	المؤلفات الكبرى	المؤلفات الموجودة	المؤلفات المطبوعة
علم الفلك	35	08	04	03
الإسطرلاب	04	00	02	00
التنجيم	23	01	03	02
علم المواقيت (كرونولوجيا)	05	01	01	01
قياس الزمان	02	00	00	01
الجغرافيا	09	01	01	01
علم الأماكن والجيودوسيا ورسم الخرائط	10	00	01	01
الحساب	08	00	01	01
الهندسة	05	00	01	01
المثلثات	02	00	01	01
علم الحيل	02	00	01	00
الصيدنة	02	01	01	01

(1) حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 40 .
(2) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة، المصدر السابق، ص 16 .

علم الأرصاد الجوية	01	00	00	00
علم المعادن والجواهر	02	00	01	01
التاريخ	04	00	00	00
كتب الهند	02	01	00	01
الدين والفلسفة	03	00	01	01
الأدب	16	00	00	00
السحر	02	00	01	00
مؤلفات غير مبيضة	09	01	01	01
المجموع	146	14	22	13

يبين لنا هذا الجدول أن يوجد لي أبا الريحان البيروني 22 كتاباً « أما الكتب التي تعد المصدر الرئيسي لإدراك منجزات علمية هي 17 كتاباً[1].

9.5: منـــــها:

01 – الأثار الباقية عن القرون الخالية .

02 – تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة .

03 – مقالة استخراج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحني فيها .

04 – الجماهير في معرفة الجواهر .

05 – الرسالة المتفرقة في الهيئة .

06 – الصيدنة في الطب .

07 – القانون المسعودي .

08 – استيعاب الوجوه الممكنة في صناعة الأصطرلاب .

(1) د. دكتور أحمد سعيد الدمرداش، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، المرجع السابق، ص 30 .

09 – رسالة في فهرست كتاب محمد بن زكريا الرازي .

10 – مقالة في النسب التي بين الفلزات والجواهر في الحجم .

11 – غرة الزيجات .

12 – ترجمة كتاب باتنجالي في الخلاص من الارتباك .

13 – حكاية الآلة المسماة السدس الفخري .

14 – إفراد المقال في أمر الضلال .

15 – التفهيم لأوائل صناعة التنجيم .

16 – تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن .

17 – تمهيد المستقر في تحقيق معنى الممر[1].

❊ ❊ ❊

(1) حمادي السايح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، المرجع السابق، ص 43 .

6: قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

03 – أحمد سعيد الدمرداش، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، سلسلة أعلام الإسلام(2)، د ط، د ج، دار المعارف، 1119 كورنيش النبل، القاهرة ج . م . ع، 1980 .

07 – البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة، د ج، ط 02، عالم الكتب، بيروت، 1983م.

02 – البيروني، الأثار الباقية، القسم الألماني، دار صادر، بيروت .

05 – المسعودي، القانون المسعودي، دت.

04 – زهير الكتبي، محمد بن أحمد البيروني، د ج، د ط، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 1992م.

006 – عفاف صبرة، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسات سياسية حضارية، الدكتورة نجوى كيرة،ط1، د ج، الناشر زهراء الشرق، 116 شارع محمد فريد، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 2009م .

08 – محمود عودة، تاريخ علم الاجتماع، د ط، ج 1، مرحلة الرواد، دار النهضة للطباعة والنشر بيروت.

الأطروحات:

1 – السايح حمادي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة بعنوان الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، إشراف الدكتور بوكرلدة زواوي، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 20012 / 2013 م.

المقالات:

1 – رياض حمودة حاج ياسين، أبو الريحان البيروني ونظرته إلى التاريخ، محاضرة غير متفرغ – جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا، جامعة بنها، مجلة كلية الأدب، يناير 2015.

06 – عفاف صبرة، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسات سياسية حضارية، الدكتورة نجوى كيرة،ط1، د ج، الناشر زهراء الشرق، 116 شارع محمد فريد، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 2009م .

08 – محمود عودة، تاريخ علم الاجتماع، د ط، ج 1، مرحلة الرواد، دار النهضة للطباعة والنشر بيروت.

❊ ❊ ❊

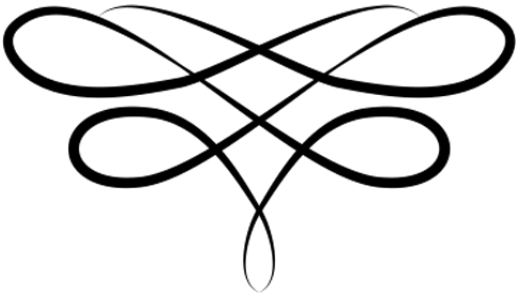

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

دور السلطان التيموري «شاهرخ» في تطوير الحياة العلمية والفنية بعاصمة ملكه مدينة هراة (807-850هـ/ 1405-1447م)

The role of the Timurid Sultan «Shahrakh" in the development of scientific and artistic life in the capital of his kingdom, the city of Herat(807-850 AH/1405-1447 AD)

أحمد جلايلي[1]* جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، djellailiahmed@univ-adrar.edu.dz

وفاء بوغرارة [2]* جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، boughrara@univ-adrar.edu.dz

* أحمد جلايلي: djellailiahmed@univ-adrar.edu.dz

* وفاء بوغرارة: boughrara@univ-adrar.edu.dz

الملخص:

يدرس المقال الذي بين أيديكم الدور الذي قام به السلطان التيموري «شاهرخ» (807-850هـ/ 1405-1447م)، في النهوض بمدينة «هراة» التاريخية، التي عرفت التخريب من قبل مغول جنكيزخان، فحولها إلى عاصمة لدولته، ورمم أصوارها، وأولاها رعاية خاصة، فأنجز بها العديد من المراكز الحضارية، أهمها: المدارس العلمية، والمساجد، والمنتزهات، ومن أروع ما أنجز فيها تلك المدرسة المتخصصة في الفنون الجميلة، قدمت أروع الأعمال الفنية في بلاد ما وراء النهر، وأنجبت أشهر الرسامين والفنانين المبدعين، وقد واصلت العطاء من بعده في عصر السلطان «بايسنقر»، حتى أصبحت تهيمن على الساحة الفنية في وسط آسيا في العصر الوسيط.

ومن خلال المصادر والمراجع القليلة التي عدت إليها، توصلت إلى عدة

نتائج مهمة، منها: أن السلطان «شاهرخ» يعتبر من أفضل سلاطين الدولة التيمورية، فقد اتصف بصفات حميدة، كالتدين والكرم، وحب العلم، خصص جل وقته لرعاية العلوم والفنون، وعمل على جلب المشتغلين بها إلى عاصمته «هراة» من جميع البلدان والمناطق، لذلك شهدت المدينة ازدهارًا ملحوظا في عصره، فبرزت في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، مدرسة فنية متميزة مستقلة عن سائر المدارس الأخرى، أنجبت العديد من العلماء والفنانين، وعلى رأسهم: «مير علي شيرنوائي» و«كمال الدين بهزاد»، اللذين أنتجا أعمالا فنية رائعة، كمعراجنامه، التي جسدت بالصور عروج الرسول ﷺ إلى السماء السابعة. وقد تأثر الفنان الجزائري «عمر راسم» كثيراً بهذه المدرسة.

الكلمات المفتاحية: شاهرخ؛ السلطان؛ مدينة هراة؛ الفن؛ الدولة التيمورية؛ بلاد ما وراء النهر؛ المغول؛ وسط آسيا؛ علي شيرنوائي؛ بهزاد.

ABSTRACT:The article before you examines the role played by the Timurid Sultan Shahrukh (807-850 AH / 1405-1447 AD) in the rise of the historical city of Herat, which was known to be vandalized before him. It has many cultural centers, the most important of which are: scientific schools, mosques, and parks, and one of the most wonderful achievements in this school is that specialized in fine arts. Sultan Baysinger, until it came to dominate the art scene in Central Asia in the Middle Ages.

Through the few sources and references to which I returned, I reached several important conclusions, including: Sultan Shahrukh is considered one of the best sultans of the Timurid state. He was characterized by benign qualities, such as piety, generosity, and love of science. Those working in it moved to its capital, Herat, from all countries and regions. Therefore, the city witnessed a remarkable prosperity in its time. It emerged in the middle of the ninth century AH / fifteenth century AD, an independent artistic school that distinguished from all other schools, which gave

birth to many scholars and artists, on top of them: Mir Ali Shernawi and Kamal al-Din Behzad produced wonderful works of art, such as the Maraajnameh, which embodied in pictures the ascension of the Messenger, may God bless him and grant him peace, to the seventh heaven. The Algerian artist "Omar Rasim" was greatly influenced by this school.

Keywords: starch; the sultan; the city of Herat; the art ; Timurid state; Transoxiana; the Mughals; Central Asia; Ali Shernawi; Behzad

1: مقدمة:

لقد ترسخ في ذهن الكثير من الناس أنّ المغول مجرد أقوام همج، قاموا بتهديم العديد من المنجزات الحضارية في المناطق التي احتلوها أو مروا عبرها، وقد يخفى على الكثير أنهم أسهموا بقسط وافر في الحضارة الإنسانية، من خلال المنجزات التي شيدوها، ومن خلال هذه المقالة العلمية، نحاول إعطاء فكرة على تطور مدينة «هراة» في عصر حكم السلطان التيموري المغولي «شاهرخ»، الذي عمل على الرقي

بالمدينة لتصبح تنافس أكبر المدن الآسيوية في وقته.

لذلك عملت على طرح الإشكال التالي: كيف استطاع السلطان «شاهرخ» بعث بمدينة «هراة» من جديد إلى الواجهة السياسية، بعدما كان تعاني التهميش والنسيان لوقت طويل مما طالها من تخريب على يد المغول الأوائل بزعامة جنكيزخان ؟ وقد عملت إلى الإجابة عن الإشكال من خلال: التعريف بالسلطان «شاهرخ»، وكيفية وصوله إلى عرش السلطنة، ثم أعطيت لمحة تاريخية عن مدينة «هراة» قبل حكم السلطان، بعدها عرجت على ذكر المنجزات الحضارية التي قام بها السلطان «شاهرخ» بهراة في فترة حكمه، كتعزيز سورها وترميم قلعتها، وكذا بناء العديد من المدارس والمكتبات والمساجد، ومن أهم تلك المنجزات

«دار الطراز»، المتخصصة في صناعة كساء الكعبة المشرفة.

2: طريق «شاهرخ» إلى عرش الدولة التيمورية:

كان للسلطان المغولي تيمورلنك[1] (771-808هـ/ 1370-1405م) أربعة أبناء، هم على التوالي: الأمير «غياث الدين جهانكير»، وقد مات في أوائل بروز أبيه بسمرقند، والثاني هو الأمير «معز الدين عمر شيخ»، الذي فوض له والده حُكم فارس، وقد مات أيضاً في حياة والده، إذ قتل في سنة 796هـ/ 1393م بالعراق على بعد مسافة من مدينة بغداد، أما الولد الثالث هو الأمير «جلال الدين ميرانشاه»، الذي حكم كل من أذربيجان والعراق وإقليم الجزيرة، وأصيب في أواخر حياته باختلال في عقله، مع ذلك استمر يحكم بعد وفاة والده حتى سنة 810هـ/ 1407م، وبعدها قتله «قرا يوسف التركماني»، أما الولد الرابع هو الأمير «معين الدين شاهرخ» ميرزا، الذي يعد أفضل وأشهر أولاد تيمورلنك الأربعة، وهو الذي جلس بعد وفاة والده على عرش الدولة[2].

ولد «شاه رخ» في ربيع الثاني سنة 779هـ/ 20 أغسطس 1377م، وسمي بذلك الاسم لأنه حين كان والده «تيمورلنك» يلعب الشطرنج بُشر بغلام فكان في يده قطعة الملك «شاه» من اللعبة، وقطعة القلعة «رخ»، فسماه بذلك الاسم نسبة إلى قطعتين من لعبة الشطرنج، ويعد «شاه رخ» أحد أفضل السلاطين الذين تقلدوا حكم الدولة التيمورية، حكم من سنة 850هـ/ 1405م إلى سنة

(1) اسمه تيمور بتاء مثناة مكسورة فوق، وياء ساكنة مثناة تحت، وواو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة، وقالوا تارة تمور وأخرى تمرلنك، ومعناه بالتركية الحديد، وهو ابن ترغاي بن أبغاي، وتعتبر قرية خواجة إيلغار هي مسقط رأسه، وتتواجد هذه القرية في أعمال الكش الواقعة ببلاد ما وراء النهر، تبعد عن مدينة سمرقند بحوالي ثلاثة عشر شهرا، وكان تيمورلنك وواده ينتمون إلى طبقة الفدادين (الفلاحين)، وقي ان والده كان إسكافيا فقيرا. (ينظر، ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008م، ص ص، 02 - 03.).

(2) عباس أقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205هـ/ 860م - 1343هـ/ 1925م)، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص. 611.

851هـ/ 1447م[1].

لم يكن وصول «شاهرخ» إلى عرش السلطنة سهلا، فقد احتدمت الحرب بينه وبين أخاه «ميرانشاه» وأحفاده الكثيرين، واستولى كل طرف بالتدريج على أجزاء من أملاك أخويهما، وتأسست من الأراضي التيمورية الواسعة دولتان كبيرتان، إحداهما دولة «ميرانشاه»، وابنيه: «أبو بكر» و»محمد عمر»، في كل من: إيران الغربية، والعراق، وإقليم الجزيرة، وأران، والكرج، وأرمينية، أما الدولة الثانية فأسسها «شاهرخ» في كل من: خراسان[2]، وهراة، وما وراء النهر[3]، وبعد مدة زالت دولة «ميرانشاه»، لسوء تصرفه، وضغط «آل جلاير «و»تراكمة القراقويونلو»، في حين أنّ دولة «شاهرخ» دامت فترات طويلة، نتيجة لكفاءته، وخبرته، وحسن تدبيره، وأصبح بلاطه وبلاط أبنائه من أفضل مراكز العلم والأدب والفنون[4].

والواقع أنّ أمراء البيت المالك وأمراء الجيش الذين كانوا يتسابقون لتنفيذ أوامر تيمورلنك وهو حي هم أول من رفع راية المخالفة والاعتراف بأي شخص تسلط على العرش، مبتدئين بالحرب لتقاسم التركة التي خلفها سيدهم، فقد فسح غياب وريث العرش «بير محمد» و»شاهرخ» عن سمرقند في أثناء وفاة تيمور المجال على مصرعيه لـ»خليل ميرزا بن ميرانشاه» بن تيمور، وكان شاباً في

(1) رأفت النبراوي: نقود شاه رخ (808 – 850هـ/ 1405 – 1446م) ضرب خوارزم، مقال بمجلة العمارة والفنون والعلوم الانسانية، المجلد الخامس، العدد العشرون، الجمعية العربية للحضارة والفنون الاسلامية، د.م.ن، 2019م، ص. 730.

(2) – هي ولاية واسعة، بدأ من العراق وبالضبط من قصبتي جوين وبيهق وتنتهي عند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان بحدود الهند وأفغانستان، وتشمل على أمهات المدن كا: نيسابور وهراة ومرو عاصمة الولاية، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس..(ينظر، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، مج.2، دار صادر، بيروت – لبنان، 1397هـ/ 1977م، ص.350)

(3) – يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان بشرقه يقال له بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربه فهو خراسان وولاية خوارزم، وليس بما وراء النهر موضع يخلو من مدينة أو قرى.(ينظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.5، ص ص، 45 – 46.).

(4) – عباس أقبال، المرجع السابق، ص. 612.

21 من عمره، أن ينطلق من مدينة طشقند[1] إلى العاصمة سمرقند[2]، ويستولي على عرش جده، بعدما اشترى بالمال ذمم المكلفين بتنفيذ وصيته، مع ذلك لم تستقم أحوال «خليل» لكونه لم يكن السلطان يُمسك بخيوط توازن الإمبراطورية الواسعة، إذ سرعان ما بدأت حركة التمردات ضده، عاشت خلالها بلاد ما وراء النهر الكثير من الحروب انتهت بجلوس «شاهرخ» على عرش سمرقند[3]. واستمر السلطان «شاهرخ» يحكم حتى قضى نحبه في 25 من شهر ذي الحجة 850هـ/ 12 مارس 1447م، بمدينة الري، دون أن يُمهله الأجل لكي يسحق تمرد

(1) هي مدينة تقع على مسافة حوالى 500 كلم شمال شرق مدينة سمرقند عاصمة تريمورلنك، على نهر شارشيك، طولها حوالى 20 كلم ويحيط بها السور، وكان العرب في القرن 1هـ/ 7م يسمونها الشاش، وهي اليوم عاصمة جمهورية أوزبكستان. (ينظر، عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، 1421هـ/ 2000م، ص. 330.).

(2) سَمَرْقَنْدُ: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سُمْران، قيل أن ذي القرنين هو الذي شيدها بما وراء النهر، وقيل بناها «شمر أبو كرب» فسميت «شمر – كنت» ولما عربت فقيل سمرقند، وقيل أن سمرقند من بناء الإسكندر؛ يقال أن تبع الأكبر هو من بدأ بناءه وأكملها ذو القرنين. ويقول شمس الدين الأنصاري: أن أول من خربها هو ملك الحيرة شمربرعش، ثم عمرها لإسكندر المقدوني؛ أما السفير الإسباني كلافيجو فله رأي أخر عن معنى اسم سمرقند، حيث ذكر بأنها تعتبر من المدن الزاهرة والثرية جداً، فهي تتوفر على أراضي خصبة ولهذا السبب حملت اسم سمرقند، وكان يكتب «سيمز –كند» (Semiz –Kent)، وهما كلمتان تعنيان «المدينة الغنية»، لأن «سميز» بالتركية تعني السمين أو الغني، ومعنى «كنت» مدينة أو البلدة، ومع مرور الأيام لحق هاتان الكلمتان التصحيف فأصبحا كلمة واحدة وهي «سمرقند»، وتعتبر مدينة سمرقند عاصمة الصغد، وهي مبنية علي ضفة النهر، وهي مدينة جميلة جدا؛ بها مباني كثير وقصور جميلة وحمامات وفنادق كثيرة تعتبر شوارعها من أوسع شوارع مدن بلاد ما وراء النهر، وهي كثيرة البساتين والأشجار والمياه (ينظر، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج.3، ص ص، 246 – 247؛ القلقشندى: الصبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1332هـ/ 1914م، ج4، ص ص،437،435؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق: روبيناتشي وآخرون، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مج.1، ص ص، 497، 498؛ شمس الدين الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة ليدن، 1928م، ص 222؛ غونزالس كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ترجمة سهيل زكار، التنوين للتأليف والرجمة والنشر، دمشق –سوريا، 2008م، ص ص. 313 – 314.).

(3) علاء محمود قداوي: الدولة التيمورية بعد تيمورلنك 807 – 906هـ/ 1405 –1500م (دراسة سياسية)، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 22، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، 1420هـ/ 1999م، ص. 362 – 363.

حفيده «محمد»، الذي انتزع منه السلطة على اقليم فارس منذ عام[1].

يعتبر «شاهرخ» أحد أفضل السلاطين الذين حكموا الدولة التيمورية في إيران، فقد اتصف فوق تدينه وتقواه وعدالته ومسالمته، بالكرم وحب العلم وطلبه للأدب، فكان ينظم الشعر ويَخطه بيده بخط حسن، ويُشجيع الفُنون بشتى أنواعها، وكذا الاهتمام بالتشييد والتعمير، فقد رمم الكثير من الخرائب التي هدمها ولده تيمورلنك[2]. كمرو وهراة التي اتخذها عاصمة له بدلًا من سمرقند، وأحكم قبضته على بلاد ما وراء النهر وعمل على تعزيز حكمه بأقاليم الامبراطورية[3].

3: مدينة هراة عاصمة السلطان «شاهرخ»:

تقع مدينةُ هَرَاةَ على بُعد خمس مئة ميل، جنوب غرب مدينة سمرقند، وبالضبط إلى اليمين من طريق سمرقند باتجاه بلاد الهند[4]، وهي اليوم تعد ثالث المدن الأفغانية بعد العاصمة كابل ومدينة قندهار، وهراة كلمة فارسية معربة معناها حسن الحظ[5]، وقد رسم ياقوت الحموي شكلها كما يلي: «هَرَاةُ: بالفتح، وهي مدينة كبيرة مشهورة من أمهات مدن خراسان»[6]، وعُرفت المدينة بعدة أسماء منها: «جاويد هرات باستان»، و«آري» أو «آره آريا» نسبة إلى القبائل الآرية التي سكنت المنطقة، كما عُرفت باسم «الكسندريا أريانه»، وعُرفت بـ «إسكندرية

(1) بوريبوي أحمدوف وزاهد الله منوروف: العرب والإسلام في أوزبكستان تاريخ آسيا الوسطى من أسام الأسر الحاكمة حتى اليوم، مراجعة نعمت الله ابراهيموف، ط.2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت –لبنان، 1999م، ص. 251.

(2) عباس أقبال، المرجع السابق، ص. 612 – 615.

(3) علاء محمود قداوي، المرجع السابق، ص. 364.

(4) كلافيجو، المصدر السابق، ص. 204.

(5) محمد أحمد محمد قمر: خطط مدينة هراة الأفغانية في العصر الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة التيمورية (دراسة تاريخية)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 62، العدد 06، كلية الآداب، جامعة المنيا –مصر، خريف 2006م، ص. 1079.

(6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.5، ص. 396.

آسيا»، وهناك من أطلق عليها اسم «هرى» أو «هرا»(Harra)، والاسم الشائع لها هو «هراة» أو «هرات»[1].

والمدينة تقع على أحد أهمّ الطرق التجارية في وسط آسيا وأكثرها ازدهاراً في الجانب التجاري، فهي منذ القديم عُرفت بكونها مهد الحضارة والثروات[2]. أما مقوماتها الاقتصادية فعلى حد قول ياقوت الحموي: «فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة»[3]. ويتدفّق نهر هراة من أعالي جبال هندكوش من قلب أفغانستان، لينحرف من أمام مساجد المدينة باتجاه الغرب، قبل أن يتّجه شمالاً وتغور مياهه تدريجيًا في رمال صحراء «قره قوم»، وتمتدّ شرق المدينة سلاسل جبال غرب أفغانستان اليوم التي تعتبر امتداد لجبال هندوكوش، لتُشكّل حاجزاً طبيعيًا يصعب اختراقه، وقد عكست تحصينات المدينة حينها، على أهميتها الاستراتيجية، فأسوارها امتّدت على مسافة تسعة آلاف خطوةٍ دائريةٍ، وتناثرت حول الأسوار حوالى 18 قرية، مكوّنة ضواحي المدينة، وتربعت القلعة الحصينة عند أعلى القمّة على مسافة فرسخين إلى الشمال[4]، وقد أشار القزويني إلى حصانة المدينة قائلا: «ما كان بخراسان مدينة أجل ولا أعمر، ولا أحصن ولا أكثر خيراً منها»[5].

وقد حوت أسواق هراة على أكثر من 12 ألف متجر، واشتهرت المدينة برواج صناعة الأنسجة الفخمة من الحرير، والمطرّزات والستائر والقطنيات، والأرائك، والعباءات، والسّجاد، وكانت أسواقها تكتظ بالحرفيّين الذين يُسوّقُون لبضائعهم وخاصة المعدنية منها، والأحجار الكريمة كـ: الياقوت، والفيروز،

(1) محمد أحمد محمد قمر، المرجع السابق، ص. 1082 -1083.
(2) جاستن مرّوذي: تيمورلنك قاهر الملوك والسلاطين وغازي العالم، ترجمة مايا إرسلان، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، 2011م، ص. 118.
(3) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج.5، ص. 396.
(4) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص، 118 -119.
(5) زكرياء بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص. 481.

والحجر اللآزوردي والذهب والفضة، وكذلك باعة الفواكه كـ: العنب والمشمش والرمان. وكان بهرات حوالى 6 آلاف من الحمامات الشعبية، و659 داراً للعلم، أمّا عدد سُكّانها فكان يزيد على 440 ألف نسمة في ذلك الوقت[1]. أخبرنا الرحالة المغربي ابن بطوطة أنهم: «أهل صلاح وعفاف وديانة، وهم على مذهب الامام أبي حنيفة –رضي الله عنه–، وبلدهم طاهر من الفساد»[2].

الطابع العام للمدينة كان إسلامي حيث يصادف نظرك عند الاقتراب منها العديد من المآذن المُشيّدة وسط سهول قاحلة[3]. كما احتوت المدينة على مدرستين مهمتين، وألهما المدرسة النظامية التي تنتسب إلى الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي الموفي سنة 485هـ، درس بها الإمام محمد بن يحي النيسابوري، توفي سنة 549هـ[4]، وتفقه فيها الشيخ نور الدين عبد الرحمن الجامي المتوفي سنة 898هـ/ 1492م، وقد استمرت المدرسة مدة طوية، حتى أواخر ق 9هـ/ 15م، تقوم بنشر العلم بالمدينة ونواحيها[5]، أما المدرسة الثانية فهي مدرسة الإمام فخر الدين الرازي، التي أُنشئت في النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12م، للإمام محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي البكري الصديقي المتوفي سنة 606هـ[6].

أصاب مدينة هراة عدة مأسي فلم تتعرض مدينة في التاريخ للغزو والتخريب مثلما تعرضت له هراة من توالي الكوارث عليها، ففي سنة 47هـ/ 667م ضمها

(1) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص ص، 119 –120.
(2) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مج.3، أكاديمية المملكة المغربية، المملكة المغربية، 1417هـ/ 1997م، ص. 44.
(3) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص. 118.
(4) منيرة ناجي سالم: الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري، الدار العربية للموسوعات، بيرت – لبنان، 1435هـ/ 2014م، ص ص، 134 –135.
(5) محمد أحمد محمد قمر، المرجع السابق، ص. 1143.
(6) منيرة ناجي سالم، المرجع السابق، ص ص، 134 –135.

المسلمون إليهم، ودخلها الإسلام وشهدت عصوراً مزدهرة، حيث بنيت فيها العديد من المساجد والمدارس الإسلامية التي عملت على تحقيق الحضارة الإسلامية ونشرها في بلاد ما وراء النهر[1]، وفي سنة 390هـ/ 1000م أصبحت من ضمن ممتلكات السلطان محمود الغزنوي (389-421هـ/ 999-1030م)[2]، وفي سنة 603هـ/ 1206م سقطت في يد السلطان الدولة الخوارزمية «خوارزم شاه»[3] الذي غزاها من الشمال، ولم تكد المدينة تستفيق من ذلك الهجوم حتى كان جنكيزخان[4] (549-623هـ/ 1155-1227م) بمقربة منها على رأس 80 ألف

(1) عبد الحكيم العفيفي، المرجع السابق، ص. 510.

(2) هو أبو القاسم محمود الابن الأكبر لسبكتكين، ولد بين ليلة 29 من شهر المحرم عام 361هـ/ 1 - 2 نوفمبر 971م، من أم هي ابنة أحد نبلاء زابلستان، تلقى علومه عن طريق معلم خصوصي، هو الوالد القاضي أبي علي صينية، اعتلى عرش الدولة الغزنوية في نهاية عام 389هـ/ 999م. (ينظر، محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي حياته وعصره، ترجمة: عبد الله سالم الزليتني، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، 2007م، ص ص. 57 - 65)

(3) اعتلى قطب الدين محمد عرش الدولة الخوارزمية بعد وفاه ولده «علاء الدين تكش خوارزم شاه في سنة 596هـ/ 1199م، واتخذ لنفسه لقب أبيه وتسمي «علاء الدين محمد»، وورث عنه دولة عريضة تضم كل من: إقليم خوارزم وبعض البلاد الخراسانية والري وغيرها من بلاد العراق العجمي، وقد أورث تكش لإبنه فوق ذلك عبئا كبيراً، تمثل في مواجهته أعداء كثر محيطين بدولته، على رأسهم الدولة الغورية الذي عمل جاهدا على الإطاحة بها. (ينظر، حافظ أحمد حمدى: الدّولة الخوارزميّة والمغول غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السِّياسية والدّينية والاقتصادية والثقافية، دار الفكر العربي، القاهرة -مصر، د.س.ن، ص. 33).

(4) ولد جنكيزخان في سنة 549هـ/ 1155م وتوفي 623هـ/ 1227م، يعود أصله إلى قبيلة «قيات»، واسمه الحقيقي تيموجين، وأمه من قبيلة قيات المغولية، اسم والده «يسوكاي بهادر» ابن برتان بهادر ابن ألان قوا، تمكن من إعادة أمجاد قبيلته قيات، وبسط سيطرته على قبيلة التانجوت، وضم إليه مناطق واسعة من شمالي صحراء جوبي التي تقطنها الكثير من القبائل التترية المتناحرة، وظل يؤلب القبائل الواحدة على الأخرى حتى بسط سيطرته على كل أقوام المغول في منغوليا والتبت وشرقي تركستان، وفي سنة 600هـ/ 1203م نصب إمبراطورا على كل المغول، وفي سنة 603هـ/ 1206م أضيف إليه لقب خان، الذي يعنى خان العالم، وكان عمره 44 سنة، وأصدر دستوره الشهير المسمي بـ الياسا أو الياسق (ينظر، القلقشندي، المصدر السابق، ج.4، ص. 305؛ بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص. 246؛ عبد المعطي عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ج.1، ص. 30 فما بعدها؛ Le BARON C.D'ohsson : Histoire des mongols depuis Tchinguiz -KHAN Timour BEY ou TAMERLAN LA HAYE ET AMSTERDAM LES FR2RES VAN CLEEF1834Tome 1 p39.).

جندي مغولي في سنة 618هـ/ 1221م، فجعلها قاعاً صفصفاً[1].

وفي سنة781هـ/ 1379م قام تيمورلنك بشن حملة عسكرية لضم المدينة، التي كانت تحت سلطة «غياث الدين بير»، وزحف بجيش كبير باتجاه الجنوب الغربي، ليلحق الهزيمة بمدينة «بوشنج»، التي شُيدت خصيصاً كحامية لمدينة هراة[2]، وورد في مذكرات تيمورلنك أنه باغت ملك هرات بالهجوم حيث قامت: «بالزحف بكل سرعة ولدى وصولي إلى هراة أخذت الملك غياث الدين وهو راقد في غفلته، مطمئن إلى أمانه، وكان عاجزاً عن فعل أي شيئ»[3]. فدب الرعب في قلب «غياث الدين» وتراجع بقوته خلف أسوار هراة، وحصر نفسه في القلعة، واعتقد أنه يكون له بذلك منعة، وذلك لركاكة رأيه وقلة عقله، فأصبحت المدينة تحت حصار جيش تيمورلنك، وفتحها بعد مدة (في عام 783هـ/ 1381م)، وهكذا أصبحت ثروات المدينة وكنوزها بحوزته[4].

وقد مَثُل ملك هراة المنهزم أمام تيمورلنك ومعه خزائنه التي كان يخفيها وجميع ثروات مملكته[5]، وقد اندهش السلطان تيمور لما احتوته مدينة هراة من كنوز ثمينة، كالنقود الفضية، والأحجار الكريمة الخام، والعروش الغنية، والتيجان المذهبة، والأقمشة المقصّبة المحاكة بخيوط الذهب والفضة، والأوعية الفضية، وقد حمل الجنود كل تلك الثروات النادرة معهم على ظهور الجمال، أما البوابة الملكية الحديدية المزخرفة بأعمال الحفر والكتابات فقد تم تقطيعها تسهيلاً لحملها إلى مدينة شهرسبز، وأثناء عملية ضم هراة تم أسر أهل العلم والفكر، ورجال الدين، والحرفيين وأهل الفن، والصناع، وأُرسلوا إلى العاصمة

(1) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص. 134.
(2) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص ص، 125 -126.
(3) تيمورلنك: مذكرات تيمورلنك، ترجمة سهيل زكار، التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق -سوريا، 2008م، ص ص، 39 - 40.
(4) ابن عرب شاه شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الأنصاري: عجائب المقدور في أخبار تيمور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، 2008م، ص. 11.
(5) مذكرات تيمورلنك، المصدر السابق، ص. 40.

سمرقند، ليتم استغالهم في أعمال التشييد بها[1].

4: منجزات السلطان «شاهرخ» وزوجته في مدينة هراة:

ازدهرت مدينة هراة في فترة حكم السلطان «شاهرخ» كثيراً، وأعاد ترميمها وتشييد الكثير من المباني التي خربها والده في أثناء حملته التي سيطر بها على المدينة، فأعاد لها الحياة من جديد، ويمكننا ذكر بعض المباني والمراكز المهمة التي شيدها السلطان وزوجته بالمدينة:

1.4: مجمع المصلى:

بنته «جوهر شاد» زوجة السلطان «شاهرخ» وذلك ضمن مجموعة من المنشآت المعمارية التي أقامتها في مدينة هراة[2]، يقع في قلب المدينة، ولا تزال آثاره إلى اليوم، وهي تشهد على التطور الحضاري في عصر السلطان «شاهرخ»، يقع المجمع جنوب قناة إنجل، ويتكون من مسجد وضريح، تم تشيدهما ما بين سنوات 819هـ/ 1417م و840هـ/ 1437م من قِبل زوجة السلطان الملكة «جوهر شاد» التي تعني بالمغولية «الجوهرة الفرحة»، وكان البناء قمة في فن العمارة التيمورية، فقد برز رائعاً بين الأشكال والألوان الممتزجة لتمجيد عظمة الخالق عز وجل، والاعتراف بفضل عبده المقتدر تيمور على وجه الأرض، يحتوي المسجد على أربع مآذن شاهقة ارتكزت على أعمدة جميلة مطلية باللّون الفيروزي، قارب علو كل منها 100 قدم، وهي ترتفع على عدد من المآذن الصغيرة الجانبية، وقد جمع المسجد إضافة إلى ضخامة الحجم، الذوق الهندسي الرفيع، وإتمام زخارفه ونقوش جدرانه، وربطت بين المآذن الأربع الرئيسية أربعة أروقة أو «الإيوان»، التي تطل على الساحة الرئيسية للمسجد، وقد زُينت بقطع المرمر، نُقشت عليها كتابات بالخط الكوفي العريض، وفوقها مثلثات برسم الأزهار

(1) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص. 127.
(2) محمد أحمد محمد قمر، المرجع السابق، ص. 1114.

الزرقاء ووريقات بلون العنبر الأخضر وأطرافها بالخزف الأبيض[1].

تظهر بجانب تلك المآذن قُبّة مضلّعة زرقاء ضخمة، تعلو ضريح الملكة «جوهر شاد» التي قُتلت في سنة 861هـ/ 1457م، وزين الضريح بقطع الآجر الأزرق الأملس، وقطع الموزاييك الزرقاء والبيضاء، صُفت ببراعة فائقة، حتى أصبحت الجدران تظهر وكأنها قطعة واحدة، وبساطة الشكل الخارجي لضريح الملكة تخفي غزارة التزيين من الداخل، فهي تفوق كل الوصف، إذ تتداخل رسوم الأزهار ونقوش من الكتابات باللّون الأبيض، وهي زخارف ثلاثية الأبعاد، حيث طُليت القناطر والقباب والمحاريب الكلسية بالألوان الترابية المعتّمة واللون الذهبي، والأزرق الباهت من الحجر اللازوردي المستخرج من المناجم بمدين بدخشان شمال أفغانستان[2].

2.4: بناء المدارس:

قام السلطان «شاهرخ» ميرزا بن تيمورلنك في عام 820هـ/ 1417م، ببناء مدرسة خاصة في مدينة هراة[3]. كما قامت زوجته «جوهر شاد» في عام 849هـ/ 1445م بتشييد مدرسة بـ»خرجرد»، وهي بالقرب من بوشنج التابعة لهراة، قام بتصميمها وتشييدها المهندس المعماري «قوام الدين الشيرازي»، وهي تتكون من فناء مربع مكشوف، تحيط به مبان من جميع الجهات، ويتوسط أضلاع الفناء (الصحن) أربع إيوانات بطابقين، أكبرها إيوان القبلة المغطى بقبة كبيرة، وتنفتح الممرات التي تؤدي إلى الحجرات وأماكن الدراسة، وتميز البناء بمدخل ضخم يقع على محور إيوان القبلة الرئيسي، ويتوسط المدخل عقد إيراني كبير مُدبب، وأُقيمت للمدرسة أربعة مآذن في الأركان، مئذنتان مستديرتان مقامتان فوق باب

(1) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص. 129.
(2) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص ص، 130 – 131.
(3) محمد أحمد محمد قمر، المرجع السابق، ص. 1144.

المدخل في الزاويتين، وإلى جنبها ردهة مقسمة إلى ثلاثة مربعات مقببة[1].

3.4: ترميم السلطان «شاهرخ» قلعة هراة:

من بين الأعمال التي قام بها السلطان «شاهرخ» هو إعطاء أمره بإصلاح وترميم قلعة المدينة المتربعة على تلة صغيرة شمال المدينة، وتحيط بالقلعة أسوار ضخمة مُدعّمة في زواياها بأبراج تتخللها فجوات تمكّن حاميتها من الدفاع عنها بسهامهم، وبالإمكان رؤية مشاهدة مدينة هرات بأكملها منبسطة أمام العين من فوق أسوار القلعة، وموقعها الشاهق يمنح مكان استراتيجي للقوات المدافعة عنها، مما يُصعب من مهمة أي جيش يريد اقتحامها، إلاّ بالاستسلام وفتح أبوابها من الداخل، وقد زُخرف البرج الشمالي-الغربي بكتابات كوفية قديمة، وقد زُين الجدار بقطع من الموزاييك والخزف، وكُتب فيها عبارة «المُلك لله»، بحروف خضراء وحمراء، كما أمر السلطان «شاهرخ» بنقش على بعض حجارة الآجر، أبيات من قصائد شعرية نظمها الشاعر حافظ أبرو خصيصا لتمجيد لمؤسس الأسرة التيمورية[2].

4.4: المكتبات:

بناها السلطان شاهرخ في إطار عملية تدعيمه للعوم والفنون، وعُرفت باسم «مكتبة السلطان»، وقد أولاها اهتمامه الخاص، بحيث كانت عامرة بالكتب المتنوعة، جمع فيها أنفس وأندر المؤلفات، وتعاون الوراقون والنساخ والمذهبون والمصورون والمجلدون في إنتاج مجموعة من أروع الكتب في ذلك الوقت، كما قامت زوجته «جوهر شاد» بتشييد مكتبه هي الأخرى بجوار المدرسة التي أقامتها بالمدينة[3]. كما ألحق السلطان «شاهرخ» بالمدرسة التي شيدها في عام 813هـ/ 1410م مكتبة، وعين على إدارتها وإدارة المدرسة

(1) نفسه، ص. 1146.
(2) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص ص، 132 – 133.
(3) محمد أحمد محمد قمر، المرجع السابق، ص. 1157 – 1158.

الخواجة «علاء الدين الخشني»، هذا بالإضافة إلى مكتبة المدرسة الغياثية في خواف، التي شيدها وزيره «غياث الدين بير أحمد»، وكانت من بين المكتبات الذائعة الصيت بهراة ونواحيها[1].

5.4: مزار قازرقاه:

هو مجمع ومزار بناه شاهرخ في القرن 09هـ/ 15م على بعد أميال شرق مدينة هراة، فعند الوصول إليه تقابلك بوابة ضخمة مرتفعة جداً يمكن مشاهدتها من هراة، تم تزينها بزخارف بديعة من تصميم المهندس الفارسي «قوام الدين الشيرازي»، توجد داخل حرم المزار مئات من شواهد القبور، يبدو أنها للأسرة الحاكمة، زخرفت شواهدها بزخارف بديعة، وعلى بعد خُطوات وراء القبور انتصب عمود من الرخام الأبيض، بارتفاع حوالى 15 قدم، يدل على إتقان هندسي وحرفي فائقين، وعلى مقربته ضريح الأمير «دوست محمد»، ومزار «خواجة عبد الله الأنصاري»، الشاعر الصوفي والفيلسوف، جداره ثمانية أقدام، وبه إيوان أزرق لامع، وفي أعلاه برجين صغيرين، أما قطع الآجر التي تزيّنه فقد تساقطت الواحدة تلو الأخرى كأوراق الخريف[2].

6.4: ترميم المسجد وبناء خانقاه:

قام السلطان التيموري «شاهرخ» ميرزا بتزيين المسجد الجامع في هراة، إلاّ أنّ الترميم الكلي للمسجد كان زمن السلطان التيموري «حسين بيقرا»، بتوجيه من وزيره «علي شير نوائي» الذي كان يتابع المشروع مع العمال ويناول لهم الطابوق والحجارة[3]. كما بنى السلطان خانقاه للصوفية والأئمة ودخلت ضمن مشروعاته الحضارية في المدينة[4].

(1) نفسه، ص. 1159.
(2) جاستن مرّوذي، المرجع السابق، ص ص، 137 – 138.
(3) محمد أحمد محمد قمر، المرجع السابق، ص. 1113.
(4) نفسه، ص. 1156.

7.4: دار الطراز:

تعتبر دار الطراز من المعالم المعمارية الفريدة في مدينة هراة، وكانت تُعرف بـ «دار العبادة يزد»، وقد قامت بأعمال جليلة، من بينها خياطة وصناعة كساء الكعبة المشرفة، ففي سنة 848هـ/ 1444م نذر السلطان «شاهرخ» على نفسه كسوة الكعبة المشرفة إذا شفي من مرضه، وكان قد كساها من قبل في العام الذي ماضي 847هـ/ 1443م، فطرزت الكسوة بدار «العبادة يزد»، ثم حُملت إلى الحجاز، حيث ندب للقيام بهذا الأمر كلا من: الشيخ «نور الدين محمد المرشدي»، ومولانا الشيخ «شمس الدين محمد الأبهرى»[1].

5: مدرسة هراة الفنية:

1.5: وصف المدرسة:

إنّ الصحوة الفنية للتصوير التيموري بدت ملامحها القوية في عهد السلطان «شاهرخ»، واستمرت في عهد أحفاده: «بيسنقر»، و«إبراهيم سلطان»، و«إسكندر بن عمر شيخ»، فقد أصبح في هذا العصر وحدة قوية تمثل الروح الإيرانية، يصعب كشف العوامل الأجنبية فيها. كام أصبحت مدينة «هراة» عاصمة مزدهرة تجذب إليه الفنانين والمبدعين.

وكانت هراة في عصر «شاهرخ» مركز تجمع العلماء والأدباء والشعراء والخطاطين والرسامين، وأسّس بها مكتبة ضخمة وأمر بتأليف عدد من أفضل الكتب التاريخية الفارسية[2]، وليس هناك من شك أن «شاهرخ» جلب إلى المدينة المصورين والحرفيين والمذهبين المهرة الذين كانوا يعملون في بلاط

(1) نفسه، ص ص، 1169 – 1170.
(2) عباس أقبال، المرجع السابق، ص. 615.

والـده تيمورلنـك بمدينـة سـمرقند[1]. وأحـدث بهـم نهضـة في عاصمتـه.

تأسسـت بمدينـة «هـراة» في عهـد حُكـم السـلطان «شـاهرخ» مدرسـة خاصـة في فـن الرسـم والتصويـر، تمتـاز هـذه المدرسـة بطمـوح الفنانيـن فيهـا إلـى التطـور والتجديـد، وبظهـور بعـض المصوريـن مـن ذوي الذاتيـة الفنيـة والعبقريـة الخاصـة، وبالميـل إلـى دقـة تصويـر التفاصيـل في الرسـم وبغنـى الألـوان وانسـجامها واتزانهـا وكثـرة اسـتعمالها اللـون الذهبـي، وتغطيـة الأرضيـة بالحشـائش والزهـور والشـجيرات، وكـذي رسـم الـرؤوس الآدميـة والحيوانيـة في زخرفـة الفـراغ النباتيـة (arabesque)، علـى النحـو الـذي عـرف في الصـور المصغـرة الأرمنيـة[2].

أصبحـت هـراة في عهـد شـاهرخ مركـزا فنيـا هامـا، وذلـك لشـدة اهتمامـه بالفـن، حيـث قيـل عنـه أنـه أكثـر الملـوك حبـا لـلأدب والفنـون، وأشـدهم عطفـا علـى الفـن والفنانيـن، وأصحـاب الصناعـات والحـرف، وازداد الرخـاء في ظـل حكمـه الرشـيد، وعلـت مكانـة المهندسـين المعمارييـن والرسـامين والشـعراء والعلمـاء والموسـيقيين، وأصبحـت هـراة محـط أنظـار كبـار المصوريـن والفنانيـن، وميـدان عملهـم، فانتشـرت الحـركات الفنيـة والأدبيـة في عصـره[3].

ولتطويـر الفـن في مدينـة هـراة عقـد «شـاهرخ» علاقـات فنيـة بيـن إيـران وبـلاد الشـرق الأقصـى، ولـم تبلـغ تلـك العلاقـات مـن الـود في وقـت مـن الأوقـات مـا بلغتـه في عصـر هـذا الأخيـر، حيـث تبودلـت البعثـات، ولعـل ذلـك

(1) سلام نضيرة: الحياة الاجتماعية الإيرانية في العصر التيموري من خلال المخطوطات المصورة (771 – 912هـ/ 1370 – 1506م)، ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2006 – 2007م، ص. 34.

(2) بلبشير أمين: أثر فن المنمنمات الإيرانية في المنمنمات الجزائرية بهزاد ومحمد راسم نموذجا (دراسة فنية وأثرية)، ماجستير، إشراف معروف بلحاج، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2008 – 2009م، ص. 36؛ زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1940، ص 97.

(3) دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، ط2، تر: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، لبنان مصر، 1985، ص79.

يرجع إلى تغيير الأسرتين الحاكمتين، فكما انتهى حكم المغول في فارس في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر، انتهى أيضا في الصين حكم أسرة يوان المغولية (768-678هـ/ 1367-1280م) وخلفتها أسرة منج (1053-769هـ/ 1644-1368م).

ومما يلفت النظر أنّ «بيسنقر» ضُم إلى إحدى تلك البعثات التي سافرت إلى الصين حوالي سنة 823هـ/ 1420م، رفقة مصورا اسمه «غياث الدين»، كلفه بأن يصف كل ما يراه في طريقه، وقد نقل إلينا وصفه «كمال الدين عبد الرازق» في كتابه: «مطلع السعدين» الذي ترجمه إلى الفرنسية المستشرق «كترمير». وليس بعيدا أن يكون «غياث الدين» قد اصطحب معه في عودته بعض الفنانين الصينيين أو شيئا من صورهم[1].

ومهما يكن من شيء فقد كانت الصور والرسوم الصينية معروفة في الدولة التيمورية حق المعرفة، يقدرها الأمراء ورجال الفن ويلحون في طلبها، وقد كان لذلك تأثير كبير يَصْعُب علينا إيضاحه وكشفه، ولكننا نلمسه ونجزم بوجوده حين نرى الدقة التي وصلت إليها صناعة التصوير في مدرسة هراة في عهد «شاه رخ». على أنه قد وصل إلينا بعض صور نرى فيها العوامل الصينية والتيمورية جنبا لجنب، لم تختلط ولم تكون وحدة قوية كما كانت في المدارس التيمورية، وأوضح هذه الصور واحدة رسم فيها فرع شجرة وعليها عصفور، يكاد المرء يضنها من صناعة عصر أسرة منج(1053-769هـ/ 1644-1368م) في الصين، رُسم تحت تلك الصورة الحبيبين الإيرانيين «خسرو» و«شيرين» بملابس فارسية ووجهين صينيين، ويعجز مؤرخو الفن عن الجزم بأن صانع هذه الصور فارسي قلد الصناعة الصينية، أو صينيا قلد الصناعة الفارسية[2].

(1) نفسه، ص62.
(2) دونالد ولبر، المرجع السابق، ص63

ومن مميزات الصور المصغرة في مدرسة هراة، رسم الرؤوس الآدمية الحيوانية في زخرفة الفروع النباتية، على النحو الذي نعرفه في الصور المصغرة الأرمنية، التي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريين/ أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر[1].

2.5: إنتاج مدرسة هراة الفنية:

تمثل المخطوطة الموجودة في متحف الفنون الزخرفية في باريس، التي تصور وصول الأمير «همای» إلى بلاط إمبراطور الصين، من بين أهم الصور المنسوبة إلى مدرسة «هراة»، حيث يرجع تاريخها إلى سنة 834هـ/ 1430م، وفيها مزيج متناسق من رشاقة الصناعة الفارسية ومن جمال الفن الصيني في عصر مانج[2].

إضافة إلى هذه الصورة هناك عدة مخطوطات تنسب إلى هذه المدرسة من أهمها: «كليلة ودمنة» الذي صنع في سنة 834هـ/ 1430م وهو محفوظ الآن في مكتبة قصر «جلستان» بطهران[3]، ونسخة أخرى منه بمتحف توب كابي باستنبول[4]، تمتاز صور هذا المخطوط بإتقان تصوير الطبيعة وهضم العناصر الصينية التي اقتبسها الفنانون الإيرانيون التيموريون في هذا المجال[5].

يوجد نسخة من الشاهنامة تعود إلى سنة 834هـ/ 1430م المحفوظة في المتحف البريطاني، وشاهنامة أخرى دونت في سنة 835هـ/ 1440م، موجودة في المكتبة الآسيوية في لندن[6]. كما يوجد اثنتا عشر صورة مصغرة أخرى تشبه تلك الصورة الموجودة في متحف المتروبوليتان بنيويورك، وهي من الشاهنامة، ومن أبدع هذه الصور تلك التي تمثل «رستم» وهو يمسك بفرسه «رخش» وإلى

(1) نفسه، ص63.
(2) نفسه، ص44.
(3) بلبشير أمين، المرجع السابق، ص. 36.
(4) كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص. 158.
(5) بلبشير أمين، المرجع السابق، ص. 36.
(6) كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص. 158.

جانبيهما شجرتان مرسومتان على الطريقة الصينية، وتطير فوقهما إوزتان، وتمثل صورة أخرى لـ: «كيكاوس» يحاول الطيران في السماء بواسطة نسرين يربطهما عرشه، كما يوجد في متحف المترو بوليتان مخطوط آخر من «منظومات نظامي» الخمسة التي كتبت في سنة 853هـ/ 1449م، وفيه ثلاثون صورة تمتاز بألوانها الزاهية، وأكثر ما يلفت النظر فيها صورة «فرهاد» يحمل عشيقته «شيرين»[1].

من المخطوطات الهامة التي ترجع إلى مدرسة هراة كذلك، نسخة من مخطوط «معراجنامه» أو كتاب: «الأنبياء»، محفوظة في المكتبة الأهلية في باريس، كتبها الخطاط «ملك بخشي» للسلطان «شاهرخ» في مدينة هراة سنة 840هـ/ 1436م، وقد انتهى من نسخ هذا المخطوط في 21 ديسمبر 1436م، وكان العاهل التيموري شاه رخ قد أمر بتزويقها بالصور[2]. والراجح أن تكون هذه النسخة قد تم تزويقها في أحد المراسم الفنية التي أنشأها الأمير «بيسنقر» التيموري والذي كان قد توفي قبل إنجازها بثلاث سنوات.

يوجد في المخطوط نص مكتوب باللغة الإيغورية، مضاف إليها كتابات باللغة التركية والعربية والفارسية، ترافقه مجموعة من إحدى وستين منمنة، تصور رحلة الرسول ﷺ إلى السماء السابعة، ابتداء من منمنة يظهر فيها جبريل الذي ينبئه بأن الله دعاه للصعود إلى السماء، مرورا بمنمنمة البُراق ودخول القدس والمسجد الأقصى، ثم التقاءه بآدم وبالديك الأبيض والملاك، والتقاؤه بزكريا وابنه يحي بعد مروره بملك الموت وملاك الصلاة، ثم التقاؤه بالأنبياء، بعد ذلك نراه في منمنمة وهو يرفع إلى سدرة المنتهى، حيث يلتقي كبار الملائكة قبل أن يعبر طبقات الفردوس، ويطير البراق بالرسول ﷺ نحو جهنم حيث يجدها سوداء مظلمة، فيها نار لا تنطفئ وفي وسطها البخلاء والجاحدون والمستكبرون

(1) نفسه، ص45.
(2) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص.124.

والمادحون الكذبة، والزنات[1].

تُعد صور هذا المخطوط من أهم المنمنمات التي تصور الجنة والنار، وموضوعات البعث والحساب كما يتصورها الفكر الإسلامي من خلال قصة المعراج، إلاّ أنه يبدو أن «ملك بخشي» قد استلهم بطريق مباشر أو غير مباشر بعض الاتجاهات من فن الكتاب عند الأويغور، ليس فقط في استخدام اللغة والحروف الأويغورية، بل وفي استخدام بعض المفردات والمفاهيم الكونية، والأشكال التصويرية البوذية، والتي تبدو في كثير من الأحيان وكأنها نماذج منقولة عن أمثلة من التصوير الأويغوري[2].

استخدم مزوق هذا المخطوط نوعا من الهالات النورانية تشبه هالة اللهب أو الشعلة تحيط عادة بالنصف الأعلى للنبي ﷺ، وأحيانا بالجسم كله، كما تشاهد أيضا حول رؤوس بقية الأنبياء والرُسل، بل والملائكة مثل جبريل وميكائيل، وقد صور المخطوط رسوم لملائكة كبيرة ذات رؤوس متعددة، ومن أمثلتها صورة وصول النبي ﷺ إلى الملك الذي له سبعون رأسا، ويذكرنا هذا التجسيد بالرسوم الأويغورية التي وجدت في مدينة طرفان، التي تمثل بوذا القادم صاحب الرحمة اللامتناهية والمعروفة بصورة «أفالوكسيفارا» ذو الأحد عشر رأسا[3].

لقد بدأت مدرسة هراة منذ منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، تتميز عن سائر المدارس التيمورية وتفقد صلتها بها، حيث أصبحت لها ذاتية قوية من تأليف الصور ورسمها وتلوينها. وطبيعي أن بعض الفنانين لم يستطيعوا الانفصال تماما عن التقاليد الفنية الموروثة، بينما سار آخرون في ميدان التطور شوطا بعيدا.

(1) كلود عبيد: التصوير وتجلياته في التراث الإسلامي، المرجع السابق، ص. 159.
(2) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص. 125.
(3) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص ص، 125 – 126.

6: مدرسة هراة في عهد السلطان حسين ميرزا بيقرا:

ظهرت دولة الأوزبك في بلاد ما وراء النهر وقضت على دولة التيموريين في أواخر القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، ولكن حكم السلطان «حسين بيقرا» (912-873هـ/ 1506-1468م) استمر موجودا، وكان من أزهى العصور حضاريا، ويُعد حكمه من بين العصور الذهبية لمدينة هراة، في الأدب والفن، حيث كان هو ووزيره المصور «مير علي شيرنوائي» من أكبر رعاة التصوير في التاريخ الإيراني، وظهر في عصرهم المصور الشهير «بهزاد» صاحب مدرسة بهزاد في التصوير[1]. كما نبغ كثير من الكتاب والمؤلفين والخطاطين والمصورين والمذهبين، أمثال سلطان علي الكاتب، وكمال الدين، وياري المذهب.

ولد «كمال الدين بهزاد» في هراة حوالى عام 843هـ/ 1440م[2]، وبرز في عام 854هـ/ 1450م، أيام السلطان التيموري «حسين بيقرا»، وتوفي عن عمر طويل في سنة 939هـ/ 1533م أو 943هـ/ 1537م، ويوجد اختلاف حول مكان دفنه، منهم من قال: في مدينة هراة مسقط رأسه، أو في مدينة تبريز حيث قضى معظم عمره. تعلم النقش والتصوير على يد «روح الله ميرك نقاش»، و «سيد أحمد التبريزي»، ونعم برعاية السلطان «حسين بيقرا» ووزيره الشاعر والموسيقي والمصور «مير علي شير»، وهما من كبار رعاة فن التصوير في ذلك الوقت، وعمل بهزاد في هراة واستطاع بموهبته وإبداعه إقامة مدرسة فنية خاصة به تتميز عن سائر المدارس التيمورية، بلغ فيها التصوير درجة الكمال[3]، وكان فنه فريد في نوعه، حيث أبدع

(1) عبد اللطيف سلمان، تاريخ الفن والتصميم الفن الإسلامي ج2، ب ط، الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، ص -ص 43 - 44.

(2) René Grousset :Histoire de l' Asiepresses universitaire De Frans paris 1977 p.68.

(3) بلبشير أمين، المرجع السابق، ص ص، 40 -44.

صور رائعة كانت تحاكي ما أبدعته ريشة المصور الكبير ماني[1]، فعندما برز فنه طمست ذكرى أعمال غيره من المصورين، فقد فاقت صوره صور غيره من سائر الفنانين، وكانت ريشته تبعث الحياة في الجمادات[2].

عمل «بهزاد» زمن «الشاه إسماعيل الصفوي» كمدير لمكتبته ورئيسا لأمناء المكتبة والخطاطين والمصورين والمذهبين منذ عام 930هـ/ 1522م، وبفضل منصبه وعلّو مكانته أنهى «بهزاد» عهد تحكم الخطاط في حجم الصور وفي اختيار المواضيع المصورة، وتحديد المساحات التي يتركها بالمخطوطة كي يشغلها المصور، فأصبح ينتقي الموضوعات التي تروق له ويرسمها بالأحجام التي يراها مناسبة، في صفحة أو صفحتين متجاورتين، كما كان «بهزاد» أول المصورين المسلمين الذين وقّعوا أعمالهم فبرزت شخصيتّه في أعماله وذاع صيته وتعدى

(1) يعتبر ماني بن فاتك المؤسس للمعتقد المانوي، أصل أبوه من همذان، هاجر إلى بابل. وماني معناها بالفارسية «الفريد أو النادي»، أدعى ماني النبوة بعد أن أطلع على الأديان وسمى نفسه «فارقليط» وهو الاسم الذي أخبر عنه المسيح، وقد ولد ماني (216 – 274م)، من أسرة بارثية ملكية، وقضي شبابه في بلاد ما بين النهرين التي كانت تنصهر فيها الكثير من الأديان، وكانت أول رؤية له في سن الثامنة عشرة، وشرع في سن العشرين في إختراع دينه الجديد، وأعلن أنه جاء ليتمم عمل زرادشت وبوذا والمسيح، استطاع ماني أن يقنع عددا من القادة بالدخول في دينه كما إستطاع نيل حظوة بعض الملوك الساسانيين مثل: شابور الأول، وبهرام الأول، وقتل ماني على يد أتباع الزرادشتية، في مملكة بهرام بن سابور، ولما قتله صلبه نصفين، والديانة المانوية تؤمن بوجود إلهين إله الخير وإله الشر، وينقسم أعضاء الجماعة المانوية إلى طبقتين: «السماعيين» وهم الطبقة الدنيا الذين يجمعون الطعام والضروريات التي يحتاجها «الصفوة» (الطبقة العليا)، الذين يتبعون قواعد دينية أعلى، وقد زود ماني الدين الجديد بالطقوس والآداب الدينية، وحرم الأوثان، ولكنه كان يؤمن بالقيمة التربوية للفن، لهذا قرر أن تجلد الكتب تجليدا فاخرا، وأن تزين بالرسوم، وأن تصاحب الطقوس تراتيل وموسيقى جميلة، وقد انتشرت المانوية في الهند والصين وبلاد العرب. (ينظر، ابن النديم: الفهرست، تح: رضا تحدد، ج.4، حقوق الطبع محفوظة للمحقق، ص. 392 فما بعده من عدة صفحات؛ ربيعة حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، كلية الأثار، جامعة مصر، 1996م، هامش ص.31.)

(2) وبعد هزيمة الأسرة التيمورية على يد الشيبانيين سنة 1507م، بقى بهزاد بمدينة هراة في خدمة سلطان الأوزبك الشيباني خان، إلا أنه بعد أن سقطت هذه المدينة حوالى سنة 1510م في أيدي الشاه إسماعيل الصفوي(1502 – 1524م)، انتقل بهزاد منها إلى تبريز، وأسس في غرب إيران مدرة فنية كان لها أثر كبير في تقدم التصوير الإيراني فيما بعد، وفي سنة 1522م عين الشاه إسماعيل بهزاد قيّمًا على المكتبة الملكية التي ألحق بها معهد لفنون الكتاب.(أنظر، م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، تر: أحمد محمد عيسى، مراجعة: أحمد فكرى، دار المعارف بمصر، د.ت.ن، ص ص، 56 – 57.).

بلاد فارس، وأُعجب الملوك والأمراء بأعماله فتسابقوا إلى جمعها[1].

وعن تطور مدرسة هراة في عهد السلطان «ميرزا بايقرا»، يقول أحد المعاصرين: أنه:«لم يكن في العالم المسكون جميعه مدينة مثل هراة في عهد السلطان حسين، فقد كانت خرسان وهراة على رأس مدنها مملوءة بعلماء ورجال لا نظير لهم، وكان إذا اضطلع أحدهم بعمل مهما كان نوعه هدف إلى إتمامه وإتقانه، وكان من الكواكب النيرة في البلاط جماعة من العلماء من الأصليين الفارسي والتركي، وكان منهم الشاعران الجهامى، وعلي شيرنوائي، والمصوران أو الرسامان بهزاد، وشاه مظفر، والخطاط سلطان علي، والمؤرخان ميرخواند، وخواندمير»[2].

أما صور هذه الفترة يوجد في دار الكتب القومية بالقاهرة نسخة خطية لكتاب «بوستان» لسعدي الشيرازي، يرجع تاريخ كتابتها إلى عام 893-894هـ/ 1488-1489م، وتعتبر هذه النسخة الخطية من أنفس وأندر النسخ الخطية في العالم، فهي تحتوي على ست منمنمات بريشة المصور رفائيل الشرق «كمال الدين بهزاد»، تحمل خمس لوحات منها توقيعه التقليدي(عمل العبد بهزاد)، هذا بخلاف مئات المخطوطات النفيسة التي تدل على رقي الفن(فن الخط والتصوير والتهذيب والتجليد)، في ذلك العصر، وقد عد المؤرخ خواند مير في كتابه «حبيب السير» زهاء مائتين من الكتب والمؤلفين في ذلك العصر[3].

ومن المنجزات التي تُنتسب إلى «بهزاد»، ست صور مدرجة في مخطوط كتاب «بستان» للشاعر سعدي، محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة، كُتب على أربعة منها بخط دقيق عمل العبد بهزاد، وتتضح في الصور براعة الفنان من حيث مزج الألوان ودقته في رسم الزخارف النباتية والهندسية، وتصوير المناظر الطبيعية

(1) بلبشير أمين، المرجع السابق، ص. 41.
(2) دونالد ولبر، يران ماضيها وحاضرها، المرجع السابق، ص -ص 80 - 81.
(3) نصر الله مبشر الطرازي: تركستان ماضيها وحاضرها، مكتبة الآداب، القاهرة، 1431هـ/ 2010م، ص.133.

الريفية الخلابة وكذا براعته في رسم الخيل. وتتضمن مجموعة السيد «كارتييه» صورة للسلطان «بيقرا» تُنسب إلى «بهزاد»، وهي تشبه رسم للسلطان بيقرا في مخطوط من كتاب «بستان سعدي» الموجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة[1]. كما تنتسب إلى «بهزاد» ثلاث منمنمات رائعة مرسومة في مخطوط صغير موجود في المتحف البريطاني، من المنظومات الخمسة للشاعر «نظامي»، أما متحف اللوفر بباريس فيحتفظ بصورة تمثل «الشاه طهماسب» فوق شجرة وعليها عبارة «بير غلام بهزاد»، أي العبد العجوز بهزاد[2].

من الصور التي يمكن نسبتها إلى مدينة هراة في النصف الثاني من القرن (9هـ/ 15م)، أربعة ألبومات بمكتبة متحف «طوبقابو سراي» باستانبول، وهي تصور لنا جانبا من حياة بعض القبائل البدو الرحل بوسط آسيا، ويلاحظ أن هذه الصور قد نفذت على مواد مختلفة مثل الورق الخشن (الورق الصيني) والورق المصقول (من النوع الشائع الاستعمال في العصر الإسلامي) إلى جانب الحرير، وثمة تشابه في أسلوب هذه الصور، إذ أعتمد في تنفيذها بشكل أساسي على الخطوط القوية بالحبر الأسود مع استخدام التظليل والألوان القليلة، مثل اللون الرمادي والبني، وأحيانا اللونان الأزرق والأحمر، وإن كان استخدامها نادرا، وتخلوا خلفيات تلك الصور من تمثيل أية عناصر أخرى[3].

يمكن تقسيم هذه الصور من حيث الموضوعات إلى مجموعتين أساسيتين:

المجموعة الأولى: وتضم صور العفاريت التي تتميز جلودها باللون الأسود تارة وباللونين الأحمر والأصفر تارة أخرى، وبأن لها رؤوسا مخيفة تعلوها قرون، وبوجوهها المتجعدة وبأجسامها القصيرة وتنتهي أطرافها بمخالب، وترتدي هذه المخلوقات الغريبة أردية تستر نصف جسدها الأسفل، وتتزين أحيانا بحلقات

(1) بلبشير أمين، المرجع السابق، ص ص، 42 – 43.
(2) بلبشير أمين، المرجع السابق، ص. 43.
(3) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص –ص 128 – 129.

تضعها في أذرعها ومعاصمها ورقابها[1].

المجموعة الثانية: وتمثل تصوير حياة البدو والقبائل الرحل، حيث نجد من بين رسومها صور تمثل الراعي وهو يعتنى بقطيعه، أو صاحب الحرفة وهو يصنع الأثاث، أو مجموعة من الشيوخ في أوضاع تأملية، ويرتدي الأشخاص في صور هذه المجموعة ملابس كثيفة، وسترات تشبه طيات تجاعيد وجوههم، وقلنسوات مستديرة، وتظهر أقدامهم عارية أو منتعلة أحذية سميكة[2].

يرى الأستاذ (طوغان-(Togan(Z.W) أنّ «محمد سياه قلم» هذا هو نفسه الفنان محمد بخشي، الذي كان من أكبر الفنانين الذين عملوا في هراة، إعتاد أن يرسم الصور الغريبة والشخصيات العجيبة، وأن نشاطه بلغ أوجه في النصف الثاني من القرن (9هـ/ 15م)، كما أبدى الأستاذ طوغان ملاحظة أخرى مؤداها أن بعض الأمراء التيموريين الذين عاشوا في هراة، أقاموا قبل ذلك طويلا في براري خوارزم بآسيا الوسطى وفي سيبيريا الغربية[3].

❊ ❊ ❊

(1) نفسه، ص -ص129
(2) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص130.
(3) نفسه، ص 131.

الخاتمة:

يمكن القول، أن طريق السلطان التيموري «شاهرخ» (807-850هـ/ 1405-1447م) إلى العرش لم يكن سهلا، بل كان بعد بعد صراع مرير مع العديد من أمراء الأسرة الحاكمة، وقادة الجيش.

ويعد السلطان «شاهرخ» من أفضل سلاطين الدولة التيمورية، مثله مثل السلطان العالم «أولغ بك»، فقد عملا كليهما على تطوير الحياة العلمية في منطقة وسط آسيا، وقد اتصفى بصفات حميدة، كالتدين والكرم وحب العلم والعلماء، لذلك تطورت الحياة العلمية في عصريهما أيما تطور.

عرفت مدينة هراة التخريب في العديد من المرات، وفي مختلف العصور، إلى أن حولها السلطان «شاهرخ» عاصمة لدولته، وأولاها كل الاهتمام والرعاية، فأعاد لها رونقها وبهيجها الذي انطفئ منذ مدة بعيدة، وذلك من خلال المنجزات التي شيدها بها، خاصة العلمية منها، فأصبحت قطباً يشع بالعلم، ويقصدها العلماء من مختلف الجهات، كما أولى رعايته الكامل بالمجال الاقتصادي، من خلال استغلال مقومات المدينة الاقتصادية، فتحولت إلى مركز تجاري مهم في المنطقة.

عرفت مدينة هراة بروز وازدهار مدرسة متخصصة في فن التصوير، ابتكرت اسلوباً جديداً في الفن والتصوير، يختلف عن بقيد المدارس الفنية الأخرى، استقطبت بذلك العديد من الفنانين والخطاطين والرسامين المبدعين، مثل: «بهزاد» و«مير علي شيرنوائي». وقد أنتجت العديد من الأعمال الفنية الراقية، اللوحة تجسد وصول الأمير «همماي» إلى بلاط إمبراطور الصين، ومخطوطة «كليلة ودمنة» مصورة، ونسخة من الشاهنامة، و«معراجنامه» الذي جسدت عروج الرسول ﷺ إلى السماء السابعة، وهذه الأخيرة تتجسد القدرة الإبداعية لفناني مدرسة هراة الفنية.

قائمة المراجع:

أولا- الكتب:

- ابن عرب شاه شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي الأنصاري: عجائب المقدور في أخبار تيمور، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، 2008م.

- ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008م.

- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق: روبيناتشي وآخرون، مج.1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

- القلقشندى: الصبح الأعشى، ج4، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1332هـ/ 1914م.

- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.

- بوريبوي أحمدوف وزاهد الله منوروف: العرب والإسلام في أوزبكستان تاريخ آسيا الوسطى من أسام الأسر الحاكمة حتى اليوم، مراجعة نعمت الله ابراهيموف، ط.2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت-لبنان، 1999م.

- تيمورلنك: مذكرات تيمورلنك، ترجمة سهيل زكار، التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق-سوريا، 2008م.

- جاستن مرّوذي: تيمورلنك قاهر الملوك والسلاطين وغازي العالم، ترجمة مايا إرسلان، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 2011م.

- حافظ أحمد حمدى: الدّولة الخوارزميّة والمغول غزو جنكيزخان للعالم الإسلامي وآثاره السِّياسية والدّينية والاقتصادية والثقافية، دار الفكر العربي،

القاهرة-مصر، د.س.ن.

- دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، ط2، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني، لبنان مصر، 1985م.

- ربيعة حامد خليفة: فن التصوير عند الأتراك الأويغور وأثره على التصوير الإسلامي، كلية الأثار، جامعة مصر، 1996م.

- زكرياء بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

- زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1940م.

- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مج.3، أكاديمية المملكة المغربية، المملكة المغربية، 1417هـ/ 1997م.

-شمس الدين الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة ليدن، 1928م.

- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، مج.2، دار صادر، بيروت- لبنان، 1397هـ/ 1977م.

- عباس أقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205هـ/ 860م- 1343هـ/ 1925م)، ترجمة محمد علاء الدين منصور، مراجعة السباعى محمد السباعى، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1989م

- عبد الحكيم العفيفي: موسوعة 1000 مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1421هـ/ 2000م.

- عبد اللطيف سلمان، تاريخ الفن والتصميم الفن الإسلامي ج2، ب ط، الجامعة الدولية الخاصة للعلوم والتكنولوجيا.

- غونزالس كلافيجو: سفارة إلى تيمورلنك، ترجمة سهيل زكار، التنوين للتأليف والرجمة والنشر، دمشق-سوريا، 2008م.

- م.س. ديماند: الفنون الإسلامية، تر: أحمد محمد عيسى، مراجعة: أحمد فكرى، دار المعارف بمصر، د.ت.ن.

- محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي حياته وعصره، ترجمة: عبد الله سالم الزليتني، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، 2007م.

- منيرة ناجي سالم: الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري، الدار العربية للموسوعات، بيرت- لبنان، 1435هـ/ 2014م.

- نصر الله مبشر الطرازي: تركستان ماضيها وحاضرها، مكتبة الآداب، القاهرة، 1431هـ/ 2010م.

-ابن النديم: الفهرست، تح: رضا تحدد، ج.4، حقوق الطبع محفوظة للمحقق.

ثانيا- الكتب باللغة الأجنبية:

-Le BARON C.D'ohsson : Histoire des mongols, depuis Tchinguiz-KHAN Timour BEY ou TAMERLAN ,LA HAYE ET AMSTERDAM LES FR2RES VAN CLEEF,1834,Tome 1

- De Frans , paris, 1977. René Grousset :Histoire de l' Asie,presses universitaire.

ثالثا- المقالات:

1. رأفت النبراوي: نقود شاه رخ (808-850هـ/ 1405-1446م) ضرب خوارزم، مجلة العمارة والفنون والعلوم الانسانية، الجمعية العربية للحضارة والفنون الاسلامية، المجلد الخامس، العدد العشرون، 2019م.

2. علاء محمود قداوي: الدولة التيمورية بعد تيمورلنك 807-906هـ/ 1405-1500م (دراسة سياسية)، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 22، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، 1420هـ/ 1999م.

3. محمد أحمد محمد قمر: خطط مدينة هراة الأفغانية في العصر الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة التيمورية (دراسة تاريخية)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 62، العدد 06، كلية الآداب، جامعة المنيا-مصر، خريف 2006م.

❊ ❊ ❊

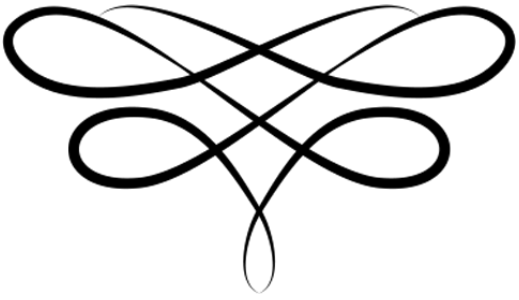

جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحيى فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية.

الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر خلال العصر العباسي الثاني

(اقليم الشاش نموذجًا)

Social life in the country beyond the river during the second Abbasid era Al-Shash region as a model

مقدم من الباحثة: نادية محمد هاشم إبراهيم

باحثة دكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهرة

المستخلص:

تحتل بلاد ما وراء النهر مكانه خاصه نظرا لمكانتها الحضارية وثرواتها وما قدمه اهلها للحضارةالإسلامية لذلك أهتم المؤرخون بتلك المنطقة الهامه في تاريخ العالم الاسلاميوقد كان لبلاد من وراء النهر دور كبير في عهد في العهد العباسي وخاصه لما بذلوه في نجاح الدعوةالعباسية وفي النهضةالسياسيةوالحضارية حيث اصبحت بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي قطراًاسلامياًخالصاًوتأثر سكانه بالتقاليد والثقافةالإسلامية وبذلوا كل الجهد لنشر الاسلام بين الاتراك الشرقيين وادى ذلك لازدهار المنطقةفى ظل الدوليات المستقلة من الناحيةالسياس يةوالحضاريةوالاقتصاديةوالاجتماعية في العصر العباسي الثاني. وإقليم الشاش هو نموذج الدراسة التي بين أيدينا و هو من الأقاليم الهامه حيث يحتل موقعه أهمية كبيرة لكونه أكبر ثغر إسلامي في الجهة الشرقية من العالم العربي الإسلامي وقف كسد منيع في وجوه الصينيين والأتراك الشرقيين أعداء الديار الإسلامية بالإضافة

إلى توسط إقليم الشاش الطرق التجارية الواصلة بين الشرق والغرب بالتالي يشهد نشاطاً تجارياً كبيراً من خلال عمليات التبادل التجاري، ووقوعه أيضاً بالقرب من طريق الحرير الذي يسير بين الصين وأوروبا كل هذا أضفى على إقليم الشاش أهمية تاريخية واقتصادية ودينية كبيرة.

وقد قسمت الدراسة إلى تمهيد وعدد من المباحث وتشمل **المبحث الأول** وتناول الوضع العام لإقليم ما الشاش فى ظل الخلافة العباسية، أما **المبحث الثاني** وتناول الحياة الاجتماعية في إقليم الشاش وشمل عناصر فرعية وهى عناصر السكان، طبقات المجتمع، الديانات، العادات والتقاليد، الطعام، المرأة في المجتمع، الملابس، ثم خاتمة وملاحق.

Abstract

The country beyond the river occupies a special place due to its cultural status, its wealth, and what its people gave to Islamic civilization. Therefore, historians have paid attention to this important region in the history of the Islamic world. The country beyond the river had a major role in the era of the Abbasid era, especially for their efforts in the success of the Abbasid call and in the political and cultural renaissance. In the Abbasid era, Transoxiana became a purely Islamic country, and its inhabitants were influenced by Islamic traditions and culture and made every effort to spread Islam among the eastern Turks. This led to the prosperity of the region under the politically, culturally, economically and socially independent international states in the second Abbasid era. The province of Al-Gash is a model for the study at hand, and it is one of the important regions, as its location occupies great importance because it is the largest Islamic port in the eastern side of the Arab-Islamic world, standing as an impenetrable barrier in the faces of the Chinese and the Eastern Turks, enemies of the Islamic lands,

in addition to the province of Al-Gash being in the middle of the trade routes linking the East. And the West

Therefore, it witnesses great commercial activity through commercial exchange operations, and it is also located near the Silk Road, which runs between China and Europe. All of this gave the region of Al-Gash great historical, economic, and religious importance.

The study was divided into an introduction and a number of sections. The first section included the general situation of the Al-Shash region under the Abbasid Caliphate. The second section dealt with social life in the Al-Shash region and included sub-elements, namely population elements, social classes, religions, customs and traditions, food, women. In society, clothing, then itsConclusion and appendices.

الكلمات المفتاحية :

الخلافة العباسية ـ بلاد ما وراء النهر ـ إقليم الشاش ـ الحياة الاجتماعية

تمهيد:

أهتم المؤرخون بمنطقة ما وراء النهر لما لها من أهمية كبرى فى تاريخ العالم الإسلامي، وتعود أهمية تلك المنطقة إلى وقوعها بين ثلاث قوى كبرى هى بلاد فارس والصين والهند بما لها من ثقل حضارى أثر فيها، إلى جانب أنالموقع الاستراتيجى ووفرة المياه بالإضافة إلى وقوع تلك المنطقة على طريق الحريرجعلها محطاً لأنظاربعض تلك القوى السياسية المحيطة بها مما أوجد الصراع السياسى والعسكرى للسيطرة على بلاد ما وراء النهر، وكذلك للنهضة العلمية التى قامت بتلك البلاد وخاصة بعد الفتح الإسلامي لها.

مفهوم بلاد ما وراء النهر:

أطلق الجغرافيون العرب على المناطق الخصبةالسهلةالواقعة بين نهري سيجون -سيردريا Sir Darya حاليا-و جيحون- أمو دريا Amo Darya حالياً اللذانيصبان في بحر خوارزم -أرال حاليًا -والشاطئ الايسر لنهر سيحون ويشمل طخارستان والخُتل هذه البلاد اطلق عليها المسلمون قديما مصطلح بلاد ما وراء النهر[1] ولم تكن تلك المنطقة وحده واحده بل قسمت الى ست اقاليم هى :[2]

1. إقليم طخارستان: في الجنوب الشرقى.
2. اقليم الصغد: عاصمته بخارى وسمرقند.
3. إقليم خوارزم: في غرب الصغد ويشمل دلتا نهر جيحون.
4. أقليم فرغانه: في اعلى نهر سيحون .
5. إقليم اشروسنه: على نهر سيحون
6. إقليم الشاش : وهو اليوم إقليم طشقند.

ويتضح مما سبق ان بلاد ما وراءالنهر تقع في المنطقة المحصورة بين نهري جيحون فيالجنوب، وسيحون في الشمال، وتقع في الشمال الشرقي من حدود الدولةالفارسية القديمة، وسكانها من العنصر التركي، وبها مدينة سمرقند وبخاريوغيرها من المدن، وبدأت الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-واستمرت الفتوحات في عهد الخليفةعثمان بن عفان رضي الله عنه وفي عهد الخليفة معاوية بن أبيسفيان.

(1) بارتواد : تركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي، ترجمه صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطنى للثقافة، الكويت، 1981م، ص145.
(2) ارسلان الخوارزمي (مظهر الدين أبى محمد محمود بن محمد بن العباس): تاريخ خوارزم تحقيق محمود محمد خلف، دار الكتب العلمية، لبنان، 2018م، ص47
المقدسي :أحسن التقاسيم فى معرفة االأقاليم،ليدن،1967م،ص260.

كما استمرت الفتوحات فى عهد الدولة الأموية (41-132هـ/ 661 - 750 م) ولكن إذا كانت الدولةالأموية قد نجحت في فتح بلاد ما وراء النهر وعلى نشر الاسلام بين سكانها فان الفضل يرجع الى الدولةالعباسية في انها مكنت لهذه الحركةالإسلامية ان تمضي وتستمر حتى اصبح إقليم ما وراء النهر في مستهل القرن الثالث الهجري اقليماً اسلامياً، كما يرجع الفضل الى العباسيين في حماية هذا الاقليم من الثورات الداخلية. وانتشر الإسلام في مدنها حتى أصبحت منارة من منارات الإسلاممن أهمية هذه الفتوحات انها مهدت لظهور استقرار سياسي ومظاهر للحضارة فيالعصر العباسي الأول مع دور كبير لسكان ما وراء النهر في نجاح الدعوة العباسية وكذلكدور أتراك ما وراء النهر في الدعوة العباسية والنهضة السياسية والحضارية، وأصبحتبلاد ما وراء النهر قطراً اسلامياً خالصاً وتأثر سكانه بالتقاليد والثقافة الإسلامية .وتقدمت فيه الحياة الاقتصادية بعد التطور الكبير في مجالات الزارعة والصناعة والتجارة.

وإقليم الشاش هو نموذج الدراسة التي بين أيدينا هو من الأقاليم الهامة حيث يحتل موقعه أهمية كبيرة لكونه أكبر ثغر إسلامي في الجهة الشرقية من العالم العربي الإسلامي، وقف كسد منيع في وجوه الصينيين والأتراك الشرقيين أعداء الديار الإسلامية بالإضافة إلى توسط إقليم الشاش الطرق التجارية الواصلة بين الشرق والغرب بالتالي يشهد نشاطاً تجارياً كبيراً من خلال عمليات التبادل التجاري، ووقوعه أيضاً بالقرب من طريق الحرير الذي يسير بين الصين وأوروبا كل هذا أضفى عليإقليم الشاش أهمية تاريخية واقتصادية ودينية كبيرة[1].

الأصل اللغوى لتسمية الشاش :

يعود أصل كلمة شاش كما ذكرت بعض المصادر [2] إلى حرفين أساسين

(1) (الأندلسي) عبد الله البكري ت 487هـ :معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: مصطفى السقا، دار صادر بيروت1998م، ط8، ص775.

(2) الاندلسي:المصدر السابق، ص 775.

- شاهنشاه : عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، تصحيح ريفود والبارون ديسلان، باريس،1840

هما شينان معجمتان وبينهما ألف وهذا الاسم يطلق على الإقليم والمدينة في نفس الوقت[1] ويقابل هذا الاسم بعض الأسماء الأخرى التي أطلقت عليه في اللغات الأخرى مع تطور العصور أيضاً ومنه ما كان يقابله فى اللغة الصينية بـ (جاج) في العصور الإسلامية ولكن حدث بعض التطورات لهذا الاسم على ايدى العرب فقد استبدلوا حرف (ج) بحرف الـ (ش) وبالتالى كسر نطق هذا الاسم بـ (ش) حتى تلاشي حرف (ج) عند العرب، أما في اللغة الفارسية فعرف اقليم شاش بـ (جاج) ثم تطورت إلى (جاجكند ثمتاشكند ثم طشقند والاسم الأخير هو اسمها المعاصر وتغنى «مدينة الحجارة»، ويقع داخل جميورية أوزبكستان، أي أن إقليم الشاش يحمل اسماً قديما وهو الشاش أما في العصر الحديث هو طشقند [2].

الموقع الجغرافي:

يقع إقليم الشاش ضمن نطاق «بلاد التركستان» أي موطن جميع بلاد الترك في وسط آسيا من بحر الخزر (قزوين اليوم) غرباً إلى حدود دولة منغوليا شرقاً، [3]. ويبلغ عرض إقليم الشاش فى المقياس المعاصر حوالي مسيرة يومين أو ثلاثة فيها الكثير من القرى أما مدينة الشاش طوليا مائة وأربع وعشرون درجة، وعرضيا

(1) أمين واصف بك : الفهرست (معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية)، تحقيق أحمد زكي، مطبعة المعارف، الفجالة،القاهرة. 1334هـ - 1916م، ص 67

(2) يلاحظ أن هناك ظاهرة عامة في أسماء المدن في آسيا الوسطى الإسلامية حيث أن أكثرها ينتهى بـ (قند) أو (كند) وهى كلمة تركية الأصل بمعنى (صور) أو (القصبة) في التقسيمات الإدارية وما زالت مستعملة اليوم ونلاحظها في تركيب اسماء المدن

(3)العمرى : لابن فضل لله شهاب الدين أبى العباس ت (749هـ) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار،تحقيق د/ محمد عبد القادر خريسات، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ (2001م) .ص 97 - 98

Fuat sezgin studi Eson AL – watwat AD – DIMASQI IBN AL – WARDI and A – BAKUWI institute . for the history of Arabic Islamic Science . 1994 N.r205 P.326

خمس وأربعون درجة. وتضم عدد كبير من المدن .[1]

فيعتبر إقليم الشاش اكبر ثغر اسلامى فى وجه الترك [2]وهى من أفضل بلدان ما وراء النهر وتمثل الشاش آخر معقل لديار االإسلام فى العصور الوسطى.

الوضع العام لإقليم الشاش فى ظل الخلافة العباسية:

كانت منطقة آسيا الوسطى بما فيها منطقة بلاد ما وراءالنهر أرضا صالحة لقبول الدعوة الإسلامية وانتشر فيها الاسلام لما يمتاز به من تعاليم سمحةعن المعتقدات الأخرى، وبالتالي اعتنقوه بسرعة وبسهولة بعد أن كثر في بلاد ما وراءالنهر عقائد قديمة وثنية، ولذلك لم يكن الفتح الإسلامي لتلك المنطقة في عصر الخلافة الأموية مجرد توسع في الرقعة الجغرافية بلكان فتحاً عقائدياً يستهدف نشر العقيدة الإسلامية التي نشرت في البداية على يد القائد قتيبة بن مسلم[3] ما بين سنة 86 ـ 96 هـ/ 725 ـ 724م)[4]

أما عن أقليم الشاش فكان دخول العرب المسلمينفيه سنة 96 ه/ 724 ومع سقوط الخلافة الأموية على يد العباسيين سنة 232ه/ 752م وكان نظام حكم الخلافة العباسية فى بدايته نظام مركزى من بغداد عاصمة الخلافة العباسية

(1) ومن المدن التى تنسب إلى الشاش « بنكث – نكث – جينانجكث – نجاكث – بناكث – خرشكث – غرجند غناج – جيوزن – وردك – كبرنة – نمدوانك – نوجكث – غزك أنوذكت – بثكت – بركوش خاتونكت – جبغوكت فرنكد – كداك نكالك – بارسكث أشتوركث – ألبيكث – كباشكث غناج – كوران تل أوش – غزكرد زرانكث – فردكث أجخ

(5) المقدسي البشاري : ت (380هـ)، أحس التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى القاهرة، ط 3، (1991م – 1411 هـ)، ص 264 .

(2) الإصطخرى : أبلا إسحاق إبراهيم الفارسى، ت (309هـ)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، دار صابر بيروت، (1927)م، ص 328 .

(3) قتيبة بن مسلم: قائد الفتوحات في بلاد آسيا الوسطى زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك، قتل على يد الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة 96ه/ 755م. للمزيد: الزركلي (خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط8، ص537.

(4) أحمد شلبى: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية العصر العباسي الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1968م، ط8، ج3، ص585.

الـذي يقضـي بتبعيـة الولايـات الإسـلامية للخلفـاء العباسـيين، وتعـد هـذه المركزيـة الإداريـة التـي اتبعتهـا الخلافـة العباسـية عامـلاً مهمـاً في نقـل الحضـارة العربيـة الإسـلامية نحـو المـدن المفتوحـة ممـا أنتـج ذلـك حركـة علميـة دفعـت عجلـة التاريـخ إلـى الأمـام فنشـطت مـدن بـلاد مـا وراءالنهـر ثقافيـاً وفكريـاً.

ولكـن فى عهـد الخليفةهـارون الرشـيد بـدت معالـم الحكـم اللامركـزي مـع قيـام دولـة الأغالبـة سـنة 282هـ/ 798م، كذلـك سـار ولـده المأمـون علـى سياسـة أبيـه نفسـها في قبـول الحكـم اللامركـزي كاسـتجابة لمطالـب الولايـات من ناحيـة، وتخفيف الأعبـاء عـن كاهـل الخلافـة العباسـية كسـلطة مركزيـة مـن ناحيـة أخـرى، وكانـت أول تجربـة في الولايـات الشـرقية مـع ظهـور الدولـة الطاهريـة سـنة 225هـ/ 822م حيـث كانـت تلـك الدولـة تتصـرف بشـؤون الولايـات الشـرقية بتفويـض مـن الخلافـة العباسـية، يمكـن القـول بـأن تبنـي الخلافـة العباسـية لنظـام الحكـم اللامركـزي جعـل مـن الولايـات الشـرقية أرضـاً خصبـة لظهـور عـدد مـن الدويـلات المسـتقلة مـن فارسـية وتركيـة فيمـا بعـد، ممـا أثـر ذلـك علـى الحيـاة في بـلاد مـا وراءالنهـر عامـة، واقليـم الشـاش خاصـة.[1]

الحياة الاجتماعية في إقليم الشاش خلال العصر العباسي الثاني:

سكان إقليم الشاش :

يذكـر المؤرخـون ان إقليـم الشـاش يقـع ضمـن نطـاق «بـلاد التركسـتان» أي موطـن جميـع بـلاد الـترك ولهـذا انتشـرت فيـه العنصـر التركيومـع ذلـك فقـد انتشـرت أجنـاس أخـرى فى إقليـم الشـاش، حيـث كان لوقـوع إقليـم الشـاش ضمـن بـلاد مـا وراء النهـر أثـره فى أن يلعـب هـذان النهـران (سـيحون وجيحـون) دوراً كبيـراً فى تحديـد الأجنـاس التـى سـكنت إقليـم الشـاش، وعلـى الأخـص نهـر جيحـون، حيـث كان يعـد قديمـاً الحـد الفاصـل بيـن الأقـوام الناطقـة بالفارسـية والأقـوام الناطقـة بالتركيـة فمـا

(1) محمود عبد الله جمعه مراد: إقليم الشاش من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجرى (دراسة تاريخية حضارية)، جامعة الزقازيق معهد الدراسات والبحوث الأسيوية، رساله غير منشورة.، ص55.

كان فى شماله أى وراءه من أقاليم مثل إقليم الشاش قد أطلق عليها العرب اسم الهيطل و أطلقوا عليها أيضاً بلاد توران أوتركستان بالنسبة إلى عنصر الترك الذى يغلب على عناصر سكان هذا الإقليم تمييزاً له عن بلاد إيران التى غلب عليها العنصر الإيرانى والذى ينطق بالفارسية[1]

وفي عهد الخلافة العباسية زادت هجرات القبائل العربية من العراق والتى بدأت منذ الفتح الإسلامي وما تبعه من هجرات عربية من قبائل بالعراق وغيرها والتى استوطنت إقليم الشاش، ولذلك زاد عدد السكان وبناء المدن حيث ضم إقليم الشاش أكثر من خمس وعشرين مدينة[2] كما سبق وذكرنا.

عناصر السكان في إقليم الشاش:

١-الجنس التركي:

كما سبق وذكرنا أن إقليم الشاش هو موطن جميع بلاد الترك ولهذا انتشرت فيه العنصر التركي بجميع أنواعه، فهناك أنواع عدة للترك فمنهم التبتية و التغزغزية والخرخيزية و الكيماكية والخرلخية والجغر والبجناك والتركش وإذكش وخفشاخ والخلج والغزية وبلخارية[3] ومن الأنواع التى سكنت الشاش الكيماكية والبرسخانية والبيدية والحقوبية والخلوجية وفيهم كان الملك، ومنهم خاقان الخواقين جمع سائل مالك الترك ومنهم فراسياب التركي الغالب على بلاد فارس.[4]

(1) فتحى أبو سيف : خراسان تاريخها سياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين، مكتبة سعيد رأفت القاهرة، ط 1، (1409 هـ - 1988 م)، ص 23 .

(2) الحموى: شهاب الدين ياقوت الروميت (626هـ) : معجم البلدان، دار صادر بيروت، ط1 (1993م)، ط 2 (1995م)، جـ3، ص 233 .

(3) المصدر السابق، جـ3، ص 441 - 443

- الإدريسى : أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد لله : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية (1414هـ/ 1994م)، مجلد 1، ص 518

(4) عبد العزيز جنكيزخان: تركستان قلب آسيا ، الجمعية الخيرية التركستانية، 1945م. ص210.

وكانوا يحيطون ببلاد ما وراء النهر عامة ومن ناحية الشاش على الخصوص شمال ما وراء النهر فى حدود القرن السادس الميلادي وتمكنوا من حكم بعض أجزائها قبل الفتح للعربي وإخضاع دهاقينها الذين هم ملوك أرضها وكونوا امبراطورية واسعة.

2 -الجنس الفارسي:

كانوا أقل عددا من الأتراك من حيث سكنى الشاش ولكنهم أثروا فيها بعلومهم وفنونهم ونبغ منهم علماء كثيرون وهذا ما أكده القاضي أبو القاسم الأندلسي فى تقسيمه للأمم التى سكنت الأرض وهم سبعة وكانت أولهم أمة الفرس، وهي الأمة التى عنيت بالعلوم وصدرت عنها فنون المعارف.[1]

لذلك كان الفرس أرقى المشارقة الذين سكنوا الشاش فى ذلك العصر قبل الفتح الإسلامي لها فكانت لهم الرياسة والسياسة والنفوذ الأدبي والديني لأنهم كانوا ينقلون معهم تمدنهم حيثما حلواوكان الفرس يحكمون الترك الشاشيين عندما دخلوها عن طريق المرازبة وخالطوا أهل البلاد وحكموهم أثناء تحركاتهم من الشرق إلى الغرب حوالي القرن الخامس الميلادي[2]وتولوا أعلى المناصب فى البلاد من سياسة.

3 -الجنس العربي:

سكن العرب إقليم الشاش بعد عمليات الفتوح الإسلامية واستقراراها سواءاً عن طريق الهجرة أو التجارة .

ويعود تاريخ الهجرات العربية إلى آسيا الوسطى إلى عدة قرون ماضية هذه الهجرات التى كانت لها علاقة وثيقة بالفتوحات الإسلامية تبدأ فى الفترة ما

(1) الأندلسي: طبقات الأمم، 9

(2) ابن الأثير، أبى الحسن على بن عبد الكريم الجزريت (630هـ): الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط3، (1418هـ/ 1998م) . ج4، ص 126.

بين القرن السابع والثامن والميلادي[1]، كجاليات عسكرية لأن حروب الثغور والحدود باتجاه بحر قزوين أو فيما وراء النهر كانت دائمة طوال العصر الأموي ومع ذلك فقد اختلط البعض بأهل البلاد وصاهروهم وتعلموا لغتهم وتأثروا بهم ثقافيا، ولكن ضروريات المعركة بقيت أساسية ومن هنا كان الاتجاه دوما نحو إرسال مجموعات عربية من القبائل وخاصة من العراق وهؤلاء المقاتلين الذين استقروا في الشاش وغيرها كانوا يعملون فى التجارة واستغلال الأرض بالزراعة والرعي .

وكان قتيبة هو الذي أسكن العرب فيما وراء النهرحتى أرض الشاش أثناء فتوحاته لها [2] وكان عدد العرب الذين تم على أيديهم فتح ما وراء النهر والشاش زمن قتيبه أربعة آلاف غير أن هذا العدد لم يبق ثابتا[3].

طبقات المجتمع:

يتكون المجتمع فى إقليم الشاش من عدة طبقات وهى:

الطبقة العليا: وتألفت من الولاة والحكام المسلمين والأشراف وهم أبناء الولاة المسلمين والخلفاء العباسيين الذين وفدوا إلى إقليم الشاش وقد حظوا بمكانة متميزة حيث إنهم متميزون بكرم النسب وشرف الأدب، فقاموا بتكريمهم وكان أفراد هذه الطبقة يقيمون فى كبرى المدن وكانوا يتزينون بزي يميزهم عن سائر طبقات المجتمع الأخرى وكانوا يسرفون فى الإنفاق على طعامهم.

أما الطبقة الوسطى: فكانت تضم العلماء والأدباء أوالتجار فيعتبر العلماء فى الإسلام ورثة الأنبياء ولذلك قد لعبوا منذ البداية دورا خطيرا فى المجتمع الإسلامي كما كانوا يتمتعون بالاحترام التام، وكان عدد كبير منهم فى إقليم

(1) مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار وادي النهضة للنشر، ج2، ص 114
(2) البلازرى : أبى الحسن، ت (279هـ): فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، (1403هـ/ 1983م)، ص420.
(3) صالح أحمد العلي: امتداد العرب فى صدر الإسلام، ص 56.

الشاش بعيدين كل البعد عن وظائف الدولة وتقلد بعضهم المناصب القضائية والعلمية فى الدولة فمنهم القضاة والخطباء فى المساجد ومنهم أصحاب الطرق والمذاهب الدينية والأدباء وقد نال بعضهم مكانة خاصة لدى الأمراء السامانين فكانوا يدعونهم على موائدهم الخاصة فضلا عن إعفاء الأمراء السامانيين العلماء من> تقبيل الأرض بين أيديهم .[1]

أما فئة التجار فكانت أقل مكانة فى هذه الطبقة وكان لاشتغال المسلمين بالتجارة أثر كبير فى حياتهم العامة سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية .

الطبقة الدنيا: ـ تألفت من الصناع والحرفيين والزراع وعامة الشعب والرقيق، أما الصناع وأرباب الحرف فكان العرب المسلمون ينظرون إليهم نظرة امتهان حتى القرن الثالث الهجري ثم تغيرت هذه النظرة فأصبح ينظر إليها وإلى القائمين بها نظرة تقدير [2]ويؤلف الحرفيون والصناع فئة نشطة فى المجتمع العباسي .

الديانات:

الديانات فى إقليم الشاش قبل ظهور الفتح الإسلامى:

انتشرت بعض من الديانات القديمة قبل الإسلام فى إقليم الشاش منها الفارسية والتركية مثل

(الزرادشتية) عقيدة الإيرانيين (والبوذية) التى تحمس لها الترك وغيرها من معتقدات كثيرة

كانت عبادات تلك المناطق تتركز فى الزرادشتية التى تؤمن بوجود إلهين إله الخير أو إله النور وإله الشر أو إله الظلمة.[3]

(1) المقدسي: احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص339.
(2) صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية فى القرن الثاني الهجري فى البصرة، بغداد، 1953م، ص 271
(3) هدى درويش : دور التصوف فى انتشار الإسلام فى آسيا الوسطى والقوقاز، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط 1 (2004)م، ص 21

ومن المعتقدات الأخرى التى قدمت إلى المنطقة الديانة الشامانية والتى أتت من الصين، وكان معتنقوا الديانة الشامانية يعتقدون بوجود إله للسماء وآخر للأرض، والبوذية التى قدمت من الهند وكانت فى صراع مع الزرادشتية والذى اتخذ فى صورة عرقين لا عقيدتين.انتشرت هذه العقائد فى الشاش ولكن ملوك الشاش كانوا على المجوسية يعبدون النار[1]

و لقد عرفت بلاد ما وراء النهر الديانة اليهودية والمسيحية ولكن المسيحية كانت قليلة،[2]وكان معتنقو المسيحية يعرفون فى مناطق ما وراء النهر والشاش بالكشكوشان، أما اليهودية بالشاش كانت أقل من المسيحية حيث لاقى جهودالاخيره فى التبشير[3]قبل ظهور الإسلام قدراً من التوفيق فى الجهات التى بها صراع بين البوذية والزردشتية وكان وجود المسيحية بشكل عام محدود فى الشاش فكانت أكثر تجمعاتهم فى مدينة طراز .

وفى أقليم الشاش كان لا يجوز لمسيحي أن يتهود ولا لليهودي أن يتنصر واقتصر تغيير الدين على الدخول فى الإسلام .[4]

وفى القرن الرابع الهجري اعترفت الدولة العباسية بالماجوس الذين لم يكن قد تم التغلب عليهم جميعا بأنهم أهل ذمة وكان لهم كما كان لليهود والنصاري رئيس ديني يلقب بألقاب الملوك وكان منصبا وراثيا[5]

أما عن الدين الاسلامي فقد انتشر فى إقليم الشاش نتيجه الهجرات العربية

(1) أبى بكر الدوادارى بن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر فى أخبار الأمم القديمة، تحقيق 1دوروتيا كرافولسكى ، بيروت (1413هـ - 1992م)، ص 98 .
(2) المقدسي: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم .ص223
(3) فامبريأرمينوس: تاريخ بخارى، منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد الساداتى، مراجعة يحيى الخشاب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (1965م) ص 50 - 51 .
(4) آ آدم متز .الحضارةالإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده، دار الكتاب العربى بيروت، ط 4 (1378هـ/ 1967م) ، ج1، ص59.
(5) نفس المرجع السابق: ج1، ص 59.

إلى الأراضى الفارسية والتركية عقب الفتح وفى عهد بنى أمية فما قصد المسلمون غزو تلك البلاد وإنما استهدفوا نشر قيم الإسلام ومبادئه وعدالته بين الناس وتعليمهم حقيقة هذا الدين وأحكامه وأعان على ذلك بصورة قوية بما يجرى من اختلاف بين العرب المسلمين القادمين وأهل البلاد الأصليين فلم يكن هؤلاء القادمون طبقة متعالية معتزلة كما يحدث كثيراً بل كان العرب المسلمون يتوافدون إلى البلاد المفتوحة فى موجات بشرية متتابعة يصطحب المقاتلة فيها أهلهم ويستقرون فيها مع قبائلهم ليحفظوا ما فتحوا من أى انقضاض أو عدوان ثم يتخذون من البلدان التى استقرت فيها فتوحهم وانتظمت أمورهم قواعد لانطلاق آخر إلى الأمام.[1]

وقد رسخت الهجرات العربية الإسلامية إلى المنطقة مبادئ الدين الإسلامى فقد جمعت الناس على لغة واحدة لدين واحد هو الإسلام وأقبل السكان الأصليون على الوافدين يتعرفون منهم على عقيدة التوحيد وعلى المبادئ التى وضعها الإسلام مثل مبدأ المساواة ولم يكن ذلك المبدأ معروفاً عند الفرس أو الترك فأحدث الإسلام بذلك نوعا من التغير الاجتماعى الذى حول المجتمع من عناصر متباينة إلى أناس متحدة عرفوا جميعاً بالمسلمين فصفهم صفاً واحداً فى الصلاة والجهاد والعلم[2] فكان انتشار هذه القبائل وإقامتها لشعائر الدين وانقطاع جماعة منها للدعوة كان يترك دون شك أثراً بعيداً فى تقبل الإسلام والانضمام إليه لأن هذه القبائل لم نكن لتعيش فى نطاق ضيق محصور ولكنها كانت فى مناطق كثيرة متسعة مما ساعد على نجاح الدعوة ومكنت لها.[3]

(1) سليمان الراجحى ، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى انتشار الإسلام، طباعة ونشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية (1412هـ/ 1992م)، جـ 1، ص 106 .

(2) عبد البارى الشرقاوى : مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية فى خراسان وما وراء النهر فى القرنين الثالث والرابع الهجرى رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة (1413هـ - 1993م) ص 85 .

(3) شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول الهجرى، مكتبة الخانجى، (1371 هـ - 1952م)، ص 211.

ومع انتشار الاسلام اصبحت أعلى الطوائف الدينية بطبيعة الحال هم طائفة المسلمين الحاكمة المؤلفة من العرب الفاتحين وكان يلي هذه الطائفة طائفة الموالي أي المسلمون من غير العرب فمن قبلوا دعوة الإسلام طوعا أو كرها أصبحوا يتمتعون ولو اسميا بحقوق الرعاية الإسلامية ثم تأتي بعدها طائفة أهل الذمة .[1]

العادات والتقاليد:

اتصف شعوب بلاد ما وراء النهر بصفات مشتركة كثيرة منها الكرم والشجاعة، وهو ما ذكره المؤرخون أيضا عن إقليم الشاش حيث اتصف سكان إقليم الشاش بصفات حميدة بالكرم والشهامة والاعتداد بالعزة فيكرمون الغريب إذا قدم إليهم، فقد وصفهم ابن حوقل قائلا»وأما سماحتهم فإن الناس فى أكثر ما وراء النهر كأنهم فى دار واحدة ما ينزل أحد بأحد إلا كأنه رجل دخل دار نفسه لا يجد المضيف من طارق فى نفسه كراهة بل يستفرغ مجهوده فى إقامة وده من غير معرفة تقدمت وكان هم كل واحد فيهم بناء منزل للأضياف وتراه جاهزا لمن يطرق عليه الباب من واجب الضيافة»[2]كما اتسموا بالشجاعه والدفاع عن دينهم بلا خوف حيث وصفهم الاصطخري قائلا» وأهلها يرجعون إلى رغبة فى الخير واستجابة لمن دعاهم إليه مع قلة غائلة وسلامة ناحية وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة شوكة ومنعة وبأس وعدة وآلة وكراع وسلاح»[3]

وهى بلد كثيرة الخير وكذلك الفتن فيصفها المقدسي قائلا: « إنها بلد قد قابل خيره شره وساوى مفاخره عيوبه هي كثيرة الخير والفتن لسان مليح وهرج قبيح أحسن ما تراها عامرة إلا وقد خربت ومستقيمة إلا وقد تشوشت

(1) فيليب حتى، أدورد جرجى، جبرائيل جور : تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر، 1950م، ج2، ص 299.

(2) ابن حوقل: أبى القاسم النصيبيت (370هـ): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان (1979م)، ص385.

(3) الاصطخري: مسالك الممالك، ص287.

أهل سنة مع عصبية وأهل منعة مع غاغة عدة للسلطان ومشغلة، صالحهم نفيس وطالحهم خسيس فى العلم راغبون وبالمذهب معجبون وفيها بردا شهام وفيهم بله أسخياء»[1]

الطعام :

كان الخبز واللبن الغذائين الأساسين فى إقليم الشاش وكان خبزهم يشكل أرغفة رقيقةمستديرة وفي بعض الاحيان كان الخبز الجاف مع البصل أو الحساء طبقًالوضع الاسرة هو طعام الافطار عندهم وكانوا يربون الغنم والماعز بالقرب منديارهم وخيامهم ويسمنونها وبعد ذلك يقومون بذبحها في المناسبات الهامة مثلالاعياد وحفلات الزفاف وغيرها،[2] وعندهم السمن والزبد والالبان كثيرة وينتجون الخيل كثيراً ويأكلون لحومهما ولا يفضلون على طعامها شيئًا من اللحوم.[3]

وكانوا في الاعياد يأكلون أنواعًا خاصة من الطعام مثل عيد المهرجانففيه يأكلون الدجاج المشوي على الاسياخ والخصى والبيض المسلوق وغيرذلك من المحمرات أما طريقة تناول هذا الطعام فهي باليدوكان من عاداتهم أيضا أكل القديد وهو اللحم المجفف .[4]وكان لكل طبقة طعامها ايضًا فمثلا الطبقة العليا فتأنقوا في الطعام وتفننوا فيألوانه وأسرفوا في إعداده وحرصوا على التزيين للموائد بالورود والرياحين

(1) المقدسي: احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص276.
(2) عبد العزيز عوض لله: بين الترجمان، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد 11 (1413هـ/ 1993م)، ص 478.
(3) الادريسي: نزهة المشتاه فى اختراق الافاق، مجلد 1، ص 518.
(4) البيهقى: أبو الفضل، ت (470هـ) : تاريخ البيهقى، نقله إلى العربية حيى الخشاب، صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (1956م) ص 135 – 541 .
– بدر عبد الرحمن: رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1987م، ص142

فكانوا يصنعون أنواعا مختلفة من الحساء والشواء والحلوى المختلفة الأنواع ونقاع الجذر، وشمل طعامهم أيضا الدجاج وكانوا يقطعونها ويوضع عليها الشيرج (زيت السمسم) ولهم طرق مختلفة فى ذلك وكان خبز الشعير أصل طعامهم فيشطر ويوضع فيه كانح التوت وهم تفننوا فى جميع أطعمتهم[1] وكان من طعامهم أيضا الهريسة وهي عبارة عن طعام يصنع من مسلوق لحم الخراف مع الحنطة وضربها معا بعد استخراج العظام حتى أصبح كالعجين، وكانت من الأطعمة التى يفطر بها فى الصباح أيضا بعد أن يضيفوا إليها الزبد ويسمى هذا الطعام عند أهل الشاش .[2]

أما طعام الطبقة الوسطى من السكان فكان يتكون عادة من الحنطة والشعير وما يصنع منهما، وكان الأرز يصحب أكثر الأكلات أيضا ويدخل فيها وكان اللحم واللبن أيضا متوفرين فى طعام هذه الطبقة[3] أما طعام العامة والفقراء فكان يتكون من خبز الشعير والدبس والخل مع قليل من الخمر وكان يتصدق عليهم فى مناسبات الأفراح والأعياد ويدفع لهم الصدقات الموسورون وكبار رجال الدولة وكان من أهم مشاريب الأتراك لبن الجمال، فيخمر فى قرب أو فى قعوب ويصبح لونه براقا وضاربا للزرقة وطعمه حامض مثل الليمون ويعتبر شراب التركمان الأساسي[4] وكانت مياه الشرب من نهر برك بالشاش.[5]

المرأة فى المجتمع

تمتعت المرأة في بلاد ما وراء النهر بالكثير من الحرية والنفوذ، وكانت لها

(1) محمد محمود إدريس: رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط1، 320 1983م، القاهرة، ص145.

(2)النرشخى : أبا بكر محمد بن جعفر ت (348هـ) : تاريخ بخارى، ارسية وحققه أمين عبد المجيد بدوى، نصر لله الطرازى، دار المعارف بمصر، بدون . ت .، ص128.

(3) محمد حيدر: الأوضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ص55.

(4) عبد العزيز عوض الله: بين التركمان، ص482.

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص509.

منزلة كبيرة من الاحترام والتقدير، والحقوق، إذ ظهر دورها على ساحة الأحداث السياسية والاجتماعية

بشكل بارز؛ وذلك لكثرة المواقف التي شاركت فيها[1]، وخاصة وأنَّها وصلت إلى طبقة الملوك والأُمراء.

كما ان البعض منهن أثبتن شجاعتهن في القتال، ففي عام 110هـ/ 728م وعند قتال العرب مع اهل السغد وفرغانة والشاش، كان احد ملوكهم خرج لقتال العرب، وعندما صعد على احد البيوت المهدمة رماه رجل بحبل فيه كلاليب تعلقت بدرعه فجذبته النساء والصبيان واسقطوه على الارض فكان هدفا للقتل من قبل الجند.[2] ولم يقتصر هذا الأمر عند نساء العرب، فقد جرت العادة عند الأُمراء السامانيين أن نسائهم كن يصحبن أزواجهن حيثما ساروا.[3] فقد قامت إحدى سيدات بخارى بمهمةٍ كبيرةٍ عام (390هـ/ 999م) حينما خرج الأمير إسماعيل بن نوح الساماني؛ للمطالبة بعرش أجداده بعد أن تعرضت الى خطر الخانين الترك من جهة الشرق، فقد خبأت هذه السيدة العجوز هذا الأمير في بيتها، عندما طارده الأتراك، وبقي هناك إلى أن هدأ الوضع في المدينة.[4]

أما نساء الطبقة العامة فكانت تقع عليهن أعباء وشظف الحياة، فكن غالبا ما يتعرضَنَ للسبي أَوقات الحرب والقتال؛ لعدم مقدرتهن في الدفاع عن أنفسهن، فخلال غزو قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة بيكند عام87هـ/ 705م وقعت الكثير من نساء الترك وَأَولادهم أسرى لأن اغلب رجال المدينة كانوا

(1) رشا عبد الكريم فالح النور: المرأة ودورها الاجتماعي والسياسي في بلاد ما وراء النهر منذ العصر الاموي حتى نهاية الدوله السامانية (41 – 389هـ/ 661 – 998م) مجلة كلية الآداب، جامعه البصره، ملحق العدد التاسع عشر، كانون الاول 2015م، ص363.

(2) الطبرى : جعفر محمد بن جرير، ت (310هـ) : تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 4 (1384هـ/ 1964م)، ج8 ص ى 161 – 162.

(3) القرمانى: ابن العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، طبع فى بغداد (1282 هـ) . ج2 ص421.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص.

خارجها في المحال التجارة، وعند عودتهم ما كان أمامهم إلَّا لا افتداء نسائهم بالمال الكثير من المسلمين.[1]

كما ان نساء هذه الطبقة من الفلاحين والحرفيين فيبدو انهن تقع عليهن أهم واجل الأعمال، وجميع الأشغال لما تمتلكه من بنية جسدية، وشدة، وجرأة، على تحمل المشاق والصعاب اما الرجل إذا كان فلاحاً فليس له أكثر من الحرث والحصاد.[2]

وبوجه عام اشتركتالنساء مع الرجال في بعض الصفات العامة المشتركة بينهم على أساس انهم فى محيط بيئي واحد وقبائل واحدة، ولكن اختصت المرأة ببعض الصفات الأخرى مثل شهرتهم بالجمال مع بياض اللون وحلاوة العيون التي أكثر من وصفها الكتاب[3]وخاصة من الجنس التركي في إقليم الشاش ومن تمييزهن بالجمال اتخذ الخلفاء منهن جوارٍ كثيرة، فقد قال الخوارزمي من لم يكن له عبد فليلحق الترك بخدمته وأعجب العرب الإعجاب كله بالسرايا التركيات[4]وكن يلفتن النظر أكثر من الرجال وعظام الوجنتين بارز كما أن بشرتهن بالرغم من إهمالهن بيضاء للغاية وبشكل عام فإن شعرهن كثيف وقصير جدا ومن هذه الناحية فإنها تطيل ضفائر الشعر بخصل من شعر الماعز وكذلك بشرائط الزينة وتزين تلك بالخرزات الزجاجية وبالحلي المصنوع من الفضة .

تعاملت المرأة التركية باحترام بين بني جنسها وكانت المرأة لها وظيفة أيضا تقوم بها فى المجتمع الشاشي وفى الحياة اليومية ويعتبر نساء العامة هم الذين يقومون بهذه الأدوار مثل قيامهم كل يوم بطحن الحبوب التى تشكل

(1) ابن اعثم: الفتوح ، ج ـ 7 ص146.
(2) الإدريسي: نزهة المشتاق ج ـ 1ص520.
(3) إبراهيم أيوب: التاريخ العباسى السياسى والحضارى، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمى، ط1، 1989م، ص 250.
(4)حسين مجيب المصرى: صلات بين العرب والفرس والترك، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1 (1421هـ/ 2001م)، ص218.

الغذاء الرئيسي للعائلة فى الطاحونة وتغزل الحرير وتفتل الخيوط من الصوف ومن القطن وتنسج الأكلمة وتخيط الملابس وتسبك الأقمشة الكشميرية وتؤسس الخيام وتهدمها وتحمل المياه وتغسل الملابس وتصبغ الأصواف والحرير وتنسج السجاد وفى المواسم التى يكون الجو فيها معتدلاً فإن النساء يقمن بتأسيس مشاغل بسيطة للخياطة فى الهواء الطلق خارج الخيمة.[1] وعلى الرغم من العادات والتقاليد الاجتماعية اعتبرت المراة كيانا له دوره في الحياة الاجتماعية المنزلية وادارتها، الا ان ذلك لم تمنع من مشاركتها في الحروب ومساندة الرجال سواء كانوا ازواجهن ام ذويهن من اجل انقاذ تلك الممالك من الاخطار الخارجية المحيطة بهم [2]، فنجد ان الكثير منهن نجحن بالفعل بالمشاركة السياسية الى جانب الرجال وادين دورامهماً من تقدم ممالكهم وزيادة وارداتهم عن طريق المشاركة في العمل وتأسيس دور التجارة والعمل فيها فكانت النتيجة ازدهار الجانب السياسي والاقتصادي لتلك الممالك ونمو مواردها بفضل التبادل التجاري واليد العاملة المشتركة .

الملابس:

ألزم الاسلام أتباعه بشروط عامة فى ارتداء الملابس وتتمثل فى عدم كشف العورة لكل من الرجل والمرأة وهو ما طبق فى إقليم الشاش بعد الفتح الإسلامي له.وألا يكون الملبس فيه إسراف أو مخيلة.[3]

وكان الشخص يعرف من زيه صناعته وطبقته [4] لقد اختلفت الملابس أيضا بين العامة باختلاف الأماكن، فلباس البدوي غير ملابس ساكني المدن وقصبات الأقاليم فكان لباس البدوي مثلا من شعر الماعز والضأن وكانت ملابس الوالي

(1) رشا عبد الكريم فالح النور: المرجع السابق، ص 168.
(2) رشا عبد الكريم :المرجع السابق،ص 363.
(3) ابن قتيبة: ابى محمد عبد الله الدينوري ت(276هـ)، عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، 1925م، مجلد 1، ص 296
(4) أحمد محمد الحوفى : التيارات المذهبية بين العرب والفرس، بدون .ت . ص 93.

تحتوي خلعة الواحد منهم على قلنسوة ذات ركنين ولواء [1] وحلة [2] مطرزة وملابس الفقهاء والأعيان تحتوي على الطيالس[3] فوق العمائم فى الشتاء ثم يلبس دراعة فوق الطيلسان ولا يغطى الرأس به وكان القاضي يرتدي السواد شعار العباسيين ويعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة وكانت القلنسوة السوداء فى القرن الثالث الهجري خاصة هي التى تميز القضاة وتلبس مع الطيلسان ملابس المحتسب[4] فكان يتخذ له سوطا ودرة (طرطورا) وغلمانًا وأعوانا فإن ذلك أرعب فى قلوب العامة وأشد خوفا[5]. وكان الرجال يلبسون الأحذية شتاءا عند ركوبهم الخيل والنساء ايضا كانوا يلبسونها[6] ولكنهم كانوا يخلعون هذه النعال أو الأحذية الخارجية المسمى الجرموق عند دخول المساجد.[7]

ولم يكن يستحسن للظرفاء من الرجال فى القرن الرابع الهجري لبس الثيابذات الألوان المصبوغة بالطيب والزعفران وكان ما يحسن لهم اتخاذه من اللباس الكتان الناعم النقي اللون مثل الديبقي[8].

أما ملابس الكتاب فكانوا يرتدون الدراريع فهي ثياب مفتوحة من الصدر[9]

أما ملابس الجند فكانت تتألف من العمامة والقباء والسروال والنعال

(1) اللواء: يقصد بهالعلم أو الشارة التى تميز رتبته وهي غير الراية.
(2) الحلة: الثوب الجيد الجديد وهو ثوب له بطانة من الداخل وأحيانا كان يحتوي على قميص وإزارا ورداء (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ط3 1985م، مطابع الاوفست، ج1، ص201، ج2، ص882)
(3) الطيالس: هو نوع من الاوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خالي من التفصيل والخياطة مثل الشال فى عصرنا الحالي (نفس المصدر ج2، ص 582)
(4) الشيزرى : عبدالرحمن بن نصر : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (1365هـ/ 1946م)، ص10.
(5) آدم متز: المرجع السابق، ج 1، ص 399 ـ 400_ حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام، ج 3، ص 317
(6) عبد العزيز عوض لله: مرجع سابق، ص 469.
(7) آدم متز: مرجع سابق، ج2، ص 155
حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام – السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، 4 أجزاء، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 14 (1416هـ/ 1996م)، ج2، ص 350.
(8) آدم متز: الحضارة الإسلامية مجلد 2، ص 353.
(9) المرجع نفسه، ج2، ص 189.

بالإضافة إلى المنطقة والجهة والقميص والبيضة، وكان قتيبة بن مسلم يمشي إلى الحرب عليه عمامه خز خضراء متقلدا شيئا عريضا قصير الحمائل[1]

وكان هناك ملابس تتميز بها طبقات معينة من الشعب كل حسب حالته فمثلا كانت ملابس الطبقة الراقية تتألف من سروال فضفاض وقميص ودراعة وسترة وقفطان وقباء وقلنسوة وعباءة أو جبة[2] وكانت قمصانهم بدون ياقة والجانب الأيمن مفتوح بالطول والقميص مسدول حتى الفخذين من فوق السروال وعليه تلبس واحدة من الجبب الطويلة وأكمام الملابس طويلة وفضفاضة وشعر الرأس لا يرى أبدا وهم يضعون على رؤسهم قلنسوة صغيرة[3]

أما ملابس العامة فلم يكن لهم لباس خاص يتميزون به عن الطبقات الأخرى ومن الملابس التى اعتادوا اتخاذها لباس الرأس وهو عبارة عن العمامة الملونة والمدرعة المصنوعة من الصوف عادة والسراويل البيضاء المزيلة والإزار والفوط وهي خاصة بالخدم منهم، وكان لباس الفلاحين مصنوعا من القطن الغليظ ويعرف بالأسمال والخلقان والخف والنعال.[4]

وكان هناك أيضا لباس المرأة الخاص بها وكان يختلف أيضا من طبقة إلى أخرى وكان لباس المرأة يتكون من ملاءة فضفاضة وقميص مشقوق عند الركبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة فى البرد وعند الخروج من بيتها ترتدي ملاءة طويلة تغطي جسمها وتقي ملابسها من التراب وتلف رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة وقد تطورت الملابس عما كانت عليه فى العصر الأموي إلى العصر العباسي إذ اتخذت سيدات الطبقة الراقية غطاء الرأس (البرنس) مرصعا بالجواهر محلى بسلسلة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة أما نساء الطبقة

(1) الاصطخري : مسالك الممالك، ص138.
(2) حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام، ج2، ص 349
(3) عبد العزيز عوض لله: بين التركمان، ص468.
(4) فهمى عبد ارزق : العامه في بغداد، ص232 – 233.

الوسطى فكن يزين رؤوسهن بحلية مسطحة من الذهب يلففن حولها عصبة منظمة باللؤلؤ الزمرد ويلبسن الخلاخل فى أرجلهن والأساور فى معاصمهن وأزنادهن ومن زينة المرأة التى كانت ترتديها بانها كانت تطيل دفائر شعرها بخصل من شعر الماعز وكذلك بشرائط الزينة وتزين تلك بالخزرات الزجاجية وبالحلي المصنوعة من الفضة وتتزين النساء المسنات بتيجان يحملنها فى حفلات الزفاف وفى الأعياد وحسب المركز المالي للعائلة فإن القمصان تزين بأوراق فضية أو غيرها من الأشياء ويوجد على رأس الأطفال طاقية مشغولة بالأوية الإبرية والفتيات يلبسن أيضا مثل الفتيان تماما والفرق الوحيد يتمثل فقط فى أن ألبستهن تطول حتى تصل إلى أقدامهن وشعورهن تتدلى تحت أصداغهن وكانت قلانس الفتيات يتدلى منها شرائط وشراشيب مصنوعة من الصوف أو من الحرير الأسود.[1]

وكانت هناك أيضا ملابس الزهاد والمتصوفة المصنوعة من الصوف الخشن.[2] عادة يلبسون الثياب الملونة بالأزرق وغيره وأحيانا يلبسون المرقعة ولعل مرجع ذلك إلى رغبتهم فى التمييز عن غيرهم بإظهار الزهد والعزوف عن الدنياأما لباس أهل الذمة فكان يختلف من خليفة إلى آخر فغالبا إنها كانت تعليماتها تنفذ كلها لأنها صارمة جدا ومنها أن يرتدوا الزنار حول أوساطهم ويكون الزنار رفيعا جدا وذلك فى عهد هارون الرشيد، وكان اليهود يلبسون البراطيل وهو غطاء للرأس وكان النصارى يلبسون البرانس.[3]وفى عهد المتوكل فرض عليهم أن يرتدوا الطيالسه العسلية وأن يرقعوا اللباس لرجالهم برقعتين

(1) آدم متز: المرجع السابق، ج 1، ص84 ، 85.
(2) ابن خلدون : عبد الرحمن ت (808هـ) .المقدمة، مراجعة احمد زكى، دار إحياء الكتب العربية (1960م)، مجلد1، ص 863.
(3) ثناء عبد الرحمن بلال: الملابس فى العصر القبطى والإسلامى، دار النهضة العربية، ط1 (1982م)، ط (1983م)، ص23.

تخالفان لون الثوب ولون الواحدة غير لون الآخرى[1]

وكانت الملابس أيضا وألوانها لها وظائف أخرى فى الحياة الاجتماعية فكان اللون الأبيض مثلا هو لون رسم العزاء فى العصر الغزنوي[2] أما فى عهد السلاجقة فكان يستخدم اللون الأسود حدادا على المتوفي.[3]فكانتعمامة المسلم تمتاز باللون الأبيض أما عمامة الأقباط واليهود فكان لونها أزرق أو أسود أو رمادي.

(1) آدم متز: المرجع السابق، ج1، ص 84 – 85.
(2) البيهقي: تاريخ بيهق، ص14.
(3) الراوندي: راحة الصدور، ص275.

الخاتمة

من خلال البحث يتضح مدى الأهمية المكانية لإقليم الشاش بالنسبه لبلاد ما وراء النهر حيث كان بمثابة الثغر الاخير للعالم الإسلامي، كما أنها وقعت على الطرق التجارية بين الشرق والغرب مثل طريق الحرير .

كما يتضح أن المجتمع الشاشى اتصف بصفات حميدة عده وتمتعت فيه المرأة بمكانة خاصة حيث شاركت فى الحياة الاقتصادية والسياسية.

أما عن عناصر المجتمع الشاشي فتكون منعدة عناصروهى الاتراكوهم الأكثر عددا والفرس والعرب الذين جاءوا مع الفتح الإسلامي .

اما عن الديانات فقد عرف إقليم الشاش الديانات السماوية ولكنها لم تنتشر كما انتشرت الديانات. الوثنية الأخرى كالزرادشتيةوالمجوسية وغيرها ثم جاء الاسلام ليكون الدين الاكثر وجودا فى ذلك الإقليم.

تطورت ملابس سكان إقليم الشاش فى العصر العباسي واختلفت من طبقة لأخرى، ومن مهنة لأخرى فملابس الجند غير ملابس الكتاب غير ملابس الزهاد غير ملابس النصارى، فكان الشخص يعرف من زيه صناعته وطبقته.

❊ ❊ ❊

الملاحق

خريطة توضح موقع إقليم الشاش-الثغر الاخير- بالنسبة لبلاد ما وراء النهر.

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر والمراجع:

اولا : المصادر العربية والمعربة:

المصادر التاريخية:

1. ابن الأثير : أبى الحسن على بن عبد الكريم الجزرى ت (630هـ): الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط3، (1418هـ/ 1998م) .

2. ارسلان الخوارزمي (مظهر الدين أبى محمد محمود بن محمد بن العباس): تاريخ خوارزم، تحقيق: محمود محمد خلف، دار الكتب العلمية، لبنان، 2018م.

3. الأندلسى : أبى القاسم صاعد بن أحمد ت (462هـ) : طبقات الأمم، طبع على نفقة عبد الرءوف أفندى الدباغ، مطبعة السعادة بمصر . بدون . ت .

4. أبى بكر الدوادارى بن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر فى أخبار الأمم القديمة، تحقيق 1 دوروتيا كرافولسكى ، بيروت (1413هـ - 1992م)

5. البلازرى : أبى الحسن، ت (279هـ) : فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، (1403هـ/ 1983م) .

6. البيهقى: أبو الفضل، ت (470هـ): تاريخ البيهقى، نقله إلى العربية حيى الخشاب، صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (1956م) .

7. الجوزى : جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن ت (597هـ) .تلبيس إبليس، مطبعة دار إحياء الكتب العربية 1986م .

8. ابن خلدون : عبد الرحمن ت (808هـ) .المقدمة، مراجعة احمد زكى، دار إحياء الكتب العربية (1960م) .

9. الراوندى : محمد بن على بن سليمان ت (599هـ) :راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى

وآخرون، دار القلم بالتوفيقية، القاهرة (1379هـ/ 1960م).

10.الزركلى : خير الدين : الأعلام ـ قاموس تراجم، دار العلم للملايين، ط14، (1999م) .

11.شاهنشاه : عماد الدين إسماعيل ت (732هـ) : تقويم البلدان، تصحيح ريفود والبارون ماك كوكسين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، بمدينة باريس المحروسة، (1840م) .

12.الشيزرى : عبد الرحمن بن نصر : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (1365هـ/ 1946م) .

13.الطبرى : جعفر محمد بن جرير، ت (310هـ) :تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 4 (1384هـ/ 1964م).

14.العمرى : لابن فضل لله شهاب الدين أبى العباس ت (749هـ) مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، تحقيق د/ محمد عبد القادر خريسات، إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ (2001م).

15.أبى على الشاشى ت (344هـ) : أصول الشاشى، وبهامشه عمدة الحواشى للمولى محمد فيض الحسن الكنكوهى، دار الكتاب العربى بيروت لبنان (1402هـ/ 1982م) .

16.ابن قتيبة : أبى محمد عبد لله بن مسلم الدينورى ت (276هـ) .عيون الأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة (1925م).

17.القرمانى : ابن العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، طبع فى بغداد (1282 هـ) .

18.القلقشندى : أبى العباس أحمد بن على ت (821هـ): صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، (1405هـ/

1985م).

19.المقدسى : شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الشامى ت (380هـ): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2 (1909م).

20.ابن النديم : أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحاق الوراق ت (380هـ): الفهرست، تحقيق رضا بن تجدد بن على زين العابدين المازندرانى، دار المسيرة بيروت لبنان ط3 (1988م).

21.النرشخى : أبا بكر محمد بن جعفر ت (348هـ) : تاريخ بخارى،عربه عن الفارسية وحققه أمين عبد المجيد بدوى، نصر الله الطرازى، دار المعارف بمصر، بدون.ت.

المصادر الجغرافية :

1.الإدريسى : أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية (1414هـ/ 1994م).

2.الإصطخرى : أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الكرخى : مسالك الممالك، طبع فى مدينة ليدن المحروسة بريل، دار صادر بيروت (1927م)

3.الأندلسى : أبى عبد الله البكرى، ت (487هـ) :معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط1 (1368هـ/ 1949م).

4.الحموى : شهاب الدين ياقوت الرومى ت (626هـ) :معجم البلدان، دار صادر بيروت، ط1(1993م)، ط 2 (1995م).

5.ابن حوقل : أبى القاسم النصيبى ت (380هـ): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان (1979م).

6.الخوارزمى : أبو جعفر محمد بن موسى :كتاب صورة الأرض من المدن

والجبال والبحار والجزائر والأنهاراستخرجه الخوارزمى من كتاب جغرافيا ألفه بطليموس القلوذى، تصحيح هانس فون مشريك، مطبعة أدولف، بمدينة فيينا الجليلة.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة :

1 .إبراهيم أيوب .:التاريخ العباسى السياسى والحضارى، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمى، ط1، 1989م .

2 .موسوعة التاريخ الإسلامى – الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها، مكتبة النهضة المصرية، ط 6 (1982م)، ط 8 (1994م).

3 .أحمد محمد الحوفى : التيارات المذهبية بين العرب والفرس، بدون .ت.

4 .بدر الدين حى الصين العلاقات بين العرب والصين،مكتبة النهضة المصرية، ط1،(1370هـ/ 1950م) .

5 .آدم متز .الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريده، دار الكتاب العربى بيروت، ط 4،(1378هـ/ 1967م) .

6 .أمين واصف بك : الفهرست (معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية)، تحقيق أحمد زكي، مطبعة المعارف، الفجالة،القاهرة. 1334هـ – 1916م.

7 .بارتولد .تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان، الكويت (1981م)

8 .تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة العامة للكتاب (1996م) .

9 .برتولد . أشبولر .تاريخ إيران، درقون، تحسينين إسلامى، ترجمة جواد فلاطورى، تهران (1369هـ) .

10. بدر عبد الرحمن محمد . رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1(1987م) .

11. ثناء عبد الرحمن بلال . الملابس فى العصر القبطى والإسلامى، دار النهضة العربية، ط1(1982م)، ط (1983م) .

12. جرجى زيدان . تاريخ التمدن الإسلامى، مطبعة الهلال، ط3 (1922م).

13. عروس فرغانة دار الجيل، بيروت لبنان، ط2، بدون . ت .

14. حسن إبراهيم حسن – تاريخ الإسلام – السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، 4 أجزاء، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14 (1416هـ/ 1996م).

15. حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف .العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، ط1، بدون.ت.

16. الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى (21 – 447هـ)، دار الفكر العربى، ط1 (1972م)، ط (1998م) .

17. حسين مجيب المصرى . صلات بين العرب والفرس والترك،الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1 (1421هت / 2001م).

18. رشا عبد الكريم فالح النور: المرأة ودورها الاجتماعي والسياسي في بلاد ما وراء النهر منذ العصر الاموي حتى نهاية الدوله السامانية(41 – 389 هـ/ 661– 998م) مجلة كلية الآداب، جامعه البصره، ملحق العدد التاسع عشر،كانون الاول 2015م.

19. سليمان الراجحى .الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى ـ انتشارا الإسلام، طباعة ونشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، (1412هـ/ 1992م).

20.شكرى فيصل ، المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول، مطابع دار الكتاب العربى بمصر، محمد حلمى المنياوى (1371هـ/ 1952م).

21.عبدالعزيز جنكيز خان: تركستان قلب آسيا، الجمعية الخيرية التركستانية، 1945م.

22.عبد العزيز عوض الله، بين الترجمان مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، العدد 11 (1413هـ/ 1993م) .

23.فهمى عبد الرازق سعد .العامة فى بغداد فى القرنيين الثالث والرابع الهجرين، بيروت، (1983م).

24.صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية فى القرن الثاني الهجري فى البصرة، بغداد، 1953م.

25.فامبرى أرمينوس :تاريخ بخارى، منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة أحمد الساداتى، مراجعة يحيى الخشاب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

26. (1965م).

27.فيليب حتى، أدورد جرجى، جبرائيل جور :تاريخ العرب (مطول) دار الكشاف للنشر، 1950م .

28.محمد محمود إدريس : رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية دار الثقافة للطباعة والنشر، ط1، (1983م) .

29.السلطان سنجر السلجوقى، سياسته الداخلية وأهم مظاهر الحضارة فى عصره ط (1988م).

30.مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار وادي النهضة للنشر

31.هدى درويش: دور التصوف فى انتشار الإسلام فى آسيا الوسطى والقوقاز، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، (2004م) .

ثالثاً: الرسائل العلمية الغير منشورة .

1.عبد البارى محمد الطاهر الشرقاوى :مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية فى خراسان وما وراء النهر فى القرنين الثالث والرابع الهجرين، رسالة دكتوراه، دار علوم جامعة القاهرة، (1413هـ/ 1993م)

2.محمد على حيدر :- الدولة السامانية حتى عام331هـ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة (1965م).-الأوضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق (330 - 450هـ)، رسالة دكتوراه، دار علوم، جامعة القاهرة (1968م) .

3.محمود عبد الله جمعه مراد: إقليم الشاش من الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى (دراسة تاريخية حضارية)، جامعة الزقازيق معهد الدراسات والبحوث الأسيوية، رساله غير منشورة.

رابعاً: المعاجم:

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطابع الأفست، شركة الإعلانات الشرقية،ط3 ،(1985م) .

خامساً : المراجع الأجنبية :

Fuat sezgin, studi Eson AL- watwat, AD- DIMASQI, IBN AL- WARDI and A- BAKUWI, institute for the history of Arabic , Islamic Science ., 1994.

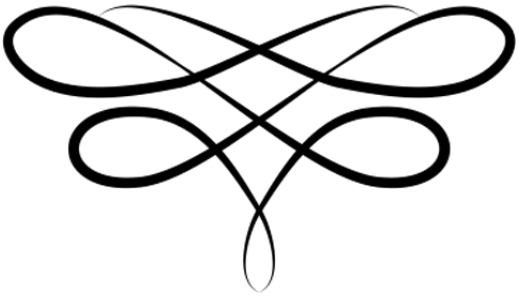

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

فن التصوير في بلاد ما وراء النهر

The art of photograph in transoxiana

العربي بوبكر، جامعة يحيى فارس المدية، الجزائر.

الملخص:

شكلت الفنون احد مجالات الإبداع في الحضارة الإسلامية، وفي هذا المقال نتناول جانب من تلك الفنون التي ميزت أسيا الوسطى عامة وبلاد ما وراء النهر خاصة، حيث ازدهرت مختلف الفنون الإبداعية خاصة انتشار فن التصوير الذي يعد من بين الفنون الإسلامية التي تركت بصمتها في الحياة الفنية خاصة في عهد السلالة التيمورية التي حكمت أسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر بين 771هـ،911هـ/ 1370م، 1506م، حيث ازدهر فن التصوير الذي نهل من التراث الصيني القديم وايضا من الدول التي سبقت الدولة التيمورية مثل الدولة المظفرية و الدولة الجلائرية، وماهي الأساليب الفنية في فن التصوير الإسلامي وماهي إبداعات المسلمين فيه؟، ومن هم أشهر الفنانين المصورين في تلك الفترة؟.

الكلمات المفتاحية: بلاد ما وراء النهر، المسلمين، التيمورية، أسيا الوسطى، التصوير.

Abstract :. The arts constituted one of the areas of creativity in Islamic civilization, and in this article we discuss an aspect of these arts that distinguished Central Asia in general and Transoxiana in particular, where the various creative arts flourished, especially the spread of the art of photography, which is part of the

Islamic arts that left its mark in a significant way. Especially in artistic life. During the era of the Timurid dynasty that ruled Central Asia and Transoxiana between the years 771 AH and 911 AH / 1370 AD and 1506 AD, the art of photography flourished, which was derived from the ancient Chinese heritage and also from the countries that preceded the Timurid state, such as the Muzaffarid state and the Jaliriyah state, and what are the artistic methods in the art of photography? ? What are the innovations of Muslims in this art? Who are the most famous artists and photographers of this period

Key wordsTransoxiana, Muslims, Timurid, Central Asia, photography.

* العطبي بيبيط laarbi.boub@gmail.com

1: مقدمة

يعتبر فن التصوير أكثر المجالات إبداعا وإنتاجا في تراث الشعوب والحضارات القديمة، خاصة عند الشعوب الشرقية، وكثير ما وجد هذا الفن معارضة تبعا لتأثيرات المعتقدات الدينية السائدة عند تلك الشعوب خاصة المعتقدات الوثنية التي كانت تحرمه وترفضه، وكذلك الحال في تراث الحضارة الإسلامية لقي الكثير من المعارضة وعدم الاستحسان في ظل رفض الكثير من الفقهاء والعلماء مستندين إلى بعض الأسانيد الشرعية، وعدم قبوله واستحسانه لدى فئة لأبأس بها من الناس، وكانت المبررات الدينية أكثر الأدوات التي يستند عليها البعض لتبرير ذلك الرفض[1].

2: تعريفه:

يعرف التصوير فى دائرة المعارف الإسلامية[2]، من خلال ما كتبه صاحب

(1) زكي محمد حسن،التصوير وأعلام المصورين في الإسلام،مؤسسة هنداوي،2013،ص،6.
(2) مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفني، 1418هـ، 1998م، ص 2268.

المقال معلقا على مادة التصوير، أن المقصود به هنا تشكيل التماثيل ورسم الصور[1]، وهو فن عرفه العرب قبل الإسلام من خلال شواهد عدة.

أعتمد فن التصوير في العالم الإسلامي على مصادر وأصول متنوعة،وما يؤكد ذلك مجموعة من الشواهد والأدلة المختلفة، من فن التصوير الإسلامية خاصة في العصر الأموي والعباسي، حتى أن بعض هذه الشواهد مازالت قائمة إلى اليوم[2].

3: مصادر فن التصوير الاسلامي:

أما عن مصادر فن التصوبر الإسلامي إرتبطت بشكل مباشر بانتشار الإسلام في مناطق مختلفة من العالم،كالعراق وبلاد فارس وسوريا ومصر وأواسط آسيا[3]،حيث خلقت هذه البيئات تنوعا في الأساليب الفنية، تبعا للمنطقة التي دخل إليها المسلمين، وطبيعة التأثيرات الفنية،كما أن العلاقات الخارجية والتواصل مع الشعوب الأخرى التي كان لها السبق في إنتشار هذا الفن قد ساهم في تطوره في بلاد المسلمين، والكثير من الدراسات التاريخية تؤكد أن معظم البلاد التي دخلها المسلمين ظلت تتمتع بقدر وافر من فن التصوير،وذلك من خلال الرسومات التي وجدت في تلك البلاد،والآثار الفنية المتنوعة التي تأثر بها المسلمين.

إنتشر الفن القبطي في مصر، أما بلاد فارس فكانت تحت تأثير الفن الساساني والفن البيزنطي في سوريا بإعتبارها ظلت لفترة طويلة تحت سلطة البزنطيين،لكن ما تجدر الإشارة إليه هنا أن العرب الذين دخلوا تلك المناطق لم يأتو إليها

(1) أنتشر فن النحت والتماثيل خاصة عند الشعوب الإغريقية،وذلك نظرا للمعتقدات الدينية التي كانت تصور الآلهة على شكل إنسان، فصنعوا لذلك التماثيل وبرعوا فيها، وهو الأمر نفسه الذي كان في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام.

(2) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص 2268.

(3) اشتهرت بلاد فارس بالتراث الساساني الذي تسرب إلى الحضارة الإسلامية في فترة النفوذ الفارسي على الخلافة العباسية، كما أن الأمويين تأثروا ببعض الأساليب الفنية البيزنطية في حين أن الفن القبطي أثر بشكل بارز خاصة في مجال تجليد الكتب وكان أثره جليا في مصر وبعدها بلاد الشام..

فارغي الإيدي[1].

لكن المسلمين الذين دخلوا تلك المناطق جاؤوا ببعض المفاهيم الفنية والتي ورغم بساطتها إلا أنها ساهمت في أسلوب فني جديد خاصة في مجال التصوير، ما يؤكد هذا الكلام ما ذكره الأستاذ أحمد تيمور باشا في كتابه التصوير عند العرب، إذ يورد إشارات واضحة،على أن العرب كان لهم معرفة بهذا الفن، وهو بذلك يفند قول القائلين أن العرب لم يعرفوا فن التصوير[2].

يعتمد تيمور باشا في تبرير دور العرب فى هذا الفعلي ماورد فى بعض الشواهد الشعرية وهنا يقول أن الشاعر لما يصف،فإنما هو يصف شيئا موجود وقع عليه نظره1، فالتصوير عند العرب في الجاهلية كان معروفا،والتماثيل موجودة، وما يدل على ذلك مختلف القرابيين التي كانت تقدم لها،ثم أن الرسول ﷺ،لما فتح مكة أمر بإزالة تلك الصور[3] لأنها مرتبطة بالوثنية الجاهلية[4]،وحطم تلك التماثيل[5]، وهذا يبرز أن هناك من كان يبدع فى هذا المجال.

يتفق جمهور واسع من العلماء على كراهية فن التصوير منذ عهد النبي ﷺ[6]، وربما هذا الأمر هو الذي دفع كثير من الفنانين المسلمين أن ينصرفوا إلى ممارسة ضروب أخرى من الزخرفة بعيدا عن تجسيم الطبيعة أو تصويرها، في حين يذهب طرف آخرمن الفقهاء إلى باب التحريم مستندين

(1) يشير العالم جلوك أن العرب كانوا يملكون المبادئ الأولية في فن التصوير وصناعة التماثيل للمزيد أنظر: كريستي، أرنولد برجسي، تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير، تر، زكي محمد حسن، ط1، دار الكتاب العربي، 1984.

(2) أحمد تيمور باشا، التصوير عند العرب، دط، دار الأفاق العربية، دت، ص 6 .

(3) نفسه، ص،3.

(4) نفسه،ص،3.

(5) نفسه،ص،3.

(6) نفسه،ص،3.

على كثير من النصوص[1].

رغم تباين موقف العلماء والفقهاء من مشروعية التصوير من عدمه، إلا أن المؤكد فى كل هذا أن هذا الفن شاع في البلاد الإسلامية على نطاق واسع، خاصة لدى الشعوب الإسلامية غير السامية، لأن أكثر العلماء يحسبون أن الشعوب الإسلامية كانت تحس شعورا نفسانيا يبعدها عن التصوير،وكانت تنسب إلى الصور والمجسمات أخطارا وشرورا جمة[2].

يبدو من خلال هذا أن الشعوب التي دخلت الإسلام، بقيت في غالب الأحيان محافظة على تراثها الفكري والعلمي والفني،لذلك لا نستغرب استمرار فن التصوير رغم كراهيته عند البعض كما مر معنا.

وإجمالا يمكن القول أن فن التصوير أستمد صورته الأولى من بلاد العرب، وخاصة شبه الجزيرة العربية[3]، وهذا يبرز ميراث العرب الفني قبل الإسلام،إلا أن هذا الفن هذب لما أختلط بالروح الإسلامية التي صححت بعض المفاهيم التي تناقض روح الإسلام[4]، أو تلقى معارضة من الفقهاء وحتى عامة الناس.

تميزت الأقطار التي دخلها الإسلام بخصوصيات فنية مميزة عن ما جاء به المسلمين،فمصر التي دخلها الإسلام في بداية القرن الأول للهجرة،ظلت متأثرة

(1) هناك أحاديث نبوية صريحة تنهى عن صناعة التماثيل وعن تصوير كل ما فيه من روح سواء كان إنسان أو حيوان أو طير، في حين تجيز ما ليس فيه روح كالأشجار والأزهار وغيرها،ويمكن أن نشير إلى الحديث النبوي الذي ذكره أبو الحمد فرغلي في كتاب التصوير في الإسلام بسند يرجع إلى الإمام الترمذي،عن أبن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»، من سنن الترمذي نقلا عن :

(2) أبو الحمد فرغلي،مرجع سابق،ص،43.

(3) زكي محمود حسن، التصوير وأعلام المصورين فى الإسلام، ص،8.

(4) ظل الفن بصفة عامة، والتصوير على وجه الخصوص في خدمة الديانات في بلاد الشرق عامة، سواءا في الديانات الوثنية، أو حتى السماوية، كاليهودية التي أبعدت الفن عن الناس، وكذا الأمر بالنسبة المسيحية، إلا أن المذهب الكاثوليكى حاول أن يستغل الفن لخدمة تعاليمه، انظر:

سعاد ماهرمحمد، الفنون الإسلامية، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2005، ص، ص،3،2.

بالفن خاصة بعد أن برع الإغريقي الروماني ذو النزعة المسيحية، سرعان ما أخذ الطابع المحلي،خاصة بعد أن برع الأقباط في مختلف الفنون، وخاصة فن تجليد الكتب الذي أخذ منه العرب بعد أن استقروا في مصر[1].

أما بلاد الشام فظلت لوقت على احتكاك مستمر بالفنون المسيحية البيزنطية، أما منطقة العراق وإيران فكانتا تحت تأثير الفن الساساني الذي أمتد إلى بقية الأقاليم خاصة في الفترة التي كانفيها الغرس على نطاق واسع من العالم الإسلامي، ويتحكمون في مفاصل الدولة، خاصة في العصر العباسي الأول.

وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على بلاد ماوراء النهر، التي ظلت لوقت طويل معبرا لمختلف الثقافات خاصة تلك القادمة من الصين.

بصفة عامة فإن الباحث ودون عناء يمكن أن يستدل على تطور الفنون وانتشارها في فارس والهند وبلاد الترك من خلال مختلف الشواهد التي تؤكد على وجود فن التصوير وإستخدام الصور في الحضارة الإسلامية[2].

تأثرت منطقة أسيا عموما وبلاد ما وراء النهر خصوصا،بالمفاهيم الفنية الإسلامية خاصة بعد أن نهايةالفتح الإسلامي هناك، وأمتزج الفاتحون مع السكان الأصليين المتأثرين بالشعوب المجاورة لهم[3]، كما أن موقعها الجغرافي الواقع على طريق حيوى، نشطت فيه المبادلات التجارية والحركة الثقافية، أهلها أن تكون محل التأثيرات الفنية الصينية ليس في مجال التصوير الذي برع فيه الصينيون فحسب، بل في مختلف الفنون التطبيقية الأخرى[4]، وهنا لابد أن نشير إلى ملاحظة هامة تتمثل فى تأثير العامل الديني على مختلف الإبداعات،وفي

(1) تم فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب من طرف عمرو بن العاص،سنة 21هـ،641م.
(2) موجز دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، ص، 2266.
(3) لعب الإيغور خاصة في نقل مختلف الفنون إلى آسيا الوسطى، إذ يشير علماء الآثار إلى أنهم كانوا بارعين في مختلف الفنون،وكان دور انتشار الكثير من أساليب الفنية في بلاد ما وراء النهر خاصة بخار،وسمرقند.
(4) يقصد بالفنون التطبيقية الزخارف المختلفة سواء الكتابية أو النباتية أو الهندسية، والتي أرتبط تطورها بتطور الحاجيات المختلفة للمجتمعات الإنسانية، فكانت هذه الفنون معبرا عنها.

تطور الظاهرة الفنية بمختلف أشكالها وأدواتها.

كما معروف فقد سادت عند الصينيين عبادة مختلف مظاهر الطبيعة،كغيرهم من الشعوب الوثنية، إلا أنه منذ القرن السادس قبل الميلاد صارت الكونفوشية المعتقد الرسمي للصينيين[1]، وقد أثرت تعاليمها المختلفة في عقول الناس، وأثرت بشكل مباشر في الحياة الفنية خاصة التصوير.

لعب الجوار الجغرافي وحركة المبادلات التجارية بين الصين وجيرانها،دورا هاما في تغلل الثقافة الصينية إلى الحدود الشرقية للدولة الإسلامية،وهو ما عمل على إنتقال مختلف الفنون إلى تلك المناطق،وكان منها على الخصوص فن التصوير،وعموما يمكن القول أن المدرسة الصينية غلب عليها التنوع باعتبارها تجمع مصورين من ديانات مختلفة، البوذية، المانوية[2]وحتى المسيحية التي وصلت إلى الصين عن طريق الكنائس الشرقية التي كانت منتشرة فى أواسط آسيا،وعليه نستخلص أن منطقة وسط آسيا وبلاد ما وراء النهر كانت ممرا لمختلف الفنون خاصة المسيحية، كما كانت قبل الميلاد منطقة تلقى الفنون الصينية خاصة فن التصوير.

تشيد الكثير من الدراسات التاريخية بمهارة ودقة المصورين الصينيين، ويتجلي ذلك في رسم الأشخاص وإظهار تعبيراتهم المختلفة كالحزن، ومظاهر الفرحة والسرور[3].

إن هذا العرض الموجز الذي يبرز مختلف الفنون التي عرفتها البلاد الإسلامية -قبل وبعد الإسلام، الغاية منها معرفة مدى تأثيرها على تطور

(1) الكونفوشيه تنسب إلى الفيلسوف الصيني كونفوشيوس الذي عاش بين 551ق م، 479 ق م، وهي عبارة عن ديانة تمتزج فيها الكثير من الطقوس والعادات الدينية التي ورثها الصينيون القدامى،مع خليط من الآراء الفلسفية التي جاء بها كونفوشيوس أستمر تأثرها في الصين حتى إلى غاية القرن العشرين.
(2) المانوية ديانة قديمة تنسب إلى ماني الذي ظهر زمن شاور بن أردشير الذي قتله بهرام بن هرمز،وهي خليط من المعتقدات بين البوذية والزرادشتية.
(3) أبو الحمد فرغلى،نشأة التصوير في الإسلام،ص،253.

الأساليب الفنية الإسلامية،التي صارت أكثر إتقانا وتنوعا وانتشارا[1].

4: المدارس الفنية للتصوير:

قبل الحديث عن تطور المدرسة التيمورية في فن التصوير لابد من الإشارة إلى المدارس التي سبقتها لو بإشارات موجزة، وهنا لابد من التعريف بمدرستين هامتين سبقتا المدرسة التيمورية، وهما المدرسة المظفرية في شيراز2 والمدرسة الجلائرية في إيران، اللتين لعبتا دورا بارزا فى وضع أسس وقواعد المدرسة التيمورية، خاصة في عهد خلفاء تيمور لنك وأحفاده ومنهم السلطان بايسنقر في هرات وحسين بايقرا[2]، إذ أزدهر فن التصوير في فترة حكمهما بشكل أثار إعجاب المؤرخين خاصة الغربيين منهم،لذلك كتب البعض منهم في هذا المجال بما يثير الإعجاب وأحيانا حتى الانبهار.

مر فن التصوير الإسلامي بمراحل عدة إلا أن أهمها تلك التي عرفها التيموريون، إذ تعتبر هذه الفترة أزهى مراحل فن التصوير الإسلامي، نظرا لكثرة المبدعين، وتطور الأساليب الفنية المبتدعة، والرعاية التي لقيها من طرف الحكام، لكن هذا لا يمنع من الإشارة، ولو بشكل سريع إلى تطور هذه الفنون في المناطق التي صارت فيما بعد من أملاك التيموريين، وما هي طبيعة الأساليب السائدة قبلهم؟.

5: فن التصوير عند المظفرين:

من المدارس الفنية في التصوير والتي لعبت دورا بارزا، المدرسة المظفرية،

(1)-شيراز من المدن الزاهرة في تاريخ المغول والتيموريين، فيها عاش الشاعر سعدي، وإليها ينسب حافظ الشيرازي، حكمها حفيد تيمورلنك إسكندر سلطان بن عمر شيخ، من 799هـ، إلى818هو، 1396م، 1415م، وكان هو راعيا للشعر والشعراء والفنانين، إزدهرت في عصره الكثير من الفنون، أنظر: أبو الحمد فرغلي، نشأة التصوير في الإسلام، ص، 254.

(2) سلالة مغولية حكمت بلاد ما وراء النهر في الفترة بين 771هـ،911هـ/ 1370م، 1407هـ. يرجع لفيها الفضل الى المؤسس تيمورلنك والى الخلفاء الذين جاؤوا من بعده من امثال ابنه شاه رخ، والسلطان الغ بك واخر السلاطين التيموريين حسين بايقرا.

وآل مظفر هي أسرة عربية دخلت إيران مع الفتح الإسلامي، ولكنها استقرت في إقليم خراسان، إلا أنها سرعان ما نزحت إلى منطقة يزد، بعد موجة الغزو المغولي، تحت زعامة كبيرهم غياث الدين حاجي[1]، وكان له من الأبناء ثلاثة إلتحقوا بخدمة أتابك يزد، ألا أن نجم المظفريين بدأ في البروز مع عهد الأمير شرف الدين المظفربن منصور بن غياث الدين حاجي الذي دخل في خدمة الإيلخانات حتى ترقي إلى رتبة أمير ألف، لكنه توفي سنة 713هـ، وخلفه ابنه، مبارز الدين محمد الذي استطاع في وقت وجيز أن يستقل بحكم مدينة يزد سنة 718هـ، 1318م.

بدأ نفوذ المظفريين يتوسع أكثر بعد أن حققو نجاحات عسكرية، كان من نتائجها الإستيلاء على مدينة شيراز التي صارت عاصمة المطفريين[2]، وفي حدود سنة 757هـ، 1357م، أصبحت مملكة المظفريين تشمل أجزاء واسعة من فارس وكرمان وأصفهان وعراق العجم، متخذين من مدينة شيراز عاصمة لهم[3].

صحيح أن فترة سيطرة المطفريين كانت قصيرة، إلا أن تأثيرها الفني والأدبي ظل قويا، وقد أولى المطفريين عناية واسعة بالعلم والعلماء، ويمكن أن نستدل على الرعاية التي حظي بها الشاعر الإيراني الكبير حافظ الشيرازي في بلاط السلطان مبارز الدين محمد وأبنه السلطان شاه شجاع،وقد عاش الشيرازى في الفترة بين 725هـ، 792هـ، 1326م، 1391م، او 1392م، والمشهور عند الإيرانيين بلسان الغيب، وقد إلتقى حافظ الشيرازى تيمورلنك أثناء حملته العسكرية على شيراز وأعجب به.

(1) حربي أمين سليمان،المؤرخ الايرانى الكبير غياث الدين خواند مير كما يبدو في كتابه دستو الوزراءً، تق، فؤاد عبد المعطى الصياد، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ص، 321..

(2) اتخذ المظفريون من مدينة شيراز عاصمة لهم ابتدءا من سنة 754هـ، 1353م، وهي من المدن الهامة في إيران، استمر وجودها إلى غاية إن قضى تيمورلنك على حاكمهاشاه منصور بن شاه مظفر بن مبارز الدين محمد سنة 796هـ،1394م، لينتهي حكم هذه الأسرة بعد أن تيمورلنك أبنه عمر شيخ حاكما لها.

(3) أبو الحمد فرغلي، نشأة التصوير في الإسلام،195.

ظل إهتمام المظفريون بفن التصوير رغم قصر المدة الزمنية التي حكموا خلالها مميزا، خاصة في مجال رعاية العمارة والفنون، وكان مجال تأثيرهم في العمارة واضحا ليس في عاصمة ملكهم فقط إنما في معظم المدن التي خضعت لسيطرتهم، كيزد وكرمان وأصفهان، أما في مجال التصوير فظهر تأثيرهم واضحا وقويا، وذلك من خلال الخصائص الفنية التي طبعت مدرستهم، أو من خلال مجموعة المخطوطات المزوقة والتي تحمل البصمات المظفرية[1].

يمكن أن نشير ولو بشكل سريع إلى الخصائص الفنية التي ميزت المدرسة المظفرية، ومنها انحصار وتراجع المخرة التي تمثل السماء حتى صارت في بعض الرسومات تكاد تختفي، اهتمام الصورة في العصر المظفري في الرسومات الآدمية على الشخص الرئيسي في الصورة الذي غالبا ما يمثل مركز الصورة، أما من حيث رسومات الحيوانات، فقد رسمت في الغالب بشكل أقرب إلى الواقع والطبيعة[2].

في مجال المخطوطات المزوقة بالصور تذكر المصادر التاريخية أن السلطان مبارز الدين مظهر خلال سيطرته على مدينة تبريز لعدة أشهر وكان ذلك سنة 758هـ،1359م، وفي طريق عودته إلى شيراز أخذ معه الكثير من المخطوطات وبعض الفنانين الذين يتمتعون بدراية واسعة بهذا الفن، كما أن ابنه السلطان شاه شجاع كان من المعجبين جدا بالمخطوطات المزينة بالصور، وهنا يمكن ذكر بعض المخطوطات المزوقة التي تعود إلى هذه المدرسة[3]، والتي تتوزع عبر مختلف المكتبات والمتاحف العالمية[4].

تنسب أيضا إلى المدرسة المظفرية في شيراز العاصمة، نسخة من الشهنامة للفردوسي نُسخت على يد الخطاط مسعود بن منصور بن أحمد سنة 772هـ،

(1) حسن الباشا، مرجع سابق، ص،263.
(2) أبو الحمد فرغلي، مرجع سابق،197.
(3) نفسه، ص،199.
(4) هناك الكثير من المتاحف في العالم التي تحتفظ بكثير من المخطوطات المزوقة التي تعود عصر إلى التيموريين.

1371م[1]، وهي محفوظة في طوبق سراي باستانبول تحت رقم 1511، وتشمل على حوالي اثنا عشر صورة مصورة من أحجام مختلفة تعتبر من أقدم الصور التي انجرت في شيراز تحت رعاية المظفريين، أما دار الكتب المصرية فهي الأخرى تحتفظ، بنسخة من مخطوط الشهنامة لأبي القاسم الفردوسي تحت رقم 73،تاريخ فارسي، وبصفة عامة يمكن القول أن مدرسة التصوير المظفرية ماهى في الحقيقة إلا استمرار للأساليب الفنية الإيرانية المتأثرة من جهة بالأساليب الفنية المغولية التي ظلت سائدة في معظم الأراضي الإيرانية، وقد حرص بعض الايلخانيين على تطوير فن التصوير، لذلك كانت المدرسة المغولية في إيران، من بين أسس مدارس التصوير في العصور الإسلامية اللاحقة، ومن جهة أخرى بالأساليب الفنية الصينية، بحكم العلاقة القوية بين مغول إيران ومغول الصين، لذلك يقول الكاتب ديفيد تالبوت رايس في كتابه الفنون الإسلامية عبر العصور،» إننا نستطيع أن نميز أعمال مدينة شيراز بفضل توهج ألوانها، وبالإقبال الشديد على تصوير المناظر الطبيعية، وبكثرة استعمال مواضيع الطير، والخطوط الدقيقة»[2].

6: فن التصوير عند الجلائريين:

المدرسة الثانية التى أثرت في فن التصوير عند التيموريين،هي المدرسة الجلائرية[3]، وقبيلة أل جلائرتنتمي إلى أشهر أسرة مغولية حكمت في إيران بين مرحلة سقوط الدولة الإيلخانية وقيام إمبراطورية تيمورلنك[4].

(1) أبو الحمد فرغلي، نشأة التصوير في الاسلام، ص،200.

(2) ديفيد تالبوت رايس، الفنون الاسلامية عبر العصور، تر، فخري خليل، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، 2013م، ص، 132..

(3) تعتبر أسرة ال جلائر من أشهر العشائر المغولية التي جاءت من وسط آسيا إلى إيران في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، أسسما خلالها دولة تعود إلى مؤسسها الشيخ حسين برزك الكبير بن أمير حسين بن كوركان بن أقيوقا بن نويان، تعرف هذه الأسرة باسرة الإيلكانيين، أما أشهر حكامها فهو الشيخ معين الدين حسين أويس الذي حكم من 757هـ، 776هـ، 1376م، 1376م، اشتهرت هذه الأسرة برعايتها للعلم والأدب والفن والتصوير في بغداد وتبريز انظر:
عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، أل جلائر، بغداد الحديثة، 1936م.

(4) محمود فرغلي أبوالحمد، نشأة التصوير في الاسلام، ص،219.

لعبت هذه الأسرة دورا كبيرا فى انتشار الأساليب الفنية المختلفة خاصة في مجال التصوير، في ظل الرعاية التي قدمها البلاط الجلائري للأدب والفن والشعر وفن التصويرعلى وجه الخصوص، وهو ما استفاد منه التيموريين بعد أن أخضعوا الجلائريين وأسقطوا دولتهم، لكنهم أخذوا منهم مختلف الأساليب الفنية التي سادت في المنطقة، ومدرسة التصوير الجلائرية ماهي في الحقيقة إلا استمرار للمدرسة المغولية والمظفرية.

من جملة الخصائص المميزة لهذا المدرسة، تزويق المخطوطات بالصور، التي تعد العامل الأول في تطور فن التصوير الإسلامي[1]، إضافة إلى اعتماد المدرسة على الأساليب الفنية الصينية،التي كانت عماد المدرسة المغولية فى إيران، باعتبار أن ال جلائر هم في الأصل إحدى القبائل المغولية[2]، وبصفة عامة يمكن القول أن المدرسة الجلائرية ظهر فيها تراجع واضح للصور الآدمية، وفى المقابل زاد وظهر بشكل بارز الطابع الزخرفي، وتطور واضح ودقيق فى استعمال الألوان خاصة اللون الذهبي.

هناك الكثير من المخطوطات المزوقة بالصور والتي تعود إلى الفترة الجلائرية، وتنتمي إلى مدينتين رئيسيتين الأولى مدرسة بغداد وهي عاصمة الجلائريين، والثانية مدرسة تبريز إحدى المدن الهامة في شمال غرب إيران[3]، ومنها انتقل هذا الفن إلى سمرقند وهرات[4].

(1) نفسه،ص،219.
(2) عباس العزاوي، مرجع سابق، ص، ص24،25.
(3) تبريز: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، أشهر مدن أذربيجان، مدينة عامرة ذات أسوار محكمة، ذكرت في كثير من المصادر خاصة الجغرافية منها، تقع الآن شمال غربي إيران، اشتهرت بانتشار فن التصوير حتى صارت تنافس المدن القديمة مثل بغداد وغيرها،أنظر :
- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى في كتابة الإنشا، تح، محمد حسين شمس الدين،ج4،بيروت،1407ه،1987م، ص،357.
(4) سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2005م، ص،387.

يشير الأستاذ أبو الحمد فرغلي في كتابه التصوير في الإسلام[1]، إلى أهم المخطوطات التي تعود إلى الفترة الجلائرية، معرفا بها وبخصائصها الفنية وأمكن تواجدها العالمية،وهنا يجدر بنا هنا ذكر بعضها، ومن هذه المخطوطات عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني،وما يلاحظ في هذا المخطوط بساطة الأسلوب مع رسم للحيوانات والإنسان والنبات على حد وصف المؤلف.

أما المخطوط الثاني الذي يمكن الإشارة إليه فهو كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين فضل الله الهمذاني، وقد حظي هذا الكتاب باهتمام بالغ في الحضارة الإسلامية ليس فقط لمحتواه العلمي والمعرفي التاريخي، بل لأنه أرتبط بشخصية هامة لعبت دورا كبيرا في بلاط المغول، أنه الوزير والطبيب والمؤرخ رشيد الدين، وتذكر المصادر ان هذا الوزير يعد من بين أشهر وزراء المغول الإيلخانيين، حيث عمل هذا الوزير على رعاية مدينة تبريزالتي بني فيها المكتبات والمدارس،أهمها مدرسة الرشيدية و التي إستقدم إليها الخطاطين والمصوريين والفنانين،لتدوين وتصوير مؤلفاته التاريخيه والفلسفيه[2].

بالعودة إلى كتاب جامع التواريخ الذي كتب باللغتين الفارسية والعربية وتضمن كما أشرنا التاريخ المتصل بالمغول الإيلخانين مستعرضا نسبهم وأهميتهم ودورهم في بناء إيلخانية إيران على وجه الخصوص، ولأهمية الكتاب نسخ إلى عدة مخطوطات لعل أقدمها الموجود بجامعة أدنبرة مؤرخ بسنة707هـ،1308م، وهناك مخطوط آخر تحتفظ به الجمعية الأسيوية بلندن،تم نسخه سنة 771هـ،1314م،و يشمل على تسع وخمسين ورقة ومائة صورة ملونة،المخطوطتين مزودتين بكثير من التفاصيل الفنية والصور المعبرة التي كانت سائدة في تلك الفترة، إذ تمثل المناظر الطبيعية الموضوع الرئيسي في الصورة،ومنها

(1) أبو الحمد فرغلي، مرجع سابق، ص،178.
(2) زكي محمود حسن، التصوير فى الإسلام عند الفرس، ص،134.

تلك التي تمثل صورة بوذا، مع خلو الصورة تماما من الصور الآدمية[1].

إن الإشارة إلى المدراس الفنية التى عرفت قبل التيموريين ماهو في الحقيقة إلا تبرير لمعرفة طبيعة الأسس الفنية المنتهجة فى أسلوب التصوير لدى التيموريين، لأن فن التصوير التيموري ماهو في الحقيقة إلا استمرار للمدارس الفنية السابقة،المغولية والمظفرية والجلائرية[2].

7: فن التصوير في عهد التيموريين:

عرف فن التصوير عصره الذهبي في عهد التيموريين،لاسيما في الفترة التي حكم فيها خلفاء تيمورلنك مدينة هراة، خاصة في عهد السلطان شاهرخ، والسلطان حسين بايقرا حيث أنجبت المدينة أشهر المصورين، إلا أن فن التصوير في هذه الفترة إنما يدين بشكل خاص إلى كمال الدين بهزاد الذي يعد واحدا من أمهر وأشهر المصورين ليس في مدينة هرات والمدرسة التيمورية فحسب، بل في العالم الإسلامي كله[3].

ولد كمال الدين بهزاد في مدينة هرات على الأرجح سنة 448هـ،1440م، لأن هناك تضارب في تاريخ ولادته وتاريخ وفاته، في وقت بلغ فن التصوير مكانة مميزة في تاريخ الحضارة الإسلامية عامة وتاريخ التيموريين خاصة، إذ أن تيمورلنك وبعده خلفاءه أحاطوا هذا الفن برعاية كبرى، تذكر المصادر التريخية أن تيمورلنك عمل بكل جهد أن يجعل في عاصمته سمرقند أكبر عدد من الفنانين والصناع ومنهم المصوريين،حيث عمد إلى نقل المئات منهو من مدينة بغداد وتبريز اللتان عرفتها هذا الفن منذ أمد بعيد،لكن رغم الجهد الذي بذله تيمورلنك

(1) أبو الحمد فرغلي، نشأة التصويرفي الإسلام، ص، ص،179،178.
(2) أجاد الدكتور محمود فرغلي أبو الحمد فى التعريف بهذه المدراس مفصلا فى خصائصها وأساليبها فى كتابه التصوير في الإسلام، ويعتبر الكتاب مرجعا هاما لمعرفة الفنون الإسلامية وخاصة فن التصوير.
(3) ديفيد تاليوت رايس، الفنون الإسلامية عبر العصور، ص،3.
الملحق رقم 5، ص،301، يبرز صورة للرسام، بهزاد، في حين أن الملحق رقم 6، ص،302.، صورة من رسومات الرسام كمال الدين بهزاد.

لتطوير فن التصوير في سمرقند، إلا أن المدينة لم تبلغ ذلك المركز الكبير الذي بلغته مدينة هراة في عهد السلطان شاهرخ[1].

حذا شاهرخ حذو والده إذ عمل على استقدام أشهر الخطاطين و المصورين من أجل تصوير المخطوطات وتذهبيها، وإضافتها إلى نفائس كتب مكتبته العامرة بصنوف شتى من المؤلفات، كما استعان التيموريون بفن التصوير الصيني خاصة في ظل العلاقات الدبلوماسية بين السلاطين التيموريين، خاصة في عصر شاهرخ وبايسنقر وإمبراطور الصين[2]، إذ أوفد السلطان بايسنقر في إحدى البعثات إلى الصين مصور أسمه غياث الدين كلفه السلطان أن ينقل كل مايراه في طريقه من اثار فنية ورسومات.

دون ذالك الوصف في كتاب أسمه مطلع السعدين ومجمع البحرين،كتبه بالفارسية عبد الرزاق السمرقندي، ونقله إلى الفرنسية المستشرق كاترمير، وعادة ما كانت تلك البعثات تعود من الصين محملة بكثير من المنتجات الفنية، التي تحمل أشكال ونماذج متعددة من التصوير، التي كان لها تأثير قوي على الفنون التيمورية[3].

(1) زكى محمد حسن، التصوير في الإسلام عند الفرس، ص، 55.

(2) شهدت العلاقات السياسية والتجارية تطور واضحا بين إيران والصين خاصة بعد نهاية عصر الإيلخانيين في إيران، وسقوط أسرة يوان في الصين، توطدت العلاقة بيت التيموريين وأسرة منج الصينية، كان من نتائج ذلك تبادل البعثات الدبلوماسية بين الصين والتيموريين في ايران، وكانت بعض البعثات الدبلوماسية يصحبها بعض المصورين، مما اتاح الفرصة لبعض المصورين من الاطلاع على روائع الاثار والفنون الصينية ومشاهدة ما لم يتيسر نقله إلى إيران وأسيا الوسطى، وكان من بين أهم البعثات تلك التي اوفدها شاهرخ إلى الصين سنة 822هـ،1419م،وكان رفقتها المصور غياث الدين خليل.
عفاف صبرة، نجوى كيرة، مرجع سابق، ص،282.

(3) من كبار المستشرقين الفرنسيين ولد في بارس في 12 جويلية 1782م، كانت ميوله واضحة إتجاه اللغات الشرقية، فبدأ بدراسة العبريه وبعدها العربية، كان من طلبة المستشرق الكبير سلفستر دو سايى، تقلد عدة مناصب علمية إلى غاية وفاته في باريس عام1875م، كتب عدة مقالات علمية، ونشر الكثير من المؤلفات ومنها الجزء الأول من كتاب رشيد الدين، والقسم الثاني من كتاب السلوك في معرفة دول الملوك للمقريزي، كما نشر كتاب مطلع السعديين لعبد الرزاق السمرقندي، للمزيد عنه وعن نشاطه العلمي أنظر:
-عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ص،446.

سار بايسنقر على منوال والده، إذ عمل على إنشاء معهد للفنون، وظف فيه عددا هاما من الفنانين والمصورين، ورغم الجهود السابقة في فن التصوير، إلا أن عصره الذهبي في مدينة هراة إنما يعود إلى السلطان حسين بايقرا ووزيره الأديب والفنان والمبدع علي شير نوائي، في هذا الوسط المفعم بروح الفن المنتشرة في كل ربوع مدينة هراة والمدعمة بكل أدوات التشجيع، ظهرت أبرز شخصية في فن التصوير، ليس في هراة وحدها، بل في العالم الإسلامي، وهنا تفتقت عبقرية الرسام بهزاد الذي إعتبرته المصادر والكتب التاريخية أشهر مصوري العصر التيموري إن لم يكن أعظمهم.

جمع بهزاد عناصر البراعة و التفوق، فزيادة على موهبته، تعززت لديه أسباب الطموح، مشبعة، بالإرادة والرغبة والفضول، جعلته هذه العناصر يتفوق على كثير من مصوري عصره أو حتى من سبقوه، يقول عنه بعض المؤرخين معبرين عن تلك الموهبة والإبداع»حتى أن شعرة واحدة من فرشاته كانت قادرة بفضل عبقريته على بعث الحياة في الجماد[1]،وربما مثل هذا التعبير المبالغ فيه،إنما هو كناية عن تلك المهارة والموهبة الكبيرة التي جعلت بهزاد وأعماله الفنية تلقى التقدير والثناء بين معاصريه وطغت على كل مواهب اقرانه .

إن الإختلاف بين بهزاد و معاصريه إنما يعود إلى اختلاف الأساليب الفنية المستعملة، فهو جاء بنظرة جديدة للفن عامة والتصوير خاصة، سواء بالنسبة لمن سبقوه أو عاصروه، كان التجديد سمة فنه والابتكار سبيله إلى فن جديد ليس مختلفا إنما يعكس وجها جديدا للتصوير، ومن هنا ظهر في عهده أسلوب فني مبتكر ومستقل عن الأعمال السائدة في عصره، ذكر كثير من المختصين

(1) أمين حربي، دستور الوزراء لخواندمير، ص،23

في مجال التصوير أو على الأقل من اعتمدت عليهم في هذا العمل[1].تشير إلى أن بهزاد وتلاميذه من بعده اعتمدوا الدقة في الأداء والعناية الفائقة في رسم الأشخاص، وهنا تظهر موهبته واضحة في رسم وجوه الأشخاص، إذ تظهر وجوه الأفراد في رسوماته بشكل واضح، كما أبتدع أسلوب جديد في استخدام الألوان،محاكيا صور الطبيعة.

ظلت مدينة هرات تغري بسحرها وجمالها كل من عاش فيها،بجبالها التي تحيط بها من كل مكان، وأشجارها وإزهارها وأنهارها التي زادت الطبيعة رونق وجمالا، كما طرق بهزاد باب الرسوم الشخصية ونجح في ذلك من خلال صورتان،إحداهما للسلطان التيموري حسين بايقرا، التي ظهرت فيها تعابير الوجه وكأنها تبدو صورة واحدة، وهو تحد بإعتباره أنه طرق بابا لم يكن متاحا لكثير من الرسامين والمصورين.

أما الصورة الثانية للسلطان محمد شيباني خان[2]، ويعد هذا العمل أول نماذج الصور الشخصية في فن التصوير الفارسي، الذي ظل حكرا على الصينيين واليابانيين في تلك الفترة[3]، أما الميزة الجديدة التي جاء بها بهزاد، هو أنه أول من

(1) هناك الكثير من المؤلفات التي إعتنت بفن التصوير في الإسلام، يمكن ذكربعضها التي أمكنني الإطلاع عليها وأهمها: كتب زكي محمد حسن، الفنون الإسلامية، الفنون الإيرانية، التصوير وإعلام المصوريين في الإسلام، التصوير في الإسلام عند الفرس،كتاب التصوير الإسلامي في العصور الوسطى لحسن الباشا،كتاب التصوير الإسلامي، لمؤلفه أبو الحمد فرغلي، كتاب الأستاذة سعاد ماهر الفنون الإسلامية، ومؤلفات أخرى يتم تثبتها في قائمة المراجع..

(2) محمد شيباني خان أحد زعماء قبائل الأوزبك التركمانية الذي عمد إلى إسقاط الأجزاء الشرقية من إمبراطورية تيمورلنك، قتل في عهد الشاه إسماعيل الصفوى، الذي قطع جسمه إلى أربعة أجزاء وأرسلها للمتمردين لتخويفهم وبعث براسه إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني، للمزيد أنظر:

-محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران (907هـ،1148هـ،1501م،1776م)، ط1، دار النفائس،1430هـ، 2009م، ص، ص،63،62.

(3) زكي محمد حسن، التصوير في الاسلام عند الفرس، 1936، ص،50

استخدم التوقيع على لوحاته الفنية[1].

أتجه كثير من معاصريه إلى تقليد أساليبه الفنية و توقيعه، وهنا يمكن القول أن معاصريه كانوا على درجة كبيرة من الإلمام بفن التصوير حتى كادت أعمالهم تضاهى أعمال بهزاد، أما الأمر الثاني فيعود إلى شهرة بهزاد بين مصوري عصره مما أدى بالكثير منهم إلى تقليده ومحاولة السير في نفس المسار الفني.

رغم أن تيمورلنك أهتم بشكل ملفت إلى مختلف الفنون ومنها فن التصوير، إلا أن المؤلفات التاريخية لا تنسب إلى مدرسة سمرقند سوى بعض المخطوطات المصورة،رغم وجود بعض المخطوطات المعاصرة لها في مدرستي شيراز وبغداد[2]، ورغم ذلك توجد بعض المخطوطات المصورة التي تعود إلى المدرسة التيمورية بسمرقند لكن في عهد خلفاء تيمورلنك،ومنها كتاب في الفلك بعنوان «صور الكواكب» وكتاب نسخ لحاكم سمرقند الغ بك بن شاهرخ، محفوظة الآن بالمكتبة الآهليه بباريس[3].

أما عن مدرسة هرات فإنه يمكن ذكر بعض المخطوطات التي تعود إلى هذه المدرسة ومن توقيع الرسام بهزاد، ومنها مخطوطتين هامتين إحداهما المخطوطات الخمسة بالمتحف البريطاني ونسخت سنة 846هـ،1442م، وهي تحوي ثلاث صور رسمت في عصر متأخر عن المخطوطة أي حوالى898هـ، 1493م، والمخطوطة الثانية كتاب البستان المحفوظ بدار الكتب المصرية مؤرخة سنة 893هـ، 1488م[4]،وتشير معظم المؤلفات التاريخية خاص المشتغلة بحقل الفنون الإسلامية إلى عدد معتبر من المخطوطات المصورة والمزوقة التى تعود

(1) يذكر ديفيد تالبوت رايس في كتابه الفنون الإسلامية عبر العصور أن أول من أستخدم التوقيع على رسوماته مصور يدعى روح الله ميرك وكان ذلك سنة 1496م، في حين أن الغالبية تشير إلى أن أول من إستخدم التوقيع هو كمال الدين بهزاد.

(2) ديماند، الفنون الاسلامية، تر، احمد عيسى محمد، دط، دار المعارف، دت، ص،52.

(3) نفسه، ص،56.

(4) زكي محمد حسن، التصوير وإعلام المصورين في الإسلام، ص،27.

إلى المدرسة التيمورية في مدينتى سمرقند وهرات.

أحرز فن التصوير في العهد التيموري تطورا واضحا من خلال وجود عدد كبير من المخطوطات المصورة التى تعود إلى مدرسة سمرقند وهراة، اللتان تعتبران أهم مدرستين في التصوير، والفضل الأكبر في إشاعة فن التصوير في العصر التيموري،يعود إلى الرسام و المصور بهزاد الذي أحرز شهرة واسعة فاقت معاصريه ومن سبقه من مصوري العصور السابقة[1].

طمست أعماله الفنية ذكرى غيره من مصوري العالم،وفاقت صوره صور غيره من سائر الفنانين بفضل ما وهبته يده من مقدرة سحريه، وانبعثت الحياة في الجمادات، بما كمن بين شعرات فرشاته من عبقرية ونبوغ»[2]وربما كان موقف المؤرخ خواندمير متحيزا لبهزاد بسبب الصداقة التي جمعت بينها،وظهر الآمر وكأنه إنحيازا إلى حد المبالغة، لكن هذا لا يمنع من الإعتراف بعبقرية ذلك المصور البارع ودوره في تاريخ التصوير الإسلامي.

أشاد برسوماته الإمبراطور المغولي بابر من خلال رسوماته للدراويش من تصويرة من مخطوطة مؤرخة في هراة سنة 890هـ، 1458 محفوظة في مكتبة شستربيتي بلندن[3].

لم يكن بهزاد المصور الوحيد في مدرسة هرات التيمورية، إنما نجد بعض المصورين الذين برعوا في ذلك الفن، صحيح أنهم لم يصلوا إلى تلك الدرجة العالية التي بلغها بهزاد، ولكنهم تركوا بصمة واضحة في تاريخ فن التصوير التيموري، ومنهم قاسم علي، وشيخ زادة، ومحمود مذهب و مير سيد علي، ومظفر علي وسلطان محمد،وغيره[4].

(1) ديماند، مرجع سابق، ص،57، وردت تقريبا نفس العبارات عند عفاف صبرة، ونجوى كيرة، في مرجع سابق ذكره، ص،287.
(2) نفسه، ص،57.
(3) عفاف صبرة، نجوى كيرة، مرجع سابق، ص،286.
(4) محمد مصطفى، صور من مدرسة بهزاد في المجموعات الفنية في القاهرة، تر، أحمد محمد عيسى، ألمانيا الغربيه، 1959م، ص،9..

الخاتمة

رغم أن فن التصوير ظل يلقى معارضة من الفقهاء ورجال الدين خاصة في ما يتعلق بتجسيد الصور للإنسان والحيوان إلا أن ذلك لم يمنع من تطوره في العالم الإسلامي، وكانت بلاد ما وراء النهر خاصة في عهد المظهرين والجلائريين من أهم الدول التي اهتمت بهذا الفن، الا انه بلغ شهرة واسعة في عهد السلالة التيمورية التي حكمت أجزاء واسعة من أسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر.

إجمالا يمكن القول أن فن التصوير بلغ درجة كبيرة من التطور والنضج في عهد التموريين،تحت رعاية السلاطين التيموريين الذين أحاطوا معظم الفنانين وخاصة المصورين منهم برعاية فائقة، كان ثمارها تلك الإبداعات القيمة من الرسومات التي تنتشر في المتاحف العالمية في إيران وتركيا وبريطانيا وفرنسا وروسيا وغيرها، وإستطاع التيموريون أن يستفيدوا من كل المدارس الفنية التي سبقتهم، فأخذوا من مدرسة بغداد، ومدرسة إيران في العهد المغولى،والمدرسة الجلائرية والمطفرية، كما أنه يمكن الإشارة إلى التأثيرات الفنية الصينية التي ظلت قوية في تلك الفترة خاصة في عهد السلطان شاهرخ في هرات[1].

❊ ❊ ❊

(1) أبو الحمد فرغلى، نشاة التصوير في الاسلام، ص،148.

المصادر والمراجع:

1 .باشا أحمد تيمور، التصوير عند العرب، دط، دار الأفاق العربية، دت، ص،6

برجسي كريستي، أرنو لد، تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير، تر، زكي محمد حسن، ط1، دار الكتاب العربي،1984 .

2 .بدوى الرحمان، موسوعةالمستشرقين،ط1 ،دارالعلم للملايين،بيروت،1993م.

3 .الباشا حسن، فنون التصوير في العصر الاسلامي، ط1، دار النهضة العربية، 1966م.

4 .الباشا حسن، التصوير الاسلامي في العصور الوسطى، دط، جامعة القاهرة، الكتاب الجامعي، القاهرة، 1992م.

5 .البنا سامح فكري طه، فن التجليد في العهد التيموري، (711هـ،912هـ/ 1370م، 1506م)، رسالة ماجستير، مج1، كلية الآثار، تجليد المخطوطات في العصور الاسلامية، العصر التيموري، كلية الاثار، جامعة القاهرة، 1424هـ،2006م.

6 .البنا سامح فكري طه، تجليد المخطوطات في العصور الاسلامية، العصر التيموري، ط1، دار الكتاب العربي الحديث، 2013م، جامعة القاهرة، 1424هـ،2006م.

7 .حربي أمين سليمان، المؤرخ الايرانى الكبير غياث الدين خواند مير كما يبدو في كتابه دستو الوزراء، تق، فؤاد عبد المعطى الصياد، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ص،321..

8 .أبو الحمد فرغلي، نشأة التصوير في الإسلام، 195 .

9 .رايس ديفيد تالبوت، الفنون الاسلامية عبر العصور، تر، فخري خليل، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، 2013م.

10 .زكي محمد حسن، التصوير وأعلام المصورين في الإسلام، مؤسسة هنداوي، 2013 .

11.زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ط1، القاهرة، 1948م.

12.زكي محمد حسن، في الفنون الإسلامية، مؤسسة هنداوي، 2010م.

13.عفاف صبرى، نجوى كيرى، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي (دراسة حضارية)، ط1، زهراء الشرق، 2009م.

14.عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، أل جلائر، بغداد الحديثة، 1936م.

15.ابو الحمد محمود فرغلي، نشأة التصوير في الاسلام، ص،219.

16.القلقشندي ابو العباس أحمد بن علي، صبح الاعشى في كتابة الإنشا، تح، محمد حسين شمس الدين، ج4، بيروت، 1407ه،1987م، ص،357.

17.ماهر سعاد، الفنون الإسلامية، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م، ص 387.

18.محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران (907ه، 1148ه، 1501م، 1776م)، ط1، دار النفائس، 1430ه،2009م.

19.محمد مصطفى، صور من مدرسة بهزاد في المجموعات الفنية في القاهرة، تر، أحمد محمد عيسى، ألمانيا الغربية،1959م.

20.مائدة طارق محمد، رسوم وتصاوير المخطوطات الادبية والتاريخية في العهد التيموري، رسالة ماجستير، مركز البحوث والدراسات، جامعة الدول العربية، 2013م.

21.مجموعة من المؤلفين، موجز دائرة المعارف الإسلامية،ط1،مركز الشارقة للإبداع الفني،1418ه،1998م، ص،2268.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة المدية
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

الدولة الطاهرية بخراسان (205-259هـ/ 820-872م)

The Tahir state in Khurasan (205-259 AH / 820-872 AD)

معاد بومنقار، جامعة قسنطينة 2 – الجزائر.

boumankar.mouad@gmail.com

حدوش عبد الحكيم، جامعة قالمة –الجزائر.

boumankar.mouad@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة لمعرفة أول الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق والتي تتمثل في الدولة الطاهرية وسبب استقلالها عن الخلافة حيث اتخذت من خراسان عاصمة لها، ويعزى كل ذلك للإمام طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق المؤسس الروحي للدولة والذي كان يمثل سيف الدولة العباسية في إخماد الثورات المناوئة لها خاصة في زمن فتنة الأمين والمأمون، وقد كان الخلفاء الذين أعقبوه على قدر مستواه من الخلافة فقد تطورت الدولة تطورا كبيرا سيما في عهد ولده عبد الله الذي يعد المؤسس الفعلي للدولة وواضع ركائزها ولا يقارن إلا مع نظرائه من مؤسسي الدول العالميين، فشمل هذا التطور الحياة الاقتصادية وتجلى ذلك في تنوع المحاصيل الزراعية وكثرت الحرف والصناعات وازدهار التجارة وتنشيط الحركة التجارية، وامتد هذا التطور للجوانب العلمية والحضارية فقد كثر

الإشعاع العلمي بكثرة العلماء والفقهاء وشيدت الطرق والقناطر وظل هذا التطور ما يربو عن خمسين سنة هجرية إلى أن سقطت على يد إمام عظيم محمد بن طاهر وبالرغم من سقوطها فقد ظلوا محل ثقة العباسيين ويكنون لهم المحبة والتعاون

الكلمات المفتاحية: الدولة-الخلافة العباسية - بنو طاهر-الاقتصاد-الجوانب الحضارية.

Abstract: This study aims to know the first independent states from the Abbasid caliphate in the East, which is represented by the pure state and the reason for its independence from the caliphate, as it took Khorasan as its capital, and all of this is attributed to Imam Taher bin Al-Hussein bin Musab bin Raziq, the spiritual founder of the state, who represented the sword of the Abbasid state in extinguishing The revolutions opposed to it, especially at the time of the sedition of Al-Amin and Al-Ma'mun, and the caliphs who followed him were equal to his level of caliphate. The state developed greatly, especially during the era of his son Abdullah, who is considered the actual founder of the state and the layer of its pillars, and he is only compared with his counterparts from the global founders of states, so this included The development of economic life, and this was manifested in the diversity of agricultural crops, the abundance of crafts and industries, the flourishing of trade and the revitalization of the commercial movement, and this development extended to the scientific and civilized aspects. Muhammad bin Taher, and despite its fall, they remained the object of trust of the Abbasids, and they had love and cooperation for them.

Keywords: the state - the Abbasid caliphate - Banu Tahir - economy - cu

اسم المؤلف المرسل: بومنقار معاد

مقدمة:

توسعت الدولة العباسية وامتدت أقاليمها ولاح شعاعها في كل بقاع وأصقاع العالم الإسلامي، الأمر الذي صعب التحكم في تلك الأقاليم، وعلى الرغم من قوة الخلافة العباسية في المرحلة الأولى إلا أنها عرفت اضطرابات وحروبا وفتن وملاحم سهلت على قيام وبروز الحركات الانفصالية كما أن البعد الجغرافي لتلك الأقاليم عن مقر العاصمة بغداد كان من أبرز دوافع الانفصال، فبدأت بوادر التمرد على الخلافة في المغرب الإسلامي باستقلال بني الأغلب بالمغرب الأدنى وأسسوا أول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في المغرب الإسلامي.

فتحت هذه الدولة طريق الانفصال عن مصراعيه وشجعت الحركات الإنفصالية التي استلهمت أفكارها مدن ما وراء النهر من بلاد المشرق الإسلامي فشملت سجستان ونيسابور وخراسان هذه الأخيرة كانت تعرف صراعا عرقيا بين العنصر العربي والعنصر الفارسي الذي أشعلاه ولدا الرشيد الأمين والمأمون، وفي ظل تلك الظروف برز شخصية قوية جدا يحمل أفكار انفصالية متعصبة للعنصر الفارسي وهو طاهر بن الحسين الذي يعد المؤسس الروحي والفعلي لأول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق وتحديدا في خراسان عرفت باسم الدولة الطاهرية.

وانطلاقا مما سبق تدور الإشكالية حول معرفة الأسباب الحقيقية لتأسيس الدولة الطاهرية في خراسان خاصة وأنها تأسست في ظل قوة الخلافة العباسية.

أولا: قيام الدولة الطاهرية:

1. نسب الطاهريين:

يرجع ابن خلكان نسب الطاهريون إلى طاهر بن الحسين بن مصعب بن

رزيق بن ماهان مولى طلحة الخزاعي[1]، ولد المؤسس الروحي للدولة الطاهرية "طاهر بن الحسين" في بلدة بوشنج[2] سنة 159هـ/ 774م، اعتنق جده مصعب الإسلام في البصرة على يد الإمام علي بن أبي طالب عام36هـ/ 684م،[3] وعرف بولائه للدولة العباسية كما عرف عنه حكمة وشجاعة وسداد في الرأي ورباطة جأش كبيرة، نزل بغداد عاصمة الخلافة العباسية أيام الخليفة العباسي المأمون الذي يعود له الفضل الكبير في توطيد حكمه وسلطانه،[4] هذا الأخير ولما عرف عن طاهر بن الحسين من قوة وحكمة في تسير شؤون الأقاليم أسند إليه الولايات التابعة للخلافة العباسية في ما وراء النهر ومثال ذلك مرو وهراة واشتغل في نشر الدعوة مع سليمان بن كثير الخزاعي داعي بني العباس.[5]

2. بروز طاهر بن الحسين على مسرح الأحداث السياسية:

استغل طاهر بن الحسين الفتنة التي كانت قائمة بين ولدي هارون الرشيد وهما الأمين والمأمون سنة193هـ/ 808م، ويقال أنّ سبب هذه الفتنة إقدام الأمين على خلع المأمون وإعلان البيعة لابنه موسى،[6] فقرب المأمون لصفه طاهر بن الحسين وعينه قائدا لجيشه في حربه ضد الأمين والتقى الجمعان في سنة195هـ/ 810م وحقق المأمون ومن ورائه طاهر بن الحسن نصرا كبيرا على

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1969، ج2، ص517.
(2) هي بلدة توجد في خراسان تقع على سبعة مراحل من هراة، ينسب إليها طاهر بن الحسين بن مصعب البوشنجي، فتحت من طرف أوس بن ثعلبة التميمي. اليعقوبي، البلدان، مطبعة بريل ليدن، 1860، ص57.
(3) إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، في تاريخ الدول الإسلامية المشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية، جامعة الإسكندرية، مصر، 2005، ص10.
(4) الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج3، ص221.
(5) محمد علي حيدر، الدويلات الإسلامية في المشرق، دار العلوم، القاهرة، 1974، ص42.
(6) ابن طباطبا، في الأداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صاد، بيروت ص213. ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج5، دار الكتب العلمية ،ط1،بيروت،1987، ص363، ابن خلدون، كتاب العبروديوان المبتدأ والخبر،ج3، دار الكتب العلمية، 1991، ص201.

جيش الأمين .[1]

أصبح طاهر بن الحسين سيف المأمون الذي يقاتل به في حروبه ضد أخيه الأمين الأمر الذي دفع بهذا الأخير تعيين قائد الجيش أسد بن يزيد بن مزيد ، [2]فأقدم طاهر بن الحسين على محاصرة بغداد وحفر الخنادق ورمي جند المين بالعرادات واشتد الحصار على جيش الأمين في بغداد مما اضطر بالأمين لبيع جميه آنية الدهب والفضة، واستمر القتال أيما وأسابيع وبحلول سنة198هـ/ 813م كان طاهر قد حسم أمر الحرب لصالح المأمون واستولى على بغداد وقبض على الأمين ثم قطع رأسه وأرسله للمأمون [3]، وكانت هذه الحادثة أشد فتنة وأعظمها على الخلافة العباسية منذ تأسيسها.

قويت شوكة طاهر بن الحسين وكبرت خصاله في عين الخليفة العباسي المأمون الأمر الذي جعل من هذا الأخير يسند إليه شرطة بغداد ثم أكبر ولاية خراسان التي كانت تمثل وقتئذ الأرضية الخصبة لقيام الثورات، إذ استغلها طاهر بن الحسين وحول حكمها إلى وراثة في بيته وبدأ يفكر في الاستقلال بها [4] في الوقت الذي تحولت فيه العلاقة بين طاهر بن الحسين والمأمون من ودّ وصداقة إلى جفوة وعداء، ويصور ابن طباطبا ذلك بقوله: "إن المأمون أنكر عليه أمورا وكتب إليه بتهديده، فرد طاهر عليه بجواب أغلظ فيه"[5] وفي ظل هذه الظروف

(1) عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب في العصر العباسي الأول، ج3،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1993،ص76.

(2) قائد عربي تولى أرمينيا في سنة185ه بعد وفاة أبيه استعان به الأمين في حربه مع أخيه المأمون. ابن خلكان، ج2، ص328.

(3) ابن طباطبا، ص216، ابن مسكويه، تجارب الأمم، تح أبو القاسم أمامي، دار سروش، طهران، 1997، ج4، ص107.

(4) أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1993، ص97.

(5) ابن طباطبا، المصدر السابق، ص224.

توفي طاهر بن الحسين سنة207هـ/ 822م .[1]

3. أسباب تولي طاهر بن الحسين خراسان:

قيل أنه رغبة ملحة منه بسبب مقتله لأخيه الأمين وخوفا من الثأر منه حتى يأمن شره [2]، وهو ما ذكره الشابستي "توجه طاهر بن الحسن إلى بغداد بعدما استنجد به محمد بن أبي العباس الطوسي بالتوسط له عند المأمون حتى يتجاوز عن أخطائه ويصفح عنه ولكي يطلب منه ولاية خراسان" [3].

وقيل أن طاهر بن الحسين دخل مجلس المأمون ووجده باكيا فأراد أن يعرف سبب ذلك فعله أنه من سبب مقتل أخيه الأمين فطلب منه توليه خراسان [4].

4. وفاة طاهر بن الحسين:

انتابت وفاة طاهر بن الحسن الكثير من الشك والريبة فيذكر الطبري أن سبب وفاته حرارة وحمى أصابته [5]، في حين يذكر اليعقوبي أن المأمون أصبح يخشى من تصاعد الدور العسكري والقيادي لطاهر خاصة لما سمع بقطع الدعاء له على منابر الجمعة [6]، في حين يذكر الشباستي وابن طباطبا بأن المأمون دعا أحمد بن أبي خالد وأعطاه الهدايا وألطاف وفيها كامخ أسود مسموم فأخذه وزير المأمون إلى طاهر فأكل طاهر من الكامخ فمات [7].

(1) عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص86.
(2) عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص167.
(3) الشابستي، الديارات، تح كويكير عواد، دار الرائد العربي، ط3، بيروت، 1986، ص144.
(4) مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج3، مطبعة بريل ليبدن،1286ه، ص361.
(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج8، تح، أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة،1976، ص578.
(6) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، النجف، 1960م.
43-الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، تق، حسن الزين، دار الحديث، بيروت،1988، ص184.
(7) الشباستي، المصدر السابق، ص142. ابن طباطبا، المصدر السابق، ص225.

ثانيا: موقف الطاهريون من الخلافة العباسية:

أيد الطاهريون الخلافة العباسية منذ قيامها سنة132هـ/ م، وما إن ظهرت ثورات مناوئة للخلافة خاصة الاثنية منها بسبب الصراع بين العرق الفارسي والعربي أيام الخليفة المأمون وجدت لهم هذه الأخيرة بالمرصاد، وفي الحقيقة ما كانت لتنجح في إخماد وصد هذه الثورات لولا الدعم الكبير من قبل الطاهريين وتجلت ذلك في ثورة نصر بن شيب الذي طالب بدم الأمين وأظهر معارضته للخليفة المأمون وشق عصى الخلاف عنه، فولي المأمون طاهر بن الحسين على الجزيرة وأمره بمحاربته غير أن هذا الأخير لم يرض بالدور الهزيل الذي أسنده إليه الخليفة وقال: "حاربت خليفة وسقت الخلافة إلى خليفة وأؤمر بمثل هذا، كان ينبغي أن توجه هذا لقائد من قوادي "[1].

بعد رفض طاهر بن الحسين الإنصياع لأوامر الخليفة عين هذا الأخير ولد طاهر وهو عبد الله وقام بمحاربة ومحاصرة نصر بن شيب والتضيق عليه، وجرت بينهم حروبا كبيرة اشتد فيها القتال وتفشى فيها الهرج والمرج ودامت قرابة خمس سنوات (205هـ-209هـ/ 820-825م)، حتى كلت قوى نصر بن شيب ووهن جيشه ولم يجد حلا إلا أن يسلم نفسه لعبد الله الذي أرسله إلى المأمون سنة 210هـ/ 832م [2]، وبهذا الإنتصار تمكن عبد الله من إعادة الأمان لبلاد الشام وقضى على الثورة العربية التي كانت تهدد الخلافة.

قويت شوكة عبد الله بن طاهر وذاع صيته في كل أقطار وأصقاع الخلافة العباسية وأصبح سيف الخليفة في مواجهة التمردات التي تهددها خاصة في مصر التي أصبحت الملاذ الأمن للحركات المناوئة ضد الخلافة وتجلت ذلك في حركة علي بن الجروي وعبد الله بن السري الذي استولى على كل أحواز

(1) الطبري، ج8، ص578.
(2) ابن طيفور، كتاب بغداد المستوعب لفترة المأمون، دار الجنان، د.ت، ص76.

مصر باستثناء الإسكندرية فجيش المأمون جيشا كبيرا بقيادة عبد الله بن طاهر سنة210هـ/ 825م وكان عبد الله عند حسن ظن المأمون فقد أبلى بلاء حسنا وقاتل قتال الفاتحين حتى اضطر عبد الله بن السري أن يطلب الأمان من عبد الله بن طاهر مقابل الهدايا ويذكر الأزدي أنه أرسل إليه كيس حرير فيه ألف دينار لكن عبد الله بن الحسين رفض كل ذلك[1]، الأمر الذي دفع بالخليفة العباسي أن يوليه على الفسطاط [2].

توجه عبد الله سنة 212هـ/ 826م إلى أحد حصون الإسكندرية وحاصرها أياما حتى طلب أهلها الأمان فقام بمصالحتهم وأعجب أهل مصر بفضل عبد الله نظرا لامتنانه وما أظهره من كفاءة حربية عالية ونلتمس ذلك في قول ابن خلكان: "فقدم علينا من قبل الشرق (يقصد عبد الله بن طاهر) حدث والدينا عندنا مفتونة وقد غلب على كل ناحية من بلادنا والناس منهم في بلاء فأصلح الدنيا وأمن البريء وأخاف السقيم واستوثق لع الرعية بالطاعة" [3].

ثالثا: الحياة الاقتصادية زمن الطاهريين:

1. الزراعة:

أدى شساعة الدولة الطاهرية وطول امتداد حدودها البرية وضمها لأقاليم ما وراء النهر وخراسان [4]، إضافة إلى توسطها لمجموعة من الأنهار الضخمة والوديان كنهري جيحون[5] ونهر هراة مما ساعدهم على بناء السدود وحفر الآبار وبناء القناطر للحفاظ على المياه، كما وجد ديوان الماء الذي يشرف عليه مجموعة من العمال مختصين في مجال الزراعة، واستخدمت نظمها في السقي حيث

(1) الطبري، ج8، ص610
(2) الأزدي، تاريخ الموصل، تح علي حسن، ص372
(3) ابن خلكان، ج2، ص174.
(4) الكردذي، زين الأخبار، تر عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2002، ص199.
(5) هو اسم لواد بخراسان يقع وسط مدينة يقل له جيهان وقد نسب الناس إليها هذا النهر، يخرج من موضع يقال له ريوساران، وهو جبل يتصل بناحية اليند والهند وكابل. الحموي، ج2، ص196.

وجد نظام "كارس" الذي يقوم على شق قنوات في جوف الأرض معقودة عليها قناطر[1]، واستخدام نظام الري بسبب الخصومات التي تقع بين الفلاحين[2].

كل هذه العوامل دفعت بالطاهريين لممارسة النشاط الزراعي ويعد عبد الله بن طاهر الذين اهتموا بهذا المجال فيورد اليعقوبي رواية أنه وفّر الماء لأهل نيسابور كما وضع ديوان الفلاحين ونستشف كل ذلك من خلال نص أورده الكرذزي: "لقد أخذت الحجة عليكم حتى تستيقظوا من سباتكم وتجدوا في صلاح أنفسكم وتساندوا الفلاح الذي صار ضعيفا امنحوه بالقوة فإن الله سبحانه وتعالى يطعمنا من أيديكم"[3].

ازدهرت الحياة الزراعية أيام عبد الله أيما ازدهار وانعكس ذلك على تنوع المحاصيل الزراعية داخل الدولة الطاهرية فقد كان يكثر فيها الفواكه اللذيذة المتنوعة من الكروم والأعناب والسفرجل والمشمش والرمان والزيتون والإيجاص[4]، كما احتوت على بساتين كثيرة تمتد على مساحات شاسعة وتختص كل كور من أكوارها بزراعة معينة.

2. الصناعة:

انعكست المحاصيل الزراعية داخل الدولة على الجانب الصناعي فيذكر ابن الفقيه أن الصناعة تطورت بشكل كبير زمن الطاهريين ووصلا لأن تنافس صناعة الصين إضافة إلى صناعة الأسلحة والدروع[5]، ويمكن تقسيم الصناعة في عهد الدولة الطااهرية إلى:

(1) إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي والسياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1979 ص241.
(2) الكردزي، المصدر السابق، ص199.
(3) نفسه، ص200.
(4) المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل ليدن،1906م، ص315.
(5) ابن الفقيه، مختصر البلدان، مطبعة بريل ليدن، ص316.

• صناعة الألبسة: اشتهرت هذه الصناعة بالخصوص في نيسابور التي عرفت بمستودعاتها المميزة من ثياب البيض والعمائم وثياب الحرير، فقد كانت تلبي حاجيات الملوك والرؤساء والفائض منها يصدر نحو مختلف البقاع [1]، وظهرت عدة أنواع من الألبسة منها الحلل والعتابيات والسقلاطونيات وصناعة السباري وهي نوعية فاخرة من الثياب يمتاز بنعومته [2].

• صناعة الحلي: كان لتوفر المعادن والأحجار الكريمة والفيروز وهو ما ذكره ابن الفقيه "أرض بين خراسان ونيسابور هي أرض الذهب والمعادن" [3].

• الصناعات النسيجية: اشتهرت بهذا النوع من الصناعات مدينة بخارى[4] خاصة صناعة البسط والمرادقات والوسائد وسجاجيد الصلاة [5]، ويذكر الإصطخري أن مدينة مرو كانت بها مصانع النسيج التي تحتوي على أجود أنواع المنسوجات وكانت تحمل المنسوجات لتنقل إلى طبرستان[6].

• الصناعات الخشبية: كان لتوفر الأشجار في بلدة بوشنج خاصة أشجار العرعر الذي يعد من أجود أنواع الخشب المستعمل في صناعة الأواني المنزلية والصناديق، فكانت توفر احتياجاتها المحلية إذ يذكر ابن حوق أن بلخ "كانت مركزا لأهم الصناعات والمنسوجات التي تتميز بالجودة"[7].

(1) المقديسي، المصدر السابق، ص323.
(2) الثعالبي، كتاب لطائف المعارف، مطبعة بريل ليدن، (د،ت)، ص121.
(3) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص325.
(4) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، أصبحت فيما بعد قاعدة ملك الدولة السامانية. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص353.
(5) النرخشي، تاريخ بخارى، تح محمد أمين عبد المجيد بدوي، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1965، ص41.
(6) الإصطخري، مسالك والممالك، مطبعة بريل ليدن، 1870، ص273.
(7) ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،1992م ص386.

3. التجارة:

انعكس تنوع المحاصيل الزراعية والمنتوجات الصناعية على ممارسة النشاط التجار في زمن الطاهريين وقد ساعد على ذلك جملة من العوامل ولعل أبرزها توفر شبكة الطرق والمسالك البرية.

• الطرق التجارية: تعد الطرق التجارية العامل الرئيسي لتنشيط الحركة التجارية فإذا كانت هذه الطرق مستوفية لكامل خصائصها وتوفر الأمن ووسائل الراحة ازدهرت فيها التجارة ازدهارا كبيرا وحققت المدن الواقعة عليها أرباحا طائلة، وإذ لم تستوف هذه الخصائص تراجعت التجارة وضعفت وربما يؤدي بها الحال إلى اندثار المدن الواقعة على هذا الطريق.

وتوجد في الدولة الطاهرية عدة طرق هامة ورئيسية لعبت دورا كبيرا في تفعيل الحركة التجارية الداخلية منها والتي تربط بين مختلف مدن الدولة أو الخارجية، فقد كانت هراة بها طرق تجارية عديدة تربطها بباقي المدن فكانت بمثابة محطة لإنزال الحمولات القادمة من فارس نحو خراسان [1].

وكان لموقع مدينة بلخ بالقرب من نهري جيحون وما وراء النهر أن تطل على أهم الممرات والمضائق التي تنقل عبرها البضائع والسلع التجارية من توران[2] وبلاد الهند إلى مناطق كثيرة [3].

• الأسواق: كانت الأسواق من أهم العنصار التخطيطية التي ارتبطت بالسكان في المدينة ويقصد بها الأمكنة التي تجمع فيها السلع والبضائع المختلفة

(1) جمال الدين فالح الكيلاني، خراسان التاريخية في ضوء المصادر العربية، مكتبة المصطفى، القاهرة،2012، ص22.

(2) بلاد فيما وراء النهر ملكها يدعا ثران شاه وأصل التسمية تعود إلى ملك توج. الحموي، ج2، ص57.

(3) موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني هجري الي القرن الخامس هجري، تر إسماعيل العربي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، (د،ت)ص56.

فيتم فيها النشاط التجاري الداخلي والخارجي والإنتاج الصناعي، فكلما كثرت الأسواق داخل المدينة كلما كان دليل على ازدهار وسعة النشاط التجاري فيها[1] ويمكن أن نميز عدة أنواع من أسواق الدولة الطاهرية.

الأسواق حسب مكان وزمان انعقادها: يذكر الإصطخري أنه وجدت بنيسابور العديد من الأسواق منها سوق المربعة الصغيرة وسوق المربعة الكبيرة، فكانت تمتد من شمال نيسابور إلى من طقة تعرف برأس القنطرة، فأصبحت مركزا تجاريا هاما [2]، ويصفها المقديسي "خزانة المشرقيين ومتجر الخافقين للصناعة التي كانت تحمل في الأفاق وفرصة فارس والسند وكرمان" [3].

الأسواق اليومية: يذكر النرخشي أن بخارى كانت بها الكثير من الأسواق اليومية فكانت تعقد بمدينة طواسية [4] سوق يحضره عشرات الالاف من التجار وأصحاب البضائع والسلع من مختلف الأماكن [5]، وأكيد هذه الأسواق تعود بالأرباح الوفيرة.

الأسواق الأسبوعية: كانت تعقد في بخارى سوق كبير ومنظمة كل يوم خميس فاشتهر أهلها بالتجارة [6].

4. النظم المالية والإدارية:

أ. النظم الإدارية:

بما أن الطاهريين كانوا تابعين للخلافة العباسية وإنما استقلال اسمي فقط،

(1) بومنقار معاد، قبيلة زناتة والنشاط التجاري في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2021، ص160.
(2) الإصطخري، المصدر السابق، ص255.
(3) المقديسي، المصدر السابق، ص317.
(4) اسم ناحية من جملة أعمال بخارى وسمرقند وهي مدينة كثيرة البساتين والمياه وهي داخل حائط، الحموي، ج2، ص44.
(5) النرخشي، المصدر السابق، ص28.
(6) نفسه، ص29.

فقد كانت نظمهم امتداد للنظم الإدارية للدولة العباسية خاصة بعد نقل العاصمة إلى نيسابور، وعلاوة على المساحة الواسعة للدولة فقد ضمت أقاليم عديدة ومدن بعيدة، لذلك استعانوا بمجموعة من العمال لإدارة شؤون دولتهم ووضع لكل مجال ديوان خاص به وأهم هذه الدواوين نذكر منها:

- صاحب ديوان الخراج: يتولى الإدارة المالية ويشرف عليها.
- ديوان الخاتم: وهو خاص بالكتب التي تحتاج إلى ختم.
- صاحب البريد: نقل أخبار الأقاليم والدولة.
- ديوان التوقيع: مهمته النظر للقضايا التي ترفع للخليفة.
- الحجابة: مهمته إدخال الناس للخليفة [1].

ب.النظام المالي:

هو نفسه الذي كانت تتبعه الخلافة العباسية، وكان الطاهريون أعوانا لهم في جمع الضرائب والخراج، فقد كان لطاهر بن الحسين دورا كبيرا في ترشيد السياسة المالية للدولة من خلال وضع أسس محكمة في جباية وتنظيم الخراج والدواوين وطرق الحج[2] ، وعرفوا بالصرامة فيذكر ابن طيفور بأن طاهر بن الحسين قام بتوبيخ يحيى بن حماد كاتبه وصاحب خزانته بقوله: "قلة نظرك لنفسك حرمتك من المنزل وغفلتك عن حظك حطت من درجتك"[3] ، ويذكر ابن الأثير أن عبد الله بن طاهر في فترة ولايته على خراسان قام بتعيين محمد بن حميد الطاهري تابعا على أعمال نيسابور، فعلم أنه غير ضابط لأمور الإدارة فقام بعزله [4].

(1) أحمد محمود حرفي، تيارات ثقافية بين العرب الفرس، دار النهضة لطبع والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة،(د،ت)ص109.
(2) محمود عرفة، مرجع سابق، ص96.
(3) ابن طيفور، مصدر سابق، ص70.
(4) ابن الأثير، ج5، ص85.

وكان الطاهريون يدفعون مقدارا معينا من الخراج للخلافة العباسية فيذكر ابن خرداذبة "أن مقدار الخراج الذي يدفعه عبد الله بن طاهر أثناء ولايته على خراسان للخليفة أربعة آلاف وثمان مئة وستة وأربعون ألف درهم وألف رأس من الدواب الركوب وألف رأس من العنم وألف رأس من السبي والجزية" [1].

5. الحياة العلمية والثقافية في الدولة الطاهرية:

اهتم بنو طاهر بالحياة العلمية والثقافية فكانوا يجلبون إليهم العلماء والفقهاء ويقربونهم منهم، وكان الإمام إسحاق بن راهويه[2] أحد أبرز أعلام الفقه إذ كانت تربطه علاقة قوية بالطاهريين وحظي بمرتبة كبيرة عند الأمير عبد الله بن طاهر حيث كان من بين جلسائه[3].

وكانت مدينة بلخ تضم الكثير من رواد الحديث أبرزهم مكي بن إبراهيم البلخي (ت215هـ/ 830م) وفي اللغة العالم الخليل بن أحمد عينة بن عبد الرحمن وهو معلم الأمير عبد الله بن طاهر، وكان الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر يختار لأبناء أسرته أشهر علماء النحو واللغة وأشهرهم أحمد بن يحيى بن ثعلب [4]، واهموا بالطب إذ وجدت في نيسابور دار للمريض تعد من أهم مراكز لطلب علم الطب فضلا عن كونه مكان للعلاج والتداوي، ووجدت بها أشهر علماء الطب ألا وهو سابور بن سهل (ت255هـ/ 868م) [5].

وحظي الشعر باهتمام كبير من قبل الطاهريين فقد عاش أيام دولتهم الشاعر والأديب "أبو العمشيل" الذي كان معلما لعبد الله بن طاهر في خراسان،

(1) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة بريل ليدن،1889م ص39.
(2) هو أبو يعقوب إسحاق بن مروة الحنظلي المروزي، جمع بين الحديث والفقه والورع، يعتبر من أهم أئمة الإسلام، نشأ في مدينة مرو وتربى داخل أسرة ذات مجد وفضل. ابن خلكان، وفيات الأعيان،ص199.
(3) نفسه، ص199.
(4) محمد مصطفى الحناوي، تاريخ الحضارة الإسلامية العلوم والفنون- دار الميسرة، عمان، 2013، ص336.
(5) نفسه، ص345.

وقد كان طاهر بن الحسين مهتما بالشعر ومشجعا عليه ويعطي الأعطيات على الشعر ومن بين أشعاره:

فيا ليت شعري هل أبيتن بعدها بليلة مسرور بحيث أريد

وهل ترجعن خيلي إلى ربطها وتجمعني المارقين صعيد [1]

ويذكر ابن قتيبة أن أبناء طاهر بن الحسين كانوا ينظمون الشعر وأن عبد الله بن طاهر كان شاعرا شريفا بنفسه وأصحابه، وكان سخيا معهم حيث أنه كان يكرمهم مقابل أشعارهم [2]، ويذكر ابن طيفور أن عبد الله بن طاهر كان مهتما بالشعر بشكل كبير، فكلما كان متجها إلى الإسكندرية أعطى لشاعر حمصي سبعة آلاف درهم مقابل سبع أبيات من الشعر [3].

رابعا: سقوط الدولة الطاهرية

دخلت الدولة الطاهرية مرحلة الضعف بعد وفاة عبد الله بن طاهر (230هـ/ 845م) وظهرت عدة ثورات مارقة على الدولة الطاهرية في عهد ولده "طاهر بن عبد الله" (230هـ-248هـ) وكان ذلك في زمن الخليفة العباسي الواثق، أما آخر حكام الدولة الطاهرية محمد بن طاهر (248هـ-259) انصرف إلى حياة اللهو وشرب الخمر والطرب حتى "هاجت طبرستان بسبب غفلته"[4].

كما اتسمت فترة حكم هؤلاء بالفساد في النظام الإداري في جل الولايات وكان هناك ضعف وخلل في تسييرها فيذكر ابن سفندريار "أن ولاة طاهر بن عبد الله كانوا يأخذون الأموال إلى أشخاص يعبثون بها ويحدثون البدع والفساد، كما

(1) محمود عرفة، مرجع سابق، ص100.
(2) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح أحمد محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1958، ص87.
(3) ابن طيفور، مصدر سابق، ص89.
(4) الكرذزي، مصدر سابق، ص202.

أنهم كانوا يأخذون الخراج ثلاث مرات في العام"[1] .

إضافة إلى ذلك؛ ظهرت العديد من الحركات المناوئة للدولة الطاهرية وتجسدت في ثورة يحيى بن عمر الطالبي ضد الطاهريين سنة 250هـ/ 864م وبالرغم من إخماد هذه الثورة وانتهت بقطع رأس يحيى بن عمر وإرساله لمحمد بن عبد الله بن طاهر [2] إلا أن حركة العلويين لمم تتوقف فظهرت ثورة الحسن بن زيد في إقليم طبرستان[3] (248-252هـ/ 862-866م) واستولى على أراضي واسعة كانت ملكا للطاهريين وبدأ يؤسس نواة الدولة الزيدية بطبرستان ، واستفحل أمر التشيع في المنطقة بعد نجاح ثورة الحسن لتمتد إلى سجستان أحد أهم الأقاليم التابعة للدولة الطاهرية وتزعم الحركة صالح بن النظر الكناني ويعقوب بن الليث بن حاتم وتمكنا من طرد عامل الطاهريين بالمنطقة [4].

قويت شوكة يعقوب بن الليث الصفار في إقليم سجستان وامتد إلى بقية الأقاليم وأخذ يسقط مدن الدولة الطاهرية تبعا، بدءا بهراة (253هـ/ 867م) وبوشنج ثم كرمان وبحلول سنة 255ه كان قد استولى على فارس ثم بلخ256ه/ 870م حتى تمكن من القبض على محمد بن طاهر وعزله عن ولاية نيسابور وأسر جميع أصحابه وأرسلهم إلى سجستان وتمكن من إسقاط الدولة الطاهرية دون أي مقاومة تذكر [5].

(1) ابن سفنديار، تاريخ طبرستان، تح أحمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2002م، ص227.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14،تح عبد الله بن محسن التركي ،دار هجر للطباعة والنشر، ،1998م، ص476.
(3) عيسى الحسن، الدولة العباسية تكامل البناء الحضاري، الأهلية لنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص241.
(4) ابن خلدون، ج4، ص418.
(5) ابن الأثير، ج6، ص116.

خاتمة:

إن العلاقات السياسية بين الدولة الطاهرية والخافة العباسية كانت أحد أهم الأسباب التي دفعت بالطاهريين الإستقلال بمدينة خراسان، كما أن لشخصية طاهر بن الحسين الفذة ورباطة جأشه وقوته ساهمت هي الأخرى بتأجيج فكرة الإستقلال فهو يعد من القادة الكبار الذين لا يقارنون إلا بنظرائهم من مؤسسي الدول العالميين ونستشف كل ذلك في الدور الكبير الذي لعبه في صراع الأمين ضد المأمون.

وكانت للخدمات الجليلة التي قدمها بني طاهر للخلافة في صدّ الحركات المناوئة لها بمثابة صمام أمان لظهر الخلافة في بلاد ما وراء النهر خاصة منطقة سجستان وخرسان ونيسابور إذ يعود لهم الفضل الكبير في إخماد تلك الثورات فكانت بمثابة مدّ على غير انتظار.

وقد كان الخلفاء الذين أعقبوا طاهر بن الحسين في مستواه؛ فقد تطورت الدولة تطورا كبيرا سيما في عهد ولده عبد الله وشمل هذا التطور مجالات الحياة الاقتصادية فتنوعت المحاصيل الزراعية وكثرت الصناعات وازدهرت التجارة وامتد هذا التطور للميادين العلمية والحضارية فقد كثر العلماء والفقهاء وشيدت الطرق والقناطر.

دخلت الدولة الطاهرية في أواخر أيامها مرحلة الضعف والهوان وامتد ذبيب الفناء في أرجائها فقد انصرف حكامها لحياة اللهو والبذخ والترف وغيرها من مظاهر الانحلال التي تنخر جسم الدول وتساعد على تفككها، الأمر الذي شجع على كثرة المناوئين لهم واستغلال ظروفهم ومكّن يعقوب بن الليث الصفار من الظفر بهم واسقاط دولتهم.

ومهما يكن من أمر فإن الدولة الطاهرية دامت أربع وخمسين سنة هجرية

وكانت عظيمة وبالرغم من سقوطها إلا أن العباسيين ظلوا يثقوا بهم ومنحوهم شرطة بغداد الأمر الذي يدفعنا للقول بالرغم من انفصال الطاهريين إلا أنهم ظلوا يكنون المحبة والتعاون للخلافة ويمكن أن نشببها بعلاقة اتحاد فيديرالي بالمفهوم الحالي.

❊ ❊ ❊

قائمة المصادر:

• ابن الفقيه، أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل ليدن، 1302هـ.

• ابن حوقل: أبي القاسم بن حوقل النصبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

• ابن خرداذبة: أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مطبعة بريل ليدن،1889م

• ابن خليكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الشافعي(ت681هـ)، وفيات الأعيان تحقيق إحسان عباس، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978م.

• ابن سفنديار: بهاء محمد حسين، تاريخ طبرستان، تح أحمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة،2002م.

• ابن طباطبا: محمد بن علي، الفخري في الأداب السلطانية والدولة الإسلامية، دار صادر، بيروت، (د،ت)

• ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت280)، كتاب بغداد المستوعب لفترة المأمون، دار الجنان، (د،ت).

• ابن قتيبة: محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تح أحمد محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1958م.

• ابن مسكويه: أبو علي الرازي(421هـ)، تجارب الأمم، ج4، تح: أبو القاسم أمامي، دار سروش، طهران،1997م

• الأزدي: أبو زكرياء يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم (ت334هـ/ 945م)،

تاريخ الموصل، تح علي حسن، د.ت.

•الإصطخري: أبي إسحاق بن إبراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، مطبعة بريل ليدن،1870م.

•بن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت774هـ)، البداية والنهاية، ج14، تحقيق عبد الله بن محسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ،1998.

•الثعالبي: أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، كتاب لطائف المعارف، مطبعة بريل ليدن، (د،ت)

•الجهشياري: أبي عبد الله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب، تقديم حسن الزين، دار الحديث، بيروت،1988م.

•الزركلي خير الدين: قاموس الأعلام، ج3، دار العلم للملايين، بيروت، ط10 ، 1992.

•الشابشتي: أبي الحسن علي بن محمد(388هـ/ 998م)، الديارات، تح كوركيس عواد، دار الرائد العربي، ط3، بيروت،1986م.

•الطبري: أبو جعفر بن جرير(ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ج8، ج9، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة،1976م.

•الكرديزي: أبي سعيد عبد الحي الضحاك (443هـ)، زين الأخبار، تر عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2002م.

•مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج3، مطبعة بريل ليبدن، 1286ه.

•المقدسي: شمس الدين أبي بكر الشامي، أحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم، مطبعة بريل ليدن،1906.

• النرخشي: أبي بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخاري، تح أمين عبد المجيد بدوي، دار المعارف، ط3، القاهرة،1965.

• ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي (ت626ه)، معجم البلدان، ج1، ج2، ج3، ج4، ج6، دار صادر، بيروت،1993م.

• اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (282ه)، تاريخ اليعقوبي، ج3، النجف، 1960م.

• اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، البلدان، مطبعة بريل ليدن،1860م.

قائمة المراجع:

• إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي والسياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1979.

• إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، في تاريخ الدول الإسلامية المشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية، جامعة الإسكندرية، مصر، 20053.

• أحمد محمود حوفي، تيارات ثقافية بين العرب الفرس، دار النهضة لطبع والنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، (د،ت).

• أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، 1993.

• بومنقار معاد، قبيلة زناتة والنشاط التجاري في المغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2021.

• جمال الدين فالح الكلاني، خراسان التاريخية في ضوء المصادر العربية،

مكتبة المصطفي، القاهرة،2012

• عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.

• عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب في العصر العباسي الأول، ج3، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1993.

• عيسى الحسن، الدولة العباسية تكامل البناء الحضاري، الأهلية لنشر والتوزيع، بيروت، 2009.

• محمد علي حيدر، الدويلات الإسلامية في المشرق، دار العلوم، القاهرة، 1974.

• محمد مصطفى الحناوي، تاريخ الحضارة الإسلامية –العلوم والفنون – دار الميسرة، عمان، 2013.

• موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني هجري الي القرن الخامس هجري، تر إسماعيل العربي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، (د،ت).

❊ ❊ ❊

الفهرس

الافتتاحية.....ص05
مقدمة.....ص06
المقالات.....ص 15

الرتبة والاسم واللقب	الجامعة	عنوان المقال	الصفحة
أ/ د. سعاد هادي حسن الطائئ أ/ د. وليد عبود محمد الدليمي	جامعة بغداد – كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية – قسم التأريخ	بلاد ما وراء النهر في كتب الجغرافيين والرحالة (القرن 4–10هـ/ 10–16م) The country Transoxiana in the books of geographers and Travellers (4– 10 AH / 10–16 AD)	ص:15
د/ بغداد سحيري	جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)	المدارس النظامية ببلاد ما وراء النهر (مشروع الوزير نظام الملك الطوسي لحماية المجتمع من فكر الباطنية خلال القرنين 05– 06هـ/ 11– 12م) Title in English; Regular schools in the countries beyond the river (the project of Minister Nizam al–Malik al–Tusi to protect society from esoteric thought during the centuries 05– 06 AH / 11–12 AD)	ص:43

د/ هوشات سامي	جامعة أم البواقي، محمد العربي بن مهيدي، الجزائر	العلوم الدينية ورواجها في بلاد ما وراء النهر وخراسان خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين. Religious sciences and their popularity in Transoxiana and Khurasan during the third and fourth centuries AH the ninth and tenth AD.	ص:71
ط/ د زهراء بوعلاق	جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر)	المنشآت المعمارية في مدينة بخارى خلال الفترة السامانية (4هـ- 10م) **Architectural structures in the city of Bukhara during the Samanid period (4 AH-10 AD)**	ص:91
د/ عبد القادر سليماني	جامعة أبي القاسم سعد الله-الجزائر2- (الجزائر)	صفحات من نشاط أهل الحديث في إقليم خراسان وماوراءالنهرفي القرن 6هـ/ 12م Pages from the activity of Hadith Scholars in the Khorasan and Transoxiana region in the 6th century AH / 12AD	ص:117
ط/ د سمراني مصطفي	جامعة الجزائر 2(الجزائر)	علماء فيما وراء النهر «البيروني أنموذجا»	ص:157

ا/ د احمد جلايلى د/ وفاء بوغرارة	جامعة احمد دراية ادرار (الجزائر)	دور السلطان التيموري «شاهرخ» في تطوير الحياة العلمية والفنية بعاصمة ملكه مدينة هراة (807-850هـ/ 1405-1447م) The role of the Timurid Sultan «Shahrakh" in the development of scientific and artistic life in the capital of his kingdom the city of Herat (807- 850 AH/1405-1447 AD)	ص:181
أ/ الباحثة نادية محمد هاشم إبراهيم	كليه الآداب جامعة القاهرة (مصر)	الحياة الاجتماعية في بلاد ما وراء النهر خلال العصر العباسي الثاني (إقليم الشاش نموذجًا) Social life in the country beyond the river during the second Abbasid era Al-Shash region as a **model**	ص:213
د/ بوبكر العربي	جامعة يحى فارس المدية (الجزائر)	فن التصوير في بلاد ما وراء النهر. The art of photograph in transoxiana	ص: 247
معاد بومنقار، حدوش عبد الحكيم -	جامعة قسنطينة 2 جامعة قالمة - (الجزائر)	الدولة الطاهرية بخراسان (205-259هـ/ 820-872م) **The Tahir state in Khurasan** (205-259 **AH** / 820-872 **AD**)	ص: 269